خامس الخلفاء الراشدين

الإمام الحسن بن علي

للأستاذ

حسن كامل الملطاوي



لجنة التعريف بالإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المودَةَ فِى القُرْبَى ، وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفورٌ شَكُورٌ) .

قرآن كريم

« إنّ ابنى هذا سيدٌ ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

حديث شريف رواه البخارى

*

مقدمة

الى سيدى أمير المؤمنين أبى محمد الحسن السبط رضى الله عنه :

أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو . وأصلى وأسلم على مولانا رسول الله جدك المصطفى الذى سماك من ابتكاره حسنا . ولم يكن ذلك الاسم الجميل معروفا من قبل . كما نسبك اليه بالبنوة ، وان كنت من صلب أبيك الامام على . ولقبك بالسيد ، فنلت بذلك كله شرفا لم ينله معك الا أخوك الامام الحسين ، صلوات الله وسلامه على سيدى رسول الله وآله وصحبه وأزواجه ، ورضوان الله على من اقتفى أثره الى يوم الدين وبعد .

فقد وصفك الواصفون . فقالوا انك كنت أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأت عفا كريما . حليما ، عليما . خطيبا . فارسا ، عابدا ، زاهدا ، راشد الرأى . ولقد صورك للناس أخوك الامام الحسين رضى الله عنه ، حين قال فى تأبينك مع حزنه عليك ، ووحشته بفراقك :

« رحمك الله أبا محمد . ان كنت لناصرا للحق ، وتؤثر الله عندمداحض الباطل . فى مكان التقية بحسن الروية ، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين حاذرة . وتقبض عليها بيد ظاهرة . وتردع ما يريده أعداؤك بأيسر المؤنة عليك ، وأنت ابن سلالة النبوة . ورضيع لبان الحكمة . فالى روح وريحان وجنة نعيم ، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه . ووهب لنا ولكم السلوةوحسن الاساء عليه » .

فأى شرف أحاط بك ياسيدى السبط . فى محتدك ، وفى اسمك، وفى رسمك ، وفى خصالك . وقديما قالوا :

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

سيدى السبط الكريم :

كان من بركات أخيك الامام الحسين ، أن دفعنى الى الكتابة عنك ، فما كاد القراء يطلعون على كتابى « الامام الحسين بن على » الذى نشره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى ١٥ من شوال ١٣٨٥ (الموافق ٥ فبراير ١٩٦٦) . حتى ألحوا على فى الكتابة عنك ، وها أنا ذا ألبى رغبتهم سعيدا بك كما سعدت به ، فسلام الله عليكما وعلى سائر سادتى آل البيت ورحمته وبركاته . ولكما منى الاكبار والاعجاب ، ما أكبر الحق وانصف أهله المنصفون .

سيدى السبط الكريم :

لقد وقفت على تاريخك العاطر ، فرأيت أن العناية الربانية قد هيأتك لأن تكون اماما كاملا ، فوعيت فى طفولتك الباكرة أحاديث عن جدك صلى الله عليه وسلم . أخذها عنك الرواة ، مع أنك لم تعاشره أكثر من سبعة أعوام ونصف .

ورأيتك ملازما لأبيك . تغرف من بحره الزاخر وترتوى ، ويمدك بمكنون اللآلىء والدرر . وهو الذى تربى من صباه فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخذ عنه الكتاب والحكمة ، فامتلأ علما ونورا . وقال فى ثقة بالله : أيها الناس سلونى قبل أن تفقدونى ، فوالله ما من آية فى كتاب الله نزلت الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل .

ورأيتك معلما للناس وللناشئة من أهل بيتك ، مما علمك الله . فكنت منهم الامام ، وكانوا هم الائمة من بعدك .

ورأيتك عابدا ، ذا همة خارقة فى عبادتك ، حتى كأنك قطعت الدنيا الى الآخرة ، وعاينت الغيب ، فرأيت أن الأمر جد لا هزل فيه ، فشد ذلك من عزمك ، حتى حججت بيت الله عشرين مرة ماشيا على قدميك وابلك تقاد بين يديك ، وتقول تواضعا لله ، انى أستحى أن أذهب الى بيت الله الحرام راكبا ، فما أعظم الهيبة ، وما أكبر الهمة .

ورأيتك وفيا بوالديك وأهلك وصحبك وصحب أبويك ، متأثرا بقول جدك المصطفى صلى الله عليه وسلم : حسن العهد من الايمان .

ورأيتك حسن العشرة لأزواجك على كثرتهن ، وهن ضرائر ، وهو ما رغب الناس فى مصاهرتك مع كثرة طلاقك . حتى انه حين أمر أبوك مناديه أن ينادى فى الناس الا يزوجوك لأنك رجل مطلاق . كانوا يقولون للمنادى : نزوجه فان شاء أمسك وان شاء سرح .

وقد انتقد كثرة زواجك بعض الجهال . وما درى أنه لا تهمة مع الحلال . وما درى أن زمانكم غير زماننا . ومعاييركم غير معاييرنا . فقد كان تعدد الزواج فى أيامكم مستحسنا ، لربط العصبيات . والاكثار من الذرارى المقاتلين . ولئن كان التعدد مستحبا لغيركم فقد كان فيكم أهل البيت أكثر استحبابا . لأن سلالة النبى صلى الله عليه وسلم أمان ورحمة لأهل الأرض . كيف لا وهم الطاهرون المطهرون . الذين يبثون الهدى بين الناس بالقول والعمل والحال .

ورأيتك تحب الطيبات . وزينة الله التى أخرج لعبـاده . لتظهر للناس نعمة الله عليك وغناك عنهم . حتى لقد كنت تلبس برنس الخز وسبنجونة (بالفطو) من جلود الثعالب . وتركب الخيل المسومة .

ورأيتك مواسيا المنكوب فى ساعة العسرة . وان تباعد عنه أحبابه . فقد خرجت مع أبيك ومع أخيك . تودع الصحابى الجليـل . أبا ذر رضى الله عنه . وهو خارج الى الربذة مما أثر فى نفسه فخاطبكم قائلا رحمكم الله أهل بيت النبوة . مالى بالمدينة سكن ولا شجن غيركم . اذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورأيتك سخيا . تعطى بسؤال وبغير سؤال . ورآك قبـلى أبوك فى سخائك وجودك فوصفك قائلا : صاحب جفنـة وخوان . فتى من فتيـان قريش .

ورأيتك حلو الحديث . عف اللسان . لا تصدر عنك الكلمات النابية . كما كنت تأخذ أمورك بالروية فلا يذهب عنك الرشد بغضب أو تسرع ، كل

ذلك فى هيبة ووقار يحسب حسابهما صاحب السلطان فى عرشه ، حتى لقد قال معاوية : والله ما رأيته جالسا عندى الا خفت مقامه .

ورأيتك واصلا لسيداتنا أمهات المؤمنين ، رضى الله عنهن ، تزورهن كل يوم ، وتبرهن وتهدى اليهن ، فملأت عليهن بعض الفراغ الكبير الذى خلفه جدك صلى الله عليه وسلم حين اختار الله له الرفيق الأعلا .

ورأيتك حليما ، حلما شاد به خصومك ، حتى لقد قال مروان ، وهو ممن جرعكم الغيظ ، ان حلمه كان يوزن بالجبال .

ورأيتك جادا فى مواقف الجد ، فاذا رأيت ما يمس كرامتك ، زأرت فى وجه خصمك زئير الأسود ، لا ترهبك سطوته ، ولا يصدك سلطانه .

ورأيتك تثبت عند رأيك ، اذا اطمأنت اليه نفسك ، وهى نفس طاهرة ، فكنت تعتد به وتعتز ، وتقف حياله مدافعا ، حتى مع أبيك الذى تحبه ، وأخيك الذى تعزه .

ورأيتك خفت الله فى دماء المسلمين ، فلم ترد أن تلى أمر أمة محمد وتراق فى سبيل ذلك محجمة دم ، كما قلت حين تنازلت عن الخلافة لمعاوية ، على الرغم من معارضيك فى ذلك من أهلك وأنصارك المخلصين .

ورأيتك ملكت الدنيا وزهدت فيها ، فحققت ما قال به الصوفية الذين أخذوا عن أبيك المعرفة ، فقد قالوا : ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك ، بل الزهد ان تتركها من قلبك وهى فى يدك ، وهو ما كان منك بفضل الله .

ورأيتك تدرأ الحدود بالشبهات ، حين شكوت الى أخيك الامام الحسين ، السم الذى سقيته غدرا ومت به فقال لك أخبرنى من سقاك ، فقلت لتقتله ، قال نعم ، فقلت ما أنا بمخبرك ، ان يكن صاحبى الذى أظن ، فالله أشد نقمة ، والا فما أحب أن يقتل بى برىء ، فكنت رجل السلام مرة أخرى فى موطن تغلى فيه الصدور حقدا وانتقاما من الأعداء ، فما أعظم الورع .

وليت الغيب انكشف لخصومكم ، فرأوا ماجر عليهم ، وعلى ذراريهم، وعلى الأمة الاسلامية ، الطمع فى ملك الدنيا ، فكانوا تركوا الحق لأهله ، ولم يردوا على الله يوم القيـامة بأوزارهم ، حين تأتونه أنتم خفافا ، لـكم لا عليكم .

وقد يظن البعض ، انك خالفت سياسة أبيك ، فجنحت للسلم وحارب أبوك ، ولو دقق الباحث ، لرأى أن أباك كان رجل السلام ، وقد كان ينشده ويحاوله ما وسعه الجهد ، حتى مع الخوارج الذين ضلوا السبيل ، فما قاتل كرم الله وجهه خصومه ، الا بعد أن بصرهم ونصح لهم وأقنعهم ،ولكن الأهواء صمت آذانهم عن سماع الحق ، فلم يجد بدا من حربهم ، استعمالا لحقه ، وصيانة لسلطانه ، ولو أنه كان أراق دماءهم قطرة قطرة ،واستأصل شأفتهم ، ما كان آثما ، وقد أعذر من أنذر .

وكذلك كان أخوك الامام الحسين ، رجل سلام ، ولكن خصومه أكرهوه على القتال دفاعا عن نفسه ، وشرف دينه ، وكرامة أمته ، والتـاريخ خير شاهد .

وانك حين سالمت معاوية ، لم تخالف أباك ، ولم تقصد الى مخالفته ، بل اجتهدت رأيك فى ظرف غير ظرفه ، فقد بان لك غدر أصحابك بيقين ، حين اعتدوا عليك وطعنوك ، ونهبوا عسكرك ، فكيف كنت تقبل أن تكون مأمورا وأنت الأمير ، أو أن تكون تابعا وأنت المتبوع ، واذا كان ابن عمك عبيد الله بن عباس ترك لواءك ، وانحاز لمعاوية ليلا حيث اشترى منه ذمته بالمال ، فقد كان الشراء من غيره أهون على معاوية وأرخص ، وما أصدق أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين قال : ان فتنة الدنيا طغت على النفوس طغيانها الذى لا تجدى فيه الحيلة أو المحاولة .

ولقد كان أبوك فى حربه بعد المسالمة مجتهدا ، وكنت أنت فى سلمك بعد الاستعداد للقتال مجتهدا ، وكان أخوك فى قتاله مكرها مجتهدا ، ذلك بأن مواقفكم كلها خلت من الأهواء النفسـية والأغراض الدنيوية ، وكنتم تريدون خير الأمة ، وحفظ الدين الذى قام فى بيتكم ، فكان قيامه رحمة للعالمين .

وعلى ضدكم . كان خصومكم ، وانى أقيم الشهادة لله ، فقد تلبسوا بهوى النفوس . فجانبوا الحق ، وحادوا عن الصراط المستقيم . ولئن كانت حرمة الصحابة واجبة على كل مسلم . فحرمة آل البيت أوجب ، خاصة وأن الحق كان على الدوام فى جانبهم كما كانوا هم على الدوام فى جانب الحق ، لا شبهة فى ذلك . وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون .

فاذا كانت قريش قد حاجت العرب والأمصار بالنبوة ، فبنو هاشم كانوا أولى من بنى أمية بالخلافة . لا بالقرابة فحسب . ولكن بالسبق فى الاسلام ، والسبق فى الجهاد ، ذلك الى العلم والورع ، وهو أمر لايسبقهم فيه سابق ، ولا يلحقهم لاحق ، باعتراف بنى أمية أنفسهم ، ولم ينل أمير المؤمنين عثمان الخلافة على أنه أموى . بل نالها بسبقه وجهاده وسخائه . وهى سجايا شخصية له ميزته عن قومه من بنى أمية ، وحين كان عثمان فى السابقين الأولين . وفى المهاجرين الهجرتين ، كان معاوية وأبوه من ألد أعداء الاسلام .

واذا كان المهاجرون والانصار وأهل بدر ، قد بايعوا الامام على بالخلافة فى المدينة ، فقد كان معاوية فى دمشق ملزما بهذه البيعة. لأن هؤلاء هم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، والتزم معاوية ببيعتهم ، فما باله لم يلتزم ببيعتهم هذه المرة ، وما بال عمرو بن العاص يشاركه الخطيئه فى الخصومة التى قامت على الطلب بدم عثمان ، وكان عمرو من المحرضين على عثمان حتى قال : كنت القى الراعى فأحرضه على عثمان ، وحين علم بقتل عثمان فرح وقال : انا أبو عبد الله ما نكأت قرحة الا أدميتها ، كما كان عمرو أول من أشار على عثمان باعتزال الخلافة ، وثار فى وجهه وقاطعه على ملأ من الناس وقال له ، اتق الله يا عثمان فقد ركبت أمورا وركبناها معك ، فما تباكى عمرو على عثمان .

واذا كنا مطالبين بحفظ حرمة الصحابة ، فمعاوية وأعوانه من الصحابة ، مطالبون بكف النفس عن الهوى قبل غيرهم من الأجيال التى تليهم ، حتى لقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين نزل قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) ما كنت أحسب أن أحدا من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية ، ويقول العارفون تعقيبا على قوله ذلك : فكان ابن مسعود فى هذا المقام فانيا عن الدنيا .

واذا كان خصومكم قد اتخذوا دم عثمان ، رضى الله عنه ، تكأة لهم فى موقفهم من أبيك كرم الله وجهه ، فماذا صنعوا هم لقتلة عثمان حين صار لهم الملك والسلطان ، وما بالهم لم يقتصوا من الثوار . وما بالهم غنسوا ملك الدنيا ، وأرضوا ورثة عثمان بالفتات ، وببعض كلمات .

لقد خاصم أباك طلحة والزبير . وعاونتهما أم المؤمنين عائشة ،رضوان الله عليهم ، ولكنهم رجعوا الى الحق بعد آن تبين لهم . فانسحب الزبير عن المعركة . وجدد البيعة لأبيك طلحة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وطلبت سيدتنا عائشة من أبيك المنتصر فى واقعة الجمل العفو فعفا ، ودعت له بالمغفرة ، وتردد بعد ذلك عبد الله بن الزبير على مجلس أخيك الحسين ، يسمع منه ، ويأخذ عنه ، وكأن لم تكن بينكم وبينهم خصومة . ولا قتال سابق .

أما معاوية ، فأبى من دونهم الا كيدا ونفورا . وأعلنها حربا شعواء ، صلى المسلمون بنارها ، فى صفين حتى كان التحكيم . وقصة التحكيم ، كانت أخزى . علم الله ، من قصة الحرب . فاتفق أبو موسى مع عمرو على شىء ، وأعلنه أبو موسى فى براءة ، ونكث عمرو فى خديعة . فخلع عليا كما خلعه أبو موسى ، ولم يخلع معاوية ، كما كان الاتفاق . بل ثبت معاوية بغير حق من كتاب أو سنة .

ولم يكن معاوية طالب خلافة ، ولو أنه حرص على قيام الخلافة لرأى أن باك كان أحق بها وأهلها لكنه كان يهدف الى ملك الأكاسرة والقياصرة وكان المجتمع قد فتن بزخرف الدنيا . ولعبت الأموال والمناصب بأفئدة الناس وحين رأى الملك قد استوثق له ، ورثه لابنه يزيد من بعده ، فخرج عن مبدأ الشورى ، وهو من أقدس حقوق الأمة ، كما خرج عما شرطته أنت عليه فى شروط الصلح . أما مستشاره عمرو فقد ورثه معاوية مصر وخراجها. كما شرط عليه عمرو حين وقف الى جواره يؤازره .

فكيف بالله أجارى من يقول ان معاوية كان مجتهدا ، وهل كان مجتهدا حين أمر ولاته أن يسبوا أباك وأهلك على المنابر علانية على مسمع من الناس وأنتم الذين خلدكم بفضلكم كتاب الله الكريم .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد قتل حجر بن عدى بلا ذنب ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المجاهدين فى الفتوحات الاسلامية ، كما قتل أصحاب حجر ، وكان معاوية يندم على قتل حجر ويقول : ما قتلت أحدا الا علمت فيم قتلته الا حجرا ، فانى لا أعلم فيم قتلته ، وقد خالف معاوية فى قتل ذلك الصحابى ربه ، كما خالف ما شرطته أنت عليه فى الصلح من تأمين أصحابك وأصحاب أبيك .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد ألحق معاوية زيادا بأبى سفيان ، وكان لزياد أب معلوم هو عبيد ، والله تعالى يقول : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد أخذ البيعة لابنه يزيد ، نابذا الشورى وراء ظهره مع اشتهار يزيد بفسقه وفجوره ، وكان أخوك الامام الحسين علما خفاقا على ظهر الأرض ، يتمنى الناس امامته ، ولم يكن معاوية يجهل أن استخلاف يزيد فيه خروج عن حدود الله ، وفيه خروج على شروط الصلح ، فقد عرض عليك معاوية أن يكون الأمر لك من بعده ، فأبيت أنت الا أن يكون الأمر شورى بين المسلمين .

ولقد أراد معاوية أن يؤسس ملكا خالدا على الزمن لبنى سفيان ، ولكن قدر الله أن يموت يزيد فى شبابه بعد اعوام أربعة من حكمه بل أقل ، ثم تحول الملك سريعا الى مروان وبنيه ، ولم يكن ذلك ليسر معاوية، خاصة وأن مروان عارضه معارضة شديدة فى بيعة يزيد وقال له : فأقم الأمر يابن أبى سفيان واهدأ من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك فى قومك نظرا وان لهم على مناوأتك وزرا .

وما كان أقصر الملك فى بنى أمية بعد ذلك فقد انتزع العباسيون ملكهم الى غير رجعة بعد ستين سنة من مقتل الامام الحسين ، وبعد ان كان

عبد الله بن الزبير انتزع منهم الخلافة على أكثر بلاد الاسلام فى صدر دولتهم حتى قاتلوه وغلبوه وقتلوه .

وقد يسر أمرى فى دراسة موقف معاوية بعض أهله من الأمويين المنصفين ، فقد أبطل بدعة السب على المنابر ، أمير المؤمنين الأموى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فكان عمله هذا شهادة ضد معاوية فى باطله .

وحين تنازل معاوية الثانى بن يزيد عن الخلافة (التى بقى فيها أربعين يوما بعد موت أبيه) خطب خطبة زلزل بها دولة بنى أمية ومكن لخلافة عبد الله بن الزبير ، وقال معاوية الثانى فى تلك الخطبة يكشف عن معاوية الأول ويزيد :

« أيها الناس ، ان جدى معاوية ، نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منه . لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على بن أبى طالب، وركب بكم ما تعلمون ، حتى أتته منيته ، فصار فى قبره رهينا بذنوبه ، وأسيرا بخطاياه ، ثم قلد أبى الأمر فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه ، واخلفه الأمل . وقصر عنه الأجل ، وصار فى قبره رهينا بذنوبه ، وأسيرا بجرمه ، وان من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأباح الحرم ، وخرب الكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم — فشأنكم أمركم » .

وتلك شهادة أخرى على معاوية الأول من حفيده ، فان طعنوا فى شهادتنا نحن الآخرين ، فتلك شهادة أهله الأولين .

أما عمرو بن العاص ، فقد عاون معاوية ، وعادى أهل البيت ، وشهد بنفسه على نفسه ، وهو يحتضر ، فندم على ما فرط منه ، فقد روى عنه ابن عباس رضى الله عنهما أنه حين احتضر قال : اللهم خذ منى حتى ترضى ، اللهم أمرت فعصينا ، ونهيت فركبنا ، فلا برىء فأعتذر ، ولا قوى فانتصر ، ولكن لا اله الا الله ، يقول ابن عباس فجعل يرددها حتى فاض .

وانى أقول بعد أن سردت كارها لمعاوية وعمرو تلك المساوىء كما نقلها ثقاة المؤرخين : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رءوف رحيم .

أيها السبط الكريم :

ان ما وقع لكم من الدنيا وأهلها ، يحير الألباب . لكننا أخذنا عنكم الرضا بالمقدور ، وان كان مرا . فذلك من علامات اليقين بالله . ولقد قال أخوك الامام الحسين : فاذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا .

كما أخذنا عنكم أن أفعال الله كلها حسنة ، وان خالفت هوانا ، لأن حكمة الله دقت فخفيت عن العقول . هذا فى باطن الأمر ، أما فى ظاهره ،فقد علل تلميذك وابن أخيك الامام على زين العابدين ما وقع لكم خير تعليل حين قال :

عتبت على الدنيا فقلت الى متى	أكابدهما بؤسه ليس ينجلى
أكل شريف من على نجاره	حرام عليه العيش غير محلل
فقالت نعم يا ابن الحسين رميتكم	بسهمى عناد منذ طلقنى على

فأشار الى ما كان قاله أبوك أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وهو يخاطب الدنيا : اليك عنى يادنيا ، الى تعرضت . أم الى تشوقت ، هيهات غرى غيرى . لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها .

أيها السبط الكريم :

لقد خفت الله فى دماء المسلمين ، فحفظت دماء خصومك ، كما حفظت دماء أنصارك ، وصالحت معاوية ، وتنازلت له عن خلافة كانت فى يدك ببيعة شرعية ، فهل خافوا الله فى دمائك ، كلا والله بل خانوا وما خافوا ، فأماتوك مسموما ، فما أبعد المدى بينك وبينهم ، حين حرصوا على دنيا سرعان ما زالت عنهم ، وحرصت أنت على أخرى تدوم ولا تزول .

أيها السبط الكريم :

كذلك حرصت ، وانت تلفظ أنفاسك الأخيرة ، على السلام والوئام ، كعهدك دائما ، فأوصيت أخاك الامام الحسين أن يدفنك الى جنب جدك المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فان أبوا فلا يقاتلهم . وليدفنك الى جنب أمك السيدة الزهراء ، فالى جنة الخلد ورضوان من الله أكبر .

وأشهد بالله أن المعتدين عليكم ، والسافكين دماءكم الزكية ، قد أسرفوا على أنفسهم ، وجاوزوا الحد فى السرف ، فباعوا الدين بالدنيا واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، ولقد صدق ابراهيم النجفى حين كان يقول: لو كنت قاتل الحسين ثم دخلت الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولئن كان ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول ذل دخل على العرب موت الحسن . فقد قال زيد بن أرقم رضى الله عنه بعد ذلك عندما جىء برأس أخيك الامام الحسين الى اللعين ابن زياد : انتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ويستعمل شراركم .

سيدى السبط الكريم :

حقا لقد فقد المسلمون بفقدكما امامين كان كل منهما فى زمانه وحيد نسجه ، وأحب أهل الأرض الى أهل السماء ، وكفى بها خسارة يجل عنها العزاء . الا أن يأتينا من يقينكم ونوركم وبلاغتكم من مثل ما قاله أخوك الامام الحسين مواسيا اختك الطاهرة السيدة زينب رضى الله عنها حين رأى هلعها فى واقعة كربلاء المشئومة حيث قال لها :

اتق الله ، وتعزى بعزاء الله ، واعلمى أن أهل الأرض يموتون . وأهل السماء لا يبقون . وأن كل شىء هالك الا وجه الله . أبى خير منى . وأمى خير منى . وأخى خير منى ، ولى ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة .

سيدى السبط الكريم :

لئن عجز بيانى عن الوفاء بحقك فى هذا الكتيب . فلتغفر لسميك وتابعك عجزه ، ورحم الله أبوى فقد سمياني باسمك . فأسعدانى بذمة صارت لى منك ومن سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أهنأنى بها ،

كما أنى كذلك محب لسادتى آل البيت الكرام وأقول ما قال أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل فى الهامه المشرق من كلام طويل .

ومهما ألام على حبهم فلست الفتى خائف اللائمه
اذا مس نفسى فتور المعاصى بذكرهمو أصبحت هائمه
فيا عاذرى ثم يا عاذلى سواء رضاك أو اللائمه
فقل ماتشاء وكن ما تشاء فانى أحب بنى فاطمه

والسلام عليك ، أيها الخليفة الخامس ، فى الخلفاء الراشدين ، وفى أمراء المؤمنين ، والتحيات الطيبات لك فى عليين ؛ ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد .

والى كل محب لسادتى آل البيت الكرام ؛ وناصر للحق وأهله . اقدم الكتيب ، طامعا فى دعوة صالحة من كل قارىء وقارئة ، وراجيا أن ينفع الله به ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

المؤلف

*

البـــاب الأول

تاريخه الشخصي

* نسبه   * جهاده

* علمـــه   * أسرته

*

نسبه الشريف رضي الله عنه :

هو أمير المؤمنين الامام أبو محمد الحسن السبط خامس الخلفاء الراشدين رضى الله عنه ، وأبوه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه ، وأمه السيدة فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى سيدة نساء العالمين طرا .

قالت أم الفضل : يا رسول الله رأيت كأن عضوا من أعضائك فى بيتى؛ قال رأيت خيرا ، تلد فاطمة غلاما فترضعيه بلبن قثم، فولدت الحسن فأرضعته بلبن ابنها قثم .

(وأم الفضل هى السيدة لبابة بنت الحارث الهلالية، أول امرأة أسلمت بعد السيدة خديجة بمكة ، وهى زوج سيدنا العباس بن عبد المطلب ، يقال لها لبابة الكبرى . أخت السيدة ميمونة أم المؤمنين ، وخالة سيدنا خالد بن الوليد ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يزورها ، ويقيل عندها ، وكانت من المنجبات ، ولدت للعباس ستة رجال ، أحدهم القثم) .

وقد شرفه جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما شرف أخاه الامام أبا عبد الله الحسين السبط بأن نسبهما اليه بالبنوة ، وان كانا من صلب على كرم الله وجهه .

روى الترمذى من حديث أسامة بن زيد قال : طرقت النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الحاجة فقال : هذان ابناى وابنا ابنتى . اللهم انى أحبهما ، فأحبهما وأحب من يحبهما .

لذلك يقال لكل من السبطين الحسين والحسين : يا ابن المصطفى . وكانا رضوان الله عليهما يعتزان بأبوته صلى الله عليه وسلم ويهتفان به فيقول كل منهما له صلى الله عليه وسلم « يا أبت » فاذا هتف الحسن بأبيه على قال له : يا أبا الحسين : واذا هتف الحسين بأبيه قال له : يا أبا الحسن . فلما انتقل جدهما صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلا كانا يقولان لأبيهما « ياأبت».

كما روى عنه صلى الله عليه وسلم من وجوه أنه قال فى الحسن والحسين : انهما سيدا شباب أهل الجنة . لذلك كانت أمهما تناديهما فتقول :

يا حسنان مرة ويا حسينان مرة أخرى ، من باب المزج التغليب ، رضى الله عنهم أجمعين .

الامام على كرم الله وجهه :

ولد الامام على فى الكعبة يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ٣٠ من عام الفيل ، وتوفى شهيدا قبل فجر ليلة الجمعة ٢١ من رمضان سنة ٤٠ هـ وهو ابن ثلاث وستين .

وفضائله كرم الله وجهه فى الاسلام أشهر من أن تذكر وكفاه شرفا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فى الناس وكانوا قد شكوا اليه عليا فقال : « أيها الناس لا تشكوا عليا ، فوالله انه لجيش فى ذات الله » .

وحين آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار قال له: « أنت أخى » وياله من شرف كبير .

وقد خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته فى المدينة حين خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك ، فبكى كرم الله وجهه وقال يارسول الله تخلفنى على النساء والصبيان ، لأنه كان يشتاق للجهاد فى سبيل الله فيقاتل أعداء الله ، فطيب صلى الله عليه وسلم خاطره وقال له :

أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى .

وفى خيبر قال صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فتطاول لها الصحابة ، حتى قال عمر رضى الله عنه ، ما أحببت الا مارة الا ذلك اليوم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادعوا لى عليا ، فأتاه وبه رمد ، فبصق فى عينيه ، ورفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

وروى أبو بكر الانبارى فى أماليه ، ان عليا عليه السلام جلس الى عمر فى المسجد ، وعنده ناس ، فلما قام عرض واحد بذكره ، ونسبه الى

التيه والعجب ــ فقال عمر : حق لمثله أن يتيه والله لولا سيفه ، لما قام عمود الاسلام ، وهو بعد أقضى الأمة وذو سابقتها وذو شرفها .

وقد كان عبد الله بن عباس تلميذا لامامنا على كرم الله وجهه ، وعرف ابن عباس بالتبحر فى العلم حتى وصف بأنه « حبر الأمة وترجمان القرآن »، ولما سئل ابن عباس : أين علمك من علم ابن عمك ، قال كنسبة قطـرة من المطر الى البحر المحيط .

وقد قال له عمر رضى الله عنه : لا ابقانى الله بأرض لست بها يا أبا الحسن ؛ كما قال : لولا على لهلك عمر .

وقد قال أبو عبيدة رضى الله عنه ، ارتجز الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه تسع كلمات قطع الأطماع عن الالتحاق بواحدة منهن ، ثلاث فى المناجاة وثلاث فى العلم وثلاث فى الأدب .

فأما التى فى المناجاة فهى قوله : كفانى عزا أن تكون لى ربا ، وكفى بى فخرا أن أكون لك عبدا . أنت لى كما أحب ، فوفقنى لما تحب .

وأما التى فى العلم فهى قوله : المرء مخبوء تحت لسانه ، فتـكلموا تعرفوا ، ما ضاع امرؤ عرف قدره .

وأما التى فى الأدب فهى قوله : أنعم على من شئت تكن أميره،واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره .

وروى أبو الفرج فى كتاب الأغانى أن ابن عباس سمع قصيدة لعمر بن أبى ربيعة مرة واحدة فحفظها وأعادها وما سمعها قط الا تلك المرة صفحا (أ ى مرورا) ثم أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة فقال له بعضهم مارأيت أذكى منك قط فقال لكننى ما رأيت قط أذكى من على بن أبى طالب عليه السلام .

ولا يفوتك أن الامام عليا كرم الله وجهه ، تربى من طفولته فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشملته بركاته من الصبا ، واستمع الى ما يقوله ابن أبى حديد فى شرح نهج البلاغة فى مناقب امامنا على كرم الله وجهه :

« اجتمع للامام على بن أبى طالب من صفات الكمال . ومحمود الشمائل والخلال ، وسناء الحسب . وباذخ الشرف . مع الفطرة النقية ، والنفس المرضية ، ما لم يتهيأ لغيره من أفذاذ الرجال .

« تحدر من أكرم المناسب ، وانتمى الى أطيب الأعراق . فأبوه . أبو طالب . عظيم المشيخة من قريش ، وجده عبد المطلب ، أمير مكة . وسيد البطحاء ، ثم هو قبل ذلك من هامات بنى هاشم وأعيانهم ، وبنو هاشم كانوا ، كما وصفهم الجاحظ « ملح الأرض » وزينة الدنيا وحلى العالم . والسنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف ، والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم . وينبوع العلم .

« واختص بقرابته القريبة من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فكان ابن عمه ، وزوج ابنته وأحب عترته اليه ، كما كان كاتب وحيه ، وأقرب الناس الى فصاحته وبلاغته ، وأحفظهم لقوله ، وجوامع كلمه » .

« أسلم على يديه صبيا ، قبل أن يمس قلبه عقيدة سابقة . أو يخالط عقله شوب من شرك موروث . ولازمه فتيا يافعا ، فى غدوه ورواحه . وسلمه وحربه ، حتى تخلق بأخلاقه ، واتسم بصفاته ، وفقه عنه الدين ، وثقف ما نزل به الروح الأمين ، فكان من أفقه أصحابه وأقضاهم وأحفظهم وأوعاهم ، وأدقهم فى الفتيا ، وأقربهم الى الصواب ، وحتى قال فيه عمر : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن » .

« وكانت حياته كلها مفعمة بالأحداث ، مليئة بجلائل الأمور ، فعلى عهد الرسول عليه السلام ، ناضل المشركين واليهود ، فكان فارس الحلبة ومسعر الميدان ، صليب النبع جميع الفؤاد.. وفى أيام خلافته كانت له أحداث أخرى ، لقى فيها ما لقى من تفرق الكلمة ، واختلاف الجماعة وانفصام العروة ، ما طوى أضالعه على الهم والأسى ، ولاع قلبه بالحزن والشجن .

وفى كل ما لقى من أحداث وأمور ، وما صادف من محن وخطوب ، بلى الناس وخبرهم ، وتفطن لمطاوى نفوسهم ، واستشف ما وراء مظاهرهم ، فكان العالم المجرب الحكيم ، والناقد الصيرفى الخبير .

« وكان لطيف الحس ، نقى الجوهر ، وضاء النفس . سليم الذوق . مستقيم الرأى ، حسن الطريقة ، سريع البديهة ، حاضر الخاطر ، حولا قلبا ، عارفا بمهمات الأمور اصدارا وايرادا .

بل كان كما وصفه الحسن البصرى : « سهما صائبا من مرامى الله على عدوه ، وربانى هذه الأمة ، وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابتها من رسول الله صلى عليه وسلم . لم يكن بالنئومة عن أمر الله ، ولا بالملومة فى دين الله، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض مونقة ، وأعلام مشرقة . ذاك على بن أبى طالب » .

هذا . وقد كان امامنا على كرم الله وجهه . أول هاشمى من أبوين هاشميين . فاجتمعت له صفات بنى هاشم التى اشتهروا بها مثل الشجاعة ، والكرم . والوفاء ، والمروءة . والذكاء والعفة والترفع عن الدنايا ، ذلك الى القوة الجسدية التى ميزتهم واختص بها كثير من رجالاتهم . وأبرزهم امامنا على وأبناؤه . وخص الى جانب تلك الصفات بنفح الهى ، والهام قدسى . فتفجرت من قلبه عيون العلم والحكمة فى بلاغة رائعة . وبيان محكم ، ويعده العارفون امامهم الذى يأخذون عنه حتى قال سيد الصوفية فى القرن الثالث الامام أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه فى شأنه : لو لم تشغله الحروب لأفادنا فى علمنا هذا معانى جليلة ذاك امرؤ أعطى علم اللدنى .

وكان امامنا على كرم الله وجهه أصغر اخوته . وأكبر منه جعفر وعقيل وطالب . وبين كل منهم وأخيه عشر سنين ، ولما أصاب القحط قريشا ، أهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعميه حمزة والعباس أن يخففوا عن أبى طالب عبأه . فأخذ صلى الله عليه وسلم عليا ، وأخذ العباس طالبا ، وأخذ حمزة جعفرا .

ومن شعر امامنا على الذى يتحدث فيه بنعمة الله عليه قوله :

محمد النبى أخى وصهرى   وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى   يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى   مشوب لحمها بدمى ولحمى

وسبطا أحمد ابناى منها فمن منكم له سهم كسهمى
سبقتكمو الى الاسلام طرا! صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت فردا فمن منكم له يوم كيومى

وقد ظل كرم الله وجهه حافظا لبنيانه المكين الذى كان له فى شبابه حتى ناهز الستين ، حتى انه كان يمسك بذراع الرجل فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس ، واشتهر عنه أنه لم يصارع أحدا الا صرعه ، ولم يبارز أحدا الا قتله ، وقد يزحزح الحجر الضخم لا يزحزحه الا رجال ، ويحمل الباب الكبير فيعيى بقلبه الأشداء ، وقد عجب الصحابة من أنه رفع باب الحصن فى خيبر بيد واحدة فشق على عشرات منهم أن يرفعوه جماعة، فكلموه فى ذلك فابتسم وقال : انما هو عون الله ومدده ، وكذلك كان يصيح الصيحة فتنخلع لها قلوب الشجعان .

ولقد قتل فى موقعة الخندق ، عمرو بن ود ، فارس شبه الجزيرة العربية ، الذى قدره أصحابه وأعداؤه بالف رجل ، فكانت أخت عمرو تواسى نفسها وتقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت فى الأبد
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وكان امامنا على فى واقعة الخندق فتى ناشئا ، فكانت شجاعته من أندر الشجاعات التى عرفها التاريخ ، وفى فتح مكة استجار رجلان بأخته أم هانىء فأجارتهما ، ودخل دارها أخوها على ليقتلهما ، فقالت له انى قد أجرتهما ، فهم بقتلهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أهدر دمهما ، فأمسكت بيده وهو قابض سيفه فلم يستطع أن يفك يده منها الا بعد أن أفلت منه الرجلان هاربين ، فذهبت تشكو أخاها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع شكواها امامنا على وهو يضحك ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا رسول الله لقد قبضت على يدى فلم أستطع منها فكاكا حتى أفلت الرجلان فقال صلى الله عليه وسلم مطيبا خاطرها ، قد أجرنا من أجرت ياأم هانىء ، ثم قال لامامنا على : لا سبيل لك عليهما ، وعقب صلى الله عليه وسلم قائلا : لو ولد الناس كلهم أبو طالب لكانوا شجعانا .

السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها :

كانت السيدة فاطمة رضوان الله عليها أثيرة عند أبيها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فكانت أحب بناته اليه ، ولقبت بالزهراء ، وولدت والكعبة تبنى ، والنبى صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين . وقد توفيت بعد أبيها بستة أشهر وقيل بثلاثة أشهر وكانت فى الثلاثين من عمرها ، وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشرة من الهجرة .

وجاء فى الصحاح عن المسور بن مخرمة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول : « فاطمة بضعة منى ، يريبنى مارابها ويؤذينى ما آذاها » .

وعن على كرم الله وجهه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم لفاطمة : « ان الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك » .

وحدثت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابنتى ، ثم أجلسها عن يمينه فأسر اليها حديثا فبكت ، ثم أسر اليها حديثا فضحكت ، فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض سألتها ، فأخبرتنى أنه أسر الى فقال ان جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة ، وانه عارضنى العام مرتين ، وما أراه الا وقد حضر أجلى ، وانك أول أهلى لحوقا بى . ونعم السلف أنا لك فبكيت ، فقال ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين فضحكت .

أقول : و لايتعارض ذلك مع قول الملائكة لمريم عليها السلام (ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) . فان مريم عليها السلام كانت مصطفاة على نساء العالمين فى زمانها ، واما سيدتنا الزهراء فمصطفاة على نساء العالمين جميعهن ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وكان صلى الله عليه وسلم ، اذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يأتى الى باب فاطمة بعد زواجها من الامام على ، فيأخذ

بعضادتى الباب . ويقول السلام عليكم أهل البيت ، الصلاة ، الصلاة ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا .

وكان صلى الله عليه وسلم ، اذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم ثنى ببيت فاطمة رضى الله عنها ، ثم يأتى بيوت نسائه .

وقد تزوج بها الامام على فى أول محرم سنة سنتين . وكان قد خطبها أبو بكر وعمر فلم يجبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : أنت لها يا على ، فقال مالى من شىء الا درعى أرهنها فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ، فلما بلغ ذلك فاطمة بكت . فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك تبكين يا فاطمة ، فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علما، وأفضلهم حلما ، وأولهم سلما . وفى رواية أخرى قال لها زوجك الله ورسوله فطاب خاطرها لأن زواجها كان بوحى الله تعالى .

والى زواجها بوحى من الله . يشير العارف بالله سيدى الشيخ أحمد الحلوانى (والد شيخى العارف بالله سيدى عبد السلام الحلوانى) رضى الله عنهما . من قصيدة طويلة وطريفة فى مدح آل البيت رضى الله عنهم فيقول :

أتى الوحى أن تجلى عروس الحيدر	فيا شرفا أضحى به الكون مفترا
ليهن بنيه المجد نظم هكذا	نبى الهدى فاطرب وحيدر والزهرا

أقول ، وقد كانت أم امامنا على — وهى السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف التى كفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قميصه رضى الله عنها . سمته حين وضعته حيدرة والحيدرة هو الأسد ليكون اسمه مشابها لاسم أبيها ، فسماه أبوه « عليا » وبه اشتهر .

وقد حدثت أم رافع عن وفاة السيدة فاطمة الزهراء فقالت . مرضت فاطمة ، فلما كان اليوم الذى توفيت فيه قالت لى يا أمه ، اسكبى لى غسلا. فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل . ثم لبست ثيابا لها جددا ، ثم قالت اجعلى فراشى وسط البيت ، فاضطجعت عليه ، واستقبلت القبلة ، وقالت يا أمه انى مقبوضة الساعة ، وقد اغتسلت فلا يكشفن لى أحد كنفا فماتت ، فجاء على، فأخبرته فاحتملها ودفنها بغسلها ذلك .

وقد حزن كرم الله وجهه لفقدها حزنا شديدا ، وقال فيما عزى به نفسه .

وان افتقادى فاطما بعد أحمد دليل على ألا يدوم خليل

ولا غرابة ، فيما أكرمت به عند وفاتها ، فهى صفية رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهى أم الأئمة فى هذه الأمة ، وهى بنت أم المؤمنين السيدة خديجة التى أقرأها الله السلام ، والاسعاد اعطاء ، كما قال العارفون من العلماء .

وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها ، أى الناس أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة . فقيل من الرجال ، قالت زوجها ، ان كان ما علمت صواما قواما .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خيم خيمة . وهو متكىء على قوس عربية ، وفى الخيمة على وفاطمة والحسن والحسين فقال : « معشر المسلمين ، انا سلم لمن سالم أهل الخيمة . حرب لمن حاربهم ، ولى لمن والاهم ، لا يحبهم الا سعيد الجد طيب المولد ، ولا يبغضهم الا شقى الجد ردىء الولادة » .

وفى هذه المناسبة ، نهدى السادة القراء القصيدة التى جادت بها قريحة الشاعر المسلم العبقرى السيد محمد اقبال شاعر الباكستان العظيم ، فى السيدة الزهراء وآلها وقد ترجمها من الفارسية الى العربية صديقى العلامة الشيخ الصاوى شعلان :

نسب المسيح بنى لمريم سيرة بقيت على طول المدى ذكراها
والمجد يشرق من ثلاث مطالع فى مهد فاطمة فما أعلاها
هى بنت من . هى زوج من . هى أم من منذا يدانى فى الفخار أباها
هى ومضة من نور عين المصطفى هادى الشعوب اذا تروم هداها
هو رحمة للعالمين وكعبة الـ آمال فى الدنيا وفى أخراها
من أيقظ الفطر النيام بروحه وكأنه بعد البلى أحياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة مثل العرائس فى جديد حلاها
ولزوج فاطمة بسورة هل أتى تاج يفوق الشمس عند ضحاها

أسد بحصن الله يرمى المشكلا ... ت بصبيقل يمحو سطور دجاها

ايوانه كوخ وكنز ثرائه ... سيف غدا بيمينه تياها

فى روض فاطمة نما غصنان ام ... ينجبهما فى النيرات سواها

فأمير قافلة الجهاد وقطب دا ... ئرة الوئام والاتحاد ابناها

حسن الذى صان الجماعة بعدما ... أمسى تفرقها يحل عراها

ترك الامامة ثم أصبح فى الديا ... و امام ألفتها وحسن علاها

وحسين فى الابرار والاحرار ما ... أزكى شمائله وما أنداها

فتعلموا رى اليقين من الحسين ... اذا الحوادث أظلمت بدجاها

وتعلموا حرية الايمان من ... صبر الحسين وقد أجاب نداها

الأمهات يلدن للشمس الضياء ... وللجواهر حسنها وصفاها

ما سيرة الابناء الا الامها ... ت فهم اذا بلغوا الرقى صداها

***

هى أسوة للأمهات وقدوة ... يترسم القمر المنير خطاها

لما شكا المحتاج خلف رحابها ... رقت لتلك النفس فى شكواها

جادت لتنقذه برهن خمارها ... يا سحب أين نداك من جدواها

نور تهاب النار قدس جلاله ... ومنى الكواكب ان تنال ضياها

جعلت من الصبر الجميل غذاءها ... ورأت رضا الزوج الكريم رضاها

***

فمها يردد آى ربك بينما ... يدها تدير على الشعير رحاها

بلت وسادتها لآلى دمعها ... من طول خشيتها ومن تقواها

جبريل نحو العرش يرفع دمعها ... كالطل يروى فى الجنان رباها

لولا وقوف عند أمر المصطفى ... وحدود شرعته ونحن فداها

لمضيت للتطواف حول ضريحها ... وغمرت بالقبلات طيب ثراها

مولد الامام الحسن رضى الله عنه :

روى ابن ابى حديد بسنده فى شرح نهج البلاغة ، ان الامام الحسن عليه السلام ولد للنصف الأول من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ؛ وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسنا » .

وروى الامام أحمد بسنده عن على كرم الله وجهه ، قال لما ولدالحسن سميته « حربا » فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ما سميتوه ، قال : قلت « حربا » قال بل هو « حسن » فلما ولد الحسين سميته حربا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ماسميتوه قلت « حربا » قال : بل هو (حسين) فلما ولد الثالث سميته « حربا »فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ما سميتوه ، قلت « حربا » قال بل هو (محسن) ثم قال سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر.

وروى ذلك الحديث ابن الاثير فى أسد الغابة فى ترجمة الحسين ، كما رواه الامام أحمد الا أسماء ولد هارون ، ثم قال وعن عمران بن سليمان قال الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة ، لم يكونا فى الجاهلية .

وقد جاء فى الحديث الشريف : « ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه، وجعل ذريتى فى صلب على » .

يوم سابعه رضى الله عنه :

عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام ، والعقيقة ذبيحة تذبح ليطعم منها الفقراء شكرا لله تعالى الذى وهب المولود .

وروى جعفر بن محمد عليه السلام ، ان فاطمة عليها السلام حلقت حسنا وحسينا يوم سابعهما ، ووزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضه .

وكانت السيدة الزهراء ترقص الحسن وتقول فى طرب :

أشبه أباك يا حسن ... واخلع عن الحق الرسن
واعبد الها ذا منن ... ولا توال ذا الاحن

شكله رضى الله عنه :

روى البخارى عن عقبة بن الحارث قال : صلى بنا أبو بكر العصر، ثم خرج ، فرأى الحسن بن على يلعب ، فأخذه فحمله على عنقه وهو يقول بأبى شبيه بالنبى ، ليس شبيها بعلى ، وعلى يضحك .

وفى الترمذى عن طريق الزهرى عن أنس قال : لم يكن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن .

القابه رضى الله عنه :

يلقب رضى الله عنه بألقاب كثيرة وهى : التقى والطيب والزكى والولى والسبط والسيد ، وأمير المؤمنين ، وأشهرها السبط ، وأعلاها السيد ، فقد روى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن على معه وهو يقبل على الناس مرة ، وعليه مرة ، ويقول: «ان ابنى هذا سيد . ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ، وكذلك السبط ، والسبط فى اللغة ولد الولد ، والأسباط فى بنى اسرائيل تقابل القبائل عند العرب ، فكأنه رضى الله عنه أمة وحده فى خصال الخير .

وقال صلى الله عليه وسلم فيه وفى أخيه الامام الحسين رضى الله عنهما وعن ذويهما : « انهما سيدا شباب أهل الجنة » .

كنيته رضى الله عنه :

يكنى رضى الله عنه بأبى محمد ، كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما جاء فى تهذيب الاسماء .

مكانته رضى الله عنه عند جده صلى الله عليه وآله :

روى البخارى عن أسامة ، كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلسنى والحسن بن على فيقول : « اللهم انى أحبهما فأحبهما » وقد مر عليك ما رواه البخارى عندما لقبه رسول الله صلى الله عليم وسلم بالسيد .

وجاء فى كتاب الاصابة عن عبد الله بن الزبير ، أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم اليه ، الحسن بن على ، رأيته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره ، فما ينزل حتى يكون هو الذى ينزل ، ولقد رأيته يجىء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وروى البخارى ومسلم بسندهما عن البراء أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن بن على على عاتقه يقول « اللهم أنى أحبه فأحبه » .

وروى الترمذى بسنده فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا الحسن بن على على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ونعم الراكب هو » .

والبنوة التى شرفه بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وقوله انما هما ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما ، أيدها القرآن الكريم فى آية المباهلة وهى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

فقد جاء صلى الله عليه وسلم بالحسن والحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول لهم ان أنا دعوت فأمنـوا . وقد أبى أهل نجـران المباهلة خشية أن يصيبهم عذاب الله ورضوا بدفع الجزية « تفسير الامام القرطبى » .

وعند أحمد من طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبى هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه ، وهذا على عاتقه . وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى الينا ، فقال : « من أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى » .

وروى الطبرانى عن جعفر بن محمد عن أبيه ، ان النبى صـلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا . قال ولم يبايع صغيرا الا منا .

مكانة الامام الحسن عند أبيه رضى الله عنهما :

كان امامنا على كرم الله وجهه يعز الحسن والحسين معزة خاصـة ، لمكانهما من رسـول الله صلى الله عليـه وسلم . حتى أنه كان يضن بهما فى الحرب خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسـلم فى الأرض ، فكان يؤخرهما ويقول لاصحابه : املكوا عنى هذين لئلا يهدانى

لأنى أخشى أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله فى الأرض ، بينما كان يدفع الراية لأخيهما من أبيهما محمد بن الحنفية ويقول له تقدم ؛ وأراد الدساسون أن يستغلوا ذلك استغلالا سيئا فقالوا لمحمد لم يغرر بك أبوك فى الحرب ويؤخر الحسن والحسين فقال فى نفس زكية طاهرة : وعقل راشد راجح : انما هما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه .

وكان الامام على كرم الله وجهه ، يفطر فى رمضان عند ابنه الامام الحسن يوما وعند ابنه الامام الحسين يوما ، وعند ابن أخيه عبد الله بن جعفر يوما .

وكان أصحاب الامام على كرم الله وجهه يعلمون مكانة السبطين الكريمين عند أبيهما . فأهدى أحد أصحابه مرة لكل منهما هدية ، ولم يهد شيئا لأخيهما محمد بن الحنفية ؛ فخشى أبوه أن يتأثر فى نفسه ،فوضع يده على عاتقه وقال مخاطبا له ومطيبا خاطره :

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لم تصبحينا

ففهم الرجل الاشارة ، وقدم هدية أخرى لأخيهما محمد بن الحنفية رضى الله عنهم أجمعين ، وقد كان محمد شديد القوى ، حتى انه كان يلوى الحديد فلا يقيمه غيره ، ومن شابه أباه فما ظلم .

مكانته رضى الله عنه عند اجلاء الصحابة :

كان للسبطين الكريمين مكانتهما الخاصة عند أجلاء الصحابة لأنهم رضوان الله عليهم ، كانوا يحبون بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغضون ببغضه .

وقد مرعلى القارىء العزيز ان امامنا الصديق رضى الله عنه كان يحمل الحسن على عاتقه ويقول بابى شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى .

وقد فرض أمير المؤمنين عمر للحسن والحسين عليهما السلام مثل فريضة أهل بدر ، فقد روى ابن الجوزى : أدخل عمر فى أهل بدر ممن لم يحضروا بدرا أربعة : الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان ففرض لكل واحد خمسة آلاف .

وقال أمير المؤمنين عمر لقومه من بنى عدى : والله ما أدركنا الفضل فى الدنيا الا بمحمد ولا نرجو ما نرجو من الآخرة وثوابها الا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهو شرفنا ، وقومه أشرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب .

مقام الامام الحسن رضى الله عنه فى أهل البيت

كان الامام الحسن رضى الله عنه عميد أهل البيت بعد أبيه ، وقد اختلف العلماء فى تعريف أهل البيت اختلافا كبيرا كما يستدل من المراجع الواسعة ، وللامام الجلال السيوطى بحث مستفيض فى أهل البيت أورده فضيلة صديقى الصالح العلامة الشيخ أحمد فهمى فى رسالته المباركة عن السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما .

وانى أنقل منه فى ايجاز ما يأتى :

١ — اخرج مسلم والنسائى عن زيد بن أرقم قال : قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال اذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا ، فقيل لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته ؟ قال : أهل بيته ، من حرم عليهم الصدقة بعده ، قيل ومن هم ، قال آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس .

٢ — ان أولاد بنات الانسان لا ينسبون اليه ، وان كانوا معدودين فى ذريته ، حتى لو أوصى لأولاد أولاد فلان يدخل فيه ولد البنت .

٣ — ان أولاد البنات لا يشاركون أولاد الحسن والحسين عليهم السلام فى انهم ينسبون الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد فرق الفقهاء بين من يسمى ولدا للرجل وبين من ينسب اليه ، ولهذا قالوا لو قال :وقفت على أولادى دخل ولد البنت ، ولو قال ، وقفت على من ينسب الى من أولادى لم يدخل ولد البنت .

وقد ذكر الفقهاء من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ينسب اليه أولاد بناته ، ولم يذكروا ذلك فى أولاد بنات بناته ، فالخصوصية للطبقة العليا فقط ، فأولاد فاطمة عليها السلام الأربعة ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم . ..

وأولاد الحسن والحسين ينسبون اليهما — فينسبون اليه صلى الله عليه وسلم — أما أولاد زينب وأم كلثوم فينسبون الى أبيهم عبد الله بن جعفر وعمر بن الخطاب ، لا الى الأم ولا الى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته ، وانما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التى ورد الحديث بها ، وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين •

فقد أخرج الحاكم فى المستدرك عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل بنى أم عصبة الا ابنى فاطمة أنا وليهما وعصبتهما » فانظر الى لفظ الحديث ، كيف خص الانتساب والتعصيب بالحسن والحسين دون اختيهما ، لأن أولاد اختيهما انما ينسبون الى آبائهم •

ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفا ، ولو كانت الخصوصية عامة فى أولاد بناته وان نزلن ، لكان ابن كل شريفة شريفا تحرم عليه الصدقة وان لم يكن أبوه كذلك كما هو معلوم •

ولهذا حكم صلى الله عليه وسلم لابنى فاطمة دون غيرها من بناته ، لأن اختها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تعقب ذكرا ، حتى يكون كالحسن والحسين فى ذلك ، وانما اعقبت بنتا هى امامة بنت أبى العاصى بن الربيع ، فلم يحكم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم مع وجودها فى زمنه ، فدل على أن أولادها لا ينسبون اليه لأنها بنت بنته ، واما هى فكانت تنسب اليه بناء على أن أولاد بناته ينسبون اليه ، ولو كان لزينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن والحسين فى أن ولده ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم •

٤ — وشرف ذرية السبطين عام ، لا فرق فيه بين أولاد ذكورهما ، وأولاد اناثهما ، لأبوة النبى صلى الله عليه وسلم ، كتابا وسنة واجماعا ، واليك ما وقع بين الحجاج والشعبى :

فى مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول ، لمحمد بن طلحة ، قال ، قد نقل ان الشعبى كان يميل الى آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان

لا يذكرهم الا وهو يقول : هم أبناء رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وذريته .

فنقل عنه ذلك الى الحجاج بن يوسف ، وتكرر ذلك عنه ، وكثر نقله عنه ، فأغضبه ذلك من الشعبى ، ونقم عليه ، فاستدعاه الحجاج يوما ، وقد اجتمع لديه أعيان المصرين ، الكوفة والبصرة ، وعلماؤهما وقراؤهما ، فلما دخل الشعبى لم يهش له ، ولا وفاه حقه من الرد عليه ، فلما جلس قال له يا شعبى . ما أمر بلغنى عنك . فيشهد عليك بجهلك ، قال ما هو يا أمير ؟

قال ، ألم تعلم ، أن أبناء الرجل ، هل ينسبون الا اليه ، والأنسـاب لاتكون الا بالآباء ، فما بالك تقول عن أبناء على انهم أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته . وهل لهم اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم الا بأمهم فاطمة ، والنسب لا يكون بالبنات ، وانما يكون بالأبناء .

فأطرق الشعبى سـاعة ، حتى بالغ الحجاج فى الانكار عليـه ، ووقع انكاره فى مسامعه ، والشعبى ساكت .

فقال . يا أمير ، ما أراك تكلمنا الا بكلام من يجهل كلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو يعرض عنهما .

فازداد الحجاج غضبا ، وقال ألمثلى تقول هذا ، ياويلك ، قال نعم ، هؤلاء هم قراء المصرين ، حملة الكتاب العزيز .

أليس قد قال الله تعالى « يابنى آدم . يابنى اسرائيل ، وعن ابراهيم ، ومن ذريته عيسى .

وهل كان اتصال عيسى بالثلاثة الا بأمه . وقد صح النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا ابنى سيد شباب أهل الجنة .

فخجل الحجاج ، وعاد يتلطف الشعبى .

هذا وقد تعرض ابن أبى حديد ، عند شرحه لقول امامنا على كـرم الله وجهه فى آل البيت « وكيف يتاه بكم . وكيف تعمهون ، وفيكم عتـرة نبيكم . وهم أئمة الحق ، وأعلام الدين وألسنة الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم العطاش » .

الى أن قال كرم الله وجهه مشيرا الى فضله على رعيته :

« قد ركزت فيكم راية الايمان ، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام ، وألبستكم العافية من عدلى ، وفرشتكم المعروف من قولى وفعلى ، وأريتكم كرائم الاخلاق فى نفسى » .

قال ابن أبى حديد فى شرحه : وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله الأدنون ونسله ، وليس بصحيح من قال انهم رهطه وان بعدوا ، وانما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيضته التى فقئت عنه ، على طريق المجاز ، لأنهم بالنسبة الى الأمصار عترة لا فى الحقيقة ، فأراد أبو بكر أنهم عترة أجداده على طريق حذف المضاف .

ثم استطرد ابن أبى حديد قائلا : وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عترته من هى لما قال : انى تارك فيكم الثقلين ، فقال عترتى أهل بيتى ، وبين فى مقام آخر من أهل بيته حيث طرح عليهم كساء ، وقال حين نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) ، اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب الرجس عنهم .

فان قلت فمن هى العترة التى عناها أمير المؤمنين بكلامه ، قلت نفسه وولداه ، والأصل فى الحقيقة نفسه لأن ولديه تابعان له ، ونسبتهما اليه مع وجوده ، كنسبه الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة ، وقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم وآله على ذلك بقوله : وأبوكما خير منكما .

وهذا الذى يقوله ابن أبى حديد ، يذكرنا ما قاله الأعور الشنى فى صفين للامام على وكان من أنصاره الصادقين ، فقد جاء فى شرح نهج البلاغة أنه قال : زاد الله يا أمير المؤمنين فى سرورك وهداك ، نظرت بنور الله فقدمت رجالا وأخرت رجالا ، عليك أن تقول ، وعلينا أن نفعل ، أنت الامام ، فان هلكت فهذان من بعدك — يعنى حسنا وحسينا عليهما السلام — وقد قلت فى ذلك شعرا :

أبا حسن أنت شمس النهار وهذان فى الحادثات القمر
وأنت وهذان حتى الممات بمنزلة السمع بعد البصر
وأنتم أناس لكم سورة تقصر عنها أكف البشر
يخبرنا الناس عن فضلكم وفضلكم اليوم فوق الخبر

فضل اهل البيت ووجوب محبتهم :

أخرج البخارى فى تاريخه عن الحسن بن على عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل شيء أساس ، وأساس الاسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحب أهل بيته » .

وأخرج البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه : ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته .

وأخرج الترمذى وحسنه والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى .

وأخرج الترمذى وحسنه ، والحاكم عن زيد بن أرقم ، رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم،« انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، كتاب الله ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما » .

وأخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى والحاكم عن المطلب بن ربيعة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لايدخل قلب امرىء مسلم ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتى » .

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفاسيرهم،والطبرانى فى المعجم الكبير ، عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية : (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) ، قالوا يا رسول الله : من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم « على وفاطمة وولداهما » .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا بنى هاشم انى قد سألت الله لكم أن يجعلكم نجداء رحماء ، وسألته أن يهدى ضالكم ، ويؤمن خائفكم ، ويشبع جائعكم ، والذى نفسى بيده ، لا يؤمن أحد حتى يحبكم بحبى . أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتى . ولا يرجونها بنو عبد المطلب » .

وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير . رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل أهل البيت مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا . ومن تركها غرق » .

وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال من رضا محمد الا يدخل أحد من أهل بيته النار .

وأخرج الديلمى عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة . المكرم لذريتى ، والقاضى لهم الحوائج ، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه » .

وأخرج الديلمى عن أبى سعيدرضىالله عنه قال: قال رسولاللهصلى الله عليه وسلم « اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى » .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن عثمان بن عفان رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أولى رجلا من بنى عبد المطلب معروفا فى الدنيا ، فلم يقدر المطلبى على مكافأته فأنا أكافئه عنه يوم القيامة » .

وأخرج الترمذى والحاكم والبيهقى فى شعب الايمان عن عائشة رضى الله عنها ، مرفوعا : « ستة لعنهم الله ، وكل نبى مجاب ، الزائد فى كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت فيعز بذلك من أذل الله ، ويذل من أعز الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك لسنتى » .

وأخرج الديلمى عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خير الناس العرب ، وخير العرب قريش ، وخير قريش بنو هاشم ،

ونكتفى بما تقدم من الأحاديث مراعاة للايجاز ، أما القرآن الكريم فقد قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) ويشير لتلك الآية الكريمة سيدى محيى الدين بن عربى فى قوله :

أرى حب أهل البيت عندى فريضة   على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه   على هديه الا المودة فى القربى

مناقب الامام الحسن رضى الله عنه

زهده رضى الله عنه :

جاء فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر أن الامام الحسن رضى اللهعنه كان حليما ورعا فاضلا ، دعاه ورعه وفضله الى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله . وقال والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى ويضرنى أن ألى أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، على أن يهراق فى ذلك محجمة دم .

أقول ، وهذا الذى وقع من امامنا الحسن رضى الله عنه فى تنازله عن الخلافة ، وهو يملك الجيوش الجرارة التى يحارب بها ان شاء ، كان ايثارا لله تعالى ، وحقنا لدماء المسلمين ، وهو الزهد بعينه ، وقد قال الصوفية العارفون بحق ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك، بل الزهد أن تتركها من قلبك وهى فى يدك .

خوفه من الله تعالى :

واذا علمت كيف كان يخاف مقام ربه ، لم تعجب لتركه الخلافة ، مع أبهتها وسلطانها ، فقد روى عنه أن رجلا سمعه يناجى ربه ويبكى ، فقال له : اتخاف عذاب الله وعندك أسباب النجاة ، ابن رسول الله ، وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، ورحمة الله التى وسعت كل شىء .

فقال الامام الحسن أما انى ابن رسول الله ، فالله يقول : (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم) ، واما الشفاعة فهو سبحانه يقول : (منذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وأما الرحمة التى وسعت كل شىء فالله يقول : (فسأكتبها للذين يتقون) فكيف الامان يا أخا العرب .

عبادته رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه يجاهد نفسه فى العبادة جهادا كبيرا ، فقد حج خمس عشرة مرة وقيل عشرين مرة ماشيا على قدميه ونجائبه تقاد بين يديه ،وكان يقول انى أستحيى من ربى عز وجل ان ألقاه ولم أمش الى بيته .

جوده رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه جوادا ، لا يرد سائلا ، ولا يقول لاحد لا ، قط ، وقد خرج عن ماله لله مرتين ، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات ، حتى انه كان يعطى نعلا ويمسك نعلا .

وقد قيل للامام الحسن رضى الله عنه ، لأى شىء نراك لا ترد سائلا، وان كنت على فاقة ، فقال : انى لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا استحى أن أكون سائلا ، وأرد سائلا ، وان الله تعالى عودنى عادة ، عودنى أن يفيض نعمه على ، وعودته أن أفيض على الناس ، فأخشى ان قطعت العادة أن يمنعنى العادة ، وأنشد يقول :

اذا ما أتانى سائل قلت مرحبا بمن فضله فرض على معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل وأفضل أيام الفتى حين يسأل

وقد وصفه أبوه بالكرم والمسالمة ، فقد روى أبو جعفر محمد بن حبيب عن المسيب الفزارى ، قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أنا أحدثكم عنى وعن أهل بيتى ، أما عبد الله ابن أخى (أى ابن جعفر زوج السيدة زينب) فصاحب لهو وسماح ، وأما الحسن فصاحب جفنة وخوان فتى من فتيان قريش ، ولو التقت حلقتا البطلان (مثل يضرب للأمر اذا

اشتد وجاوز الحد) لم يغن عنكم شيئا فى الحرب ، وأما أنا وحسين فنحن منكم وأنتم منا .

هيبته رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه ذا هيبة ووقار ، حتى لقد كان معاوية وهـو فى سلطانه يهابه ويخشاه وصرح لجلسائه بذلك .

ولا تعجب من ذلك ، فقد حدثت زينب بنت أبى رافـع فقالت . أتت فاطمة عليهـا السلام بابنيها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شكوة (مرضه) الذى توفى فيه ، فقالت يا رسول الله هذان ابناك . فورثهما شيئا فقال : أما حسن فان له هيبتى وسؤددى . وأما حسـين فان له جـراءتى وجودى .

وهذا يفسر لك ما قاله ابن عبـاس رضى الله عنهما حين مات الامام الحسن : أول ذل دخل على العرب موت الحسن عليه السلام ، وأنت تدرك من كلمة ابن عباس هذه أى مكانة كانت للامام الحسن فى المجتمع وأى فراغ كان يملؤه فى الناس .

نقش خاتمه رضى الله عنه :

كان نقش خاتمه رضى الله عنه : « العزة لله » .

جراته فى مواقف الجد :

ولا تظن أن حبه للمسالمة كان عن ضعف منه ، أو جبن فيه ، انمـا سالم ابتغاء رضوان الله ، ودفعا للضرر عن الأمة ، ويقول الأصوليون .دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة .

لذلك كان مع مسالمته ، يصون كرامته . بجد لا يعرف الهزل . وبحمية هاشمية ، لا تعرف التردد ، وتلك عزة المؤمن التى يحبها الله ورسوله . وقد أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنشده النابغة الجعـدى من قصيدة طويلة :

ولا خير فى حلم اذا لم يــكن له بوادر تحمى صــفوه أن يــكدرا

ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا يفضض الله فاك ، فعمر طويلا ولم تقع له سن . واليك مثلا من جرأة الامام الحسن .

روى ابن أبى حديد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دخل الحسن بن على . على معاوية ، بعد عام الجماعة . وهو جالس فى مجلس ضيق . فجلس عند رجليه ، فتحدث معاوية ما شاء أن يتحدث ، ثم قال عجبا لعائشة . تزعم أنى فى غير ما أنا أهله ، وأن الذى أصبحت فيه ليس لى بحق ، ومالها ولهذا . يغفر الله لها ، انما كان ينازعنى فى هــذا الأمر أبو هذا الجالس وقد استأثر الله به .

فقال الحسن : أو عجب ذلك يا معاوية . قال أى والله . قال أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا ، قال ما هو . قال جلوسك فى صــدر المجلس وأنا عند رجليك .

فضحك معاوية وقال يا ابن أخى ، بلغنى أن عليك دينا . قال ان لعلى دينا ، قال كم هو ، قال مائة ألف . قال قد أمرنا لك بثلثمائة ألف ، مائة منها لدينك ، ومائة تقسمها فى أهل بيتك . ومائة لخاصة نفسك . فقم مكرما واقبض صلتك .

فلما خرج الحسن عليه السلام ، قال يزيد بن معاوية ، تالله ما رأيت رجلا استقبلك بما اســتقبلك به . ثم أمرت له بثلثمائة ألف ، قال يا بنى ان الحق حقهم ، فمن أتاك منهم فاحث له .

أقول ، وانما كانت ديون الامام الحسن تأتيه من كثرة بذله للمحتاجين، وقد بلغ من سماحته ومروءته أنه كان يشترى البستان من أصحابه ويدفع لهم الثمن ، فاذا علم أنهم فى حاجة اليه رده اليهم ثانية بلا مقابل ، ولايسترد الثمن الذى كان دفعه .

وكذلك جابه معاوية بأشد مما تقدم ، حين قام معاوية خطيبا عــلى المنبر فتهكم على أمير المؤمنين على وقال : ومن على ؟ فقال الامام الحسن

فحمد الله واثنى عليـــه ثم قال : ان الله لم يبعث نبيا الا جعل له عــدوا من المسلمين قال تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين » وأنا ابن على وانت ابن صخر ، وأمك هند وأمي فاطمة ، وجــدتك قتيلة وجــدتي خديجة ، وجدي رسول الله وجدك عقبة بن ربيعة ، فلعن الله الأمنا حسبا وأخملنا ذكرا ، وأقدمنا كفرا ، وأشدنا نفاقا ، فصاح أهل المسجد آمين ، قال الفضل ، قال يحيى بن معين ، وأنا أقول آمين .

فقطع معاوية كلامه وفر الى منزله .

مكارم أخلاقه رضي الله عنه :

يقول عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » كان الامام الحسن رضى الله عنه عذب الروح ، حلو الحديث ، كريم المعاشرة، حسن الألفة ، محببا الى الناس ، ويحبه أترابه من شباب قريش والأنصار لهذه الخصال . ولمكانه من النبى صلى الله عليه وسلم . ويحبه عامة الناس لكل هذا ولسخائه وجوده ، واعطائه المال حين يسأل وحين لا يسأل .

وروى ابن أبى حديد بسنده انه كان مشهورا بالحلم ، حتى انه لما مات عليه السلام وأخرجوا جنازته حمل مروان بن الحكم سريره فقال له الامام الحسين عليه السلام . تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجــرعه الغيظ . قال نعم . كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

وعرف رضى الله عنه بحسن عشرته لأزواجه . فكان يمسكهن بمعروف ويسرحهن باحسان ، وعلى كثرة زواجه وطلاقه . كان الناس يرغبــون فى مصاهرته ، حتى لقد روى أن أباه كرم الله وجهه أمر مناديا ينادى فى أهل الكوفة ، لا تزوجوا الحسن فانه مطلاق ، قالوا ، فما مر المنادى بأحد الا قال : بل نزوجه . فما رضى أمسك وما كره طلق .

ويعيب بعض قصار الادراك ، كثرة زواجه وطلاقه ، رضى الله عنه ، مع أن زمانهم غير زماننا ، وقد كان الــزواج فى زمانهم يربط العصــبيات ويزيد فى قوة القبائل ، وكان تعدد الزواج أمرا مألوفا بل ومستحبا ، وهو

فى بيت النبوة أكثر استحبابا . وليس مع الحلال تهمة ، وما أحوج المجتمع لأئمة الهدى . الذين يمشون بين الناس بنور الايمان ، الذى يرثونه من عرقهم الطاهر المطهر ، وينمونه فى بيئتهم التقية الصالحة ، وصدق امامنا على كرم الله وجهه حينما قال فى السادة آل البيت الأطهار : أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا ، كذبا وبغيا علينا ، ان رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم . وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى . ويستجلى العمى .

وصدق الفرزدق الشاعر رحمه الله حين قال فيهم :

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أوقيل من خير أهل الأرض قيل هموا

علمه رضى الله عنه :

جاء فى كتاب الاصابة لابن حجر أن الامام الحسن عليه السلام روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث حفظها عنه ، وروى الحسن أيضا عن أبيه وأخيه الحسين وخاله هند بن أبى هالة (أخو السيدة فاطمة لأمها) ، وروى عنه ابنه الحسن وعائشة أم المؤمنين وابن أخيه على بن الحسين « زين العابدين » وابناه عبد الله والباقر ، وعكرمة وابن سيرين وجبير بن نفير وغيرهم .

أقول ، ولئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه صغيرا (دون الثامنة) فانه كان من الذكاء بحيث وعى وحدث . وقد قام على تربيته وثقافته العلمية بعد جده أبوه الامام على كرم الله وجهه ، وكان فى العلم بحرا زاخرا ، حتى قال ابن عباس الذى أخذ العلم عنه ، لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم ، وايم الله لقد شارككم فى العشر العاشر .

وقد مر عليك أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام نشأ فى الاسلام منذ طفولته ، وتربى فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم ، وغرف علمه من بحر النبوة الأصفى حتى امتلأ ، وصار كما قال الامام الحسن البصرى ، ربانى هذه الأمة ، وكان يتحدث بنعمة ربه فى ثقة به تعالى فيقول : أيها الناس ،

سلونى قبل أن تفقدونى ، فوالله ما من آية فى كتاب الله عز وجل ، الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل ، وقد مر عليك أن أمير المؤمنين عمر كان لا يطمئن الا لفتواه وكان يقول : لولا على لهلك عمر .

لذلك كان علم الامام الحسن موروثا ومغروفا من المنبع الأصفى . فكان علما خالصا ، حرص عليه ونفع به . وقدره قدره ، حتى روى عنه أنه كان يقول لبنيه وبنى أخيه الامام الحسين : تعلموا العلم . فان لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه ، وضعوه فى بيوتكم . وستدلك أقواله وخطبه على رسوخ علمه وقوة منطقه وعمق فصاحته .

ونذكر للقارىء الكريم بعض الأمثلة التى تدل على صفاء ذهنه ، وحضور بديهته . وعلو فكره ، ورسوخ علمه ، رضى الله عنه :

١ ــ فى معرفة الله :

سئل رضى الله عنه ، بم عرفت ربك . فقال : بفسخ العزيمة ، ونقض المشيئة . وضعف الأركان . وتحويل الحالات والأزمان .

٢ ــ فى القضاء والقدر :

كتب الحسن البصرى الى الامام الحسن بن على رضى الله عنهما يسأله عن القضاء والقدر . فكتب الامام الحسن بن على يقول :

من لم يؤمن بقضاء الله وقدره ، خيره وشره ، فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر ، وان الله تعالى لا يطاع استكراها ، ولا يعصى بغلبة ، لأنه تعالى مالك لما ملكهم ، وقادر على ما أقدرهم ، فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا ، فان لم يفعلوا فليس هو الذىأجبرهم على ذلك . ولو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم فان ذلك عجزا فى القدرة . ولكن الله له فيهم المشيئة التى غيبها عنهم ، فان عملوا بالطاعة فله المنة عليهم ، وان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم .

واتماما للفائدة فى القدر نذكر أن رجلا سأل أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه عن القدر ، فقال طريق دقيق لا تمش فيه ، فقال ياأمير المؤمنين أخبرنى عن القدر فقال بحر عميق لا تخض فيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، فقال سر خفى لا تفشيه . فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، فقال ان الله تعالى خلقك كما يشاء أو كما شئت ، فقال كما شاء : قال ألك مشيئة مع الله ، أو فوق مشيئة الله . أو دون مشـيئة الله ، أما ان قلت مع مشيئته فقد ادعيت الشركة معـه . وان قلت دون مشـيئته ، استغنيت عن مشيئته . وان قلت فوق مشيئته ، كانت مشيئتك غالبة على مشيئته .

٣ ـ بينه وبين سائل :

جاء رجل يسأله صدقة . ولم يكن عنده ما يعطيه ، فاستحيا أن يرده فقال للرجل ، ألا أدلك على شىء يحصل لك منه البر ، فقال الرجل ماذا ، قال ان ابنة الخليفة ماتت فاذهب اليه وقل له : الحمد لله الذى سـترها بوقوفك على قبرها ، ولم يهتكها بوقوفها على قبرك .

فذهب الرجل وعزى الخليفة بهذه التعزية ؛ فلما سمعها ذهب عنـه الحزن ، وأمر للرجل بجائزة ، وقال له ، بالله عليك ، أكلامك هذا ، فقال بل كلام الحسن بن على ، فقال صدقت ، انهم معـدن الفصاحة ، وأمر له بجائزة أخرى .

٤ ـ تحية المغتسل :

ومن لطائفه أنه كان يوما خارجا من الحمـام ، فقال له رجـل طاب استحمامك ، فقال يا لكع وما تصنع الأست هنا ، قال الرجل ، طاب حمامك ، فقال اذا طاب الحمام اذن فما راحة البـدن ، قال ، طاب حميمك ، قال ويحك ، أما تعلم أن الحميم هو العرق ، قال فكيف أقول ، قال : قل طاب ما طهر منك ، وطهر ما طاب . ودخل مرة غديرا يستحم ، وعليه برد متوشحا به ، فلما خرج سألوه ، فقال انما تسترت ممن يرانى ولا أراه ، يعنى من ربى والملائكة .

٥ ـ بينه وبين يهودى :

ورآه مرة رجل يهودى فى أبهى بزة وأجمل زى ، وكان اليهودى فى حالة سيئة ، وثياب رثة ، فقال للحسن رضى الله عنه ، أليس قد قال نبيكم الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، هذا حالى ، وهذا حالك ، فقال رضى الله عنه : لو رأيت ما وعدنى الله من الثواب ، وما أعـد لك من العقاب ، لعلمت أنك فى الجنة ، وأنا فى السجن .

ايثاره الله تعالى :

كان الامام الحسن رضى الله عنه رجل السلام بحق ، وهو حين سالم ، انما سالم ابتغاء مرضاة الله ، لا خوف الناس ، ولا خوف الحرب .

وقد شرح وجهة نظره فى المسالمة حين أشار عليه المسيب الفزارى أن ينقض صحيفة الصلح الذى أبرمه مع معاوية ، وسيأتيك نبأه فيما بعد . فقال رضى الله عنه : يا مسيب ، انى لو أردت بما فعلت الدنيا ، لم يكن معـاوية بأصبر عند اللقاء ولا أثبت عند الحرب منى . ولكنى أردت صلاحكم وكف بعضكم عن بعض ، فارضوا بقدر الله وقضائه ، حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر .

ثباته فى الراى رضى الله عنه :

عندما رأى ، رضى الله عنه ، بنور الله ، أن يسلم الأمر لمعـاوية بعد أن بقى فى الخلافة سبعة أشهر استشار أهله وخاصته ، فمنهم من رضى رأيه ومنهم من خالفه ، وقد رضى رأيه عبد الله بن جعفر ودعا له .

وحين عرض رأيه على أخيه الامام الحسين ، رأى أن يبين له أسباب رأيه ، وكأنما كان يحس بمعارضة الامام الحسين مقدما .

فقال الامام الحسن لأخيه الامام الحسين : أى أخى انى رأيت رأيا ، وأحب أن تتابعنى عليه فقال ما هو ؟ قال . رأيت أن أعمد الى المدينة فأنزلها،

وأخلى بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة ، وسفكت فيها الدماء ، وقطعت الأرحام ، وعطلت السبل ، وعطلت الثغور .

فقال الامام الحسين : أعيذك بالله أن تكذب عليا فى قبره ، وتصدق معاوية ، فقال الحسن عليه السلام : والله ما أردت أمرا الا خالفتنى الى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك فى بيت فأطينه عليك حتى أقضى أمرى .

فلما رأى الامام الحسين غضبه ، قال فى أدب رفيع : أنت أكبر ولد على ، وأنت خليفتى ، وأمرنا لأمرك تبع ، فافعل ما بدا لك ، وهكذا ثبت الامام الحسن عند رأيه ، وتحققت على يده معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال :

« ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

اجلال الامام الحسين للامام الحسن رضى الله عنهما :

ولا تظن أن الامام الحسين رضى الله عنه ، حين عارض رأى الامام الحسن فى الصلح ، انه كان يستهين برأيه ، انما هى وجهات نظر . فى مسائل كبيرة ، تتصل بالصالح العام ، وتختلف فيها الآراء ، وكل منهما مجتهد فيما رآه وله أجره ، لأن رأى كل منهما ليس مشوبا بهوى النفس الذى يضل صاحبه عن سبيل الله ، بل هو رأى خالص لوجه الله ؛ وقد اختلف السادة الصحابة حين استشارهم صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر ؛ فمنهم من رأى أخذ الفدية ، ومنهم من رأى قتل الأسرى ، وأقر الله اجتهادهم حيث لم ينزل وحى فقال تعالى : « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » وكانوا قد تحرجوا من الأكل من الفدية حين نزل قوله تعالى (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) .

ويشهد باجلال الامام الحسين لأخيه الامام الحسن كلمة التأبين الرائعة التى قالها امامنا الحسين رضى الله عنه على قبره ، مع انه كان فى مـوقف الحزن الذى يشتت الفكر ويعقد اللسان ، وقد أوردناها فى المقدمة .

نظام اوقاته رضى الله عنه :

قال الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » ان الامام الحسن رضى الله عنه كان يصبح فيصلى الصبح ويجلس فى مكانه حتى اذا ارتفعت الشمس ، طاف بأمهات المؤمنين ، زائرا لهن ، متحدثا اليهن ، يبرهن ويبررنه ويهدى اليهن ويهدين اليه ، ثم يفرغ لبعض شأنه .

فاذا صليت الظهر ، جلس للناس فى المسجد ، فأطال الجلوس ، يسمع منهم ، ويقول لهم . يعلم من احتاج منهم للعلم ، ويؤدب من احتاج منهم للأدب ، ويسمع من شيوخ الصحابة ما يفيده علما وأدبا . وكن فى أثنـاء ذلك كله اذا ذكر السلطان ، أو ذكر السلطان عنده ، يعرف الخير ، وينكر الشر ، فى أرق لفظ واعذبه .

ولكنه كان يشتد حتى يبلغ القسوة ، ان ذكر أبوه بغير ما يحب ، أو لقى من بغى أباه الغوائل ، أو سعى اليه بمكروه ، وكان بعد هذا كله يحسن كما أحسن الله اليه ، ولا ينس نصيبه من الدنيا .

وفاؤه بأهله وصحبه رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه وفيا لأهله وأصحابه أحسن الوفاء ، حتى انه شرط على معاوية الا يؤذى أحدا منهم ، ولما أراد معاوية أن يستثنى أحدا منهم (مثل قيس بن سعد) هدده الامام الحسن بالعدول عن الصلح ، فاضطر معاوية أن ينزل عند رغبته .

ولما أراد زياد أن يسىء الى بعض أصحاب الامام الحسن كاتب الامام الحسن معاوية فأمر زيادا أن يكف عنهم .

جهاده رضى الله عنه فى سبيل الله

١ ـ جهاده فى فتح شمال افريقيا :

كان رضى الله عنه هو وأخوه الامام الحسين فى المدد الذى أرسله أمير المؤمنين عثمان بن عفان فى سنة ٢٦ هـ لنجدة عبد الله بن أبى السرح وهو يغزو شمال أفريقيا .

٢ ـ جهاده فى فتح طبرستان :

كما كانا رضوان الله عليهما فى الجند المقاتلين عندما غزا سعيد بن العاص طبرستان بأمر أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه سنة ٣٠ هـ .

٣ ـ الدفاع عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه :

وكان هو وأخوه الامام الحسين أول المدافعين عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين هاجمه الثوار . فقد أمرهما أبوهما أن يحمياه بسيفيهما ففعلا . ولم يستطع الثوار أن يدخلوا عليه من الباب فتسوروا عليه الدار وقتلوه ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

٤ ـ جهاده مع أبيه فى معارك الجمل وصفين والخوارج :

وحضر هو وأخوه الامام الحسين وأخوهما لأبيهما محمد بن الحنفية معارك الجمل . وصفين . والخوارج ، مع أبيهم ، وعلى الرغم من أن أمير المؤمنين عليا كان ينحى الحسن والحسين على القتال ، خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض فانهما شاركا فى الحروب مشاركة فعلية ، كما يستدل من تاريخ تلك المعارك .

مشاركته لأبيه الرأى فى المسائل العامة :

لما توجه طلحة والزبير ومعهما السيدة عائشة رضى الله عنهم الى البصرة ، كما سترى من التفاصيل فيما بعد ، جاء الامام الحسن لأبيه أمير المؤمنين على رضى الله عنهما ، بعد صلاة الصبح فقال له :

قد أشرت عليك فعصيتني ، تقتل غدا بمعصية لاناصر لك فيها ،فسأله وما الذى أشرت به فعصيتك .

قال الامام الحسن : أشرت حين أحيط بعثمان رضى الله عنه ، أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها .

ثم أشرت يوم قتل الا تبايع حتى تأتيك وفود العرب ، وبيعة أهل كل مصر . فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت .

ثم أشرت حين فعل هذان الرجلان (أى طلحة والزبير) ما فعلا ، ان تجلس فى بيتك حتى يصطلحا فان كان الفساد كان على يد غيرك .فعصيتنى فى ذلك كله .

فلم يأنف أمير المؤمنين أن يساجل ابنه الامام الحسن الرأى ليقنعه ويريح صدره فقال له :

أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به .

وأما قولك لا تبايع حتى تأتى بيعة الأمصار . فان الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر .

وأما قولك حين خرج طلحة والزبير فان ذلك كان وهنا على أهل الاسلام .

وأما قولك اجلس فى بيتك فكيف لى بما قد لزمنى ، ومن تريدنى . أتريد أن أكون مثل الضبع التى يحاط بها ، ويقال لها دباب ، دباب ..ليست هنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج . واذا لم أنظر فيما لزمنى من الأمر ويعنينى ، فمن ينظر فيه ، فكف عنى أى بنى .

وهذا المثل يريك حسن استماع أبيه لرأيه وحسن معاملته واقناعه بالحجة دون استصغار رأيه . ولولا أنه رأى وزنا لآرائه . لما قارعها بحجته العلوية القوية . وفوق كل ذى علم عليم .

ازواجه واولاده رضى الله عنه :

نقل ابن أبى حديد عن المدائنى قال : كان الحسن كثير التزوج ،تزوج خولة بنت منظور الفزارية . فولدت له الحسن بن الحسن ، وتزوج أم اسحق بنت طلحة بن عبيد الله فولدت له ابنا سماه طلحة ، وتزوج أم بشر بنت أبى مسعود الانصارى فولدت له زين بن الحسن . وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس وهى التى سقته السم ، وتزوج هند ابنة سهيل بن عمر ، وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبى بكر . وتزوج امرأة من كلب ، وتزوج امرأة من بنات عمرو بن أهتم . وامرأة من ثقيف فولدت له عمرا ، وتزوج امرأة من بنات علقمة بن زرارة . وامرأة من بنى شيبان من آل همام بن مرة ، فقيل له انها ترى رأى الخوارج فطلقها ، وقال انى أكره أن أضم الى نحرى جمرة من جمر جهنم .

وجاء فى كتاب الحسن والحسين للأستاذ محمد رضا أن أولاد الامام الحسن هم السادة :

١ — زيد
٢ — الحسن
٣ — القاسم
٤ — أبو بكر
٥ — عبد الله
٦ — عمرو
٧ — عبد الرحمن
٨ — الحسين الملقب بالأشرم
٩ — محمد
١٠ — يعقوب
١١ — اسماعيل

وقال أصحاب السير أن العقب الصحيح الموجود للآن من الحسن السبط لزيد والحسن بن الحسن (المثنى) لا غير .

وروى أبو الفرج في الأغاني بسنده عن عوف بن خارجة قال ، والله انى لعند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ، اذ أقبل رجل يتخطى رقاب الناس . حتى قام بين يدى عمر ، فحياه بتحية الخلافة فقال له عمر من أنت، قال أنا امرؤ نصرانى ، أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبى ؛ قال فما تريد ، قال أريد الاسلام فعرضه عليه عليـه عمر رضى الله عنه فقبـله ، ثم دعا له برمح ، فعقد له على من أسلم بالشـام من قضاعة فأدبر الشـيخ واللـواء يهتز على رأسه ؛ قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض على بن أبى طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعـه ابنـاه الحسن والحسين عليهم السلام . حتى أدركه فاخذ بثيابه ، فقال له يا عم، أنا على بن أبى طالب ؛ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره.وهذان ابناى الحسن والحسين من ابنته ؛ وقد رغبنا فى صهرك فأنكحنا .

فقال قد أنكحتك يا على المحياة بنت امرىء القيس ، وأنكحتك ياحسن سلمى بنت امرىء القيس ، وأنكحتك ياحسين الرباب بنت امرىء القيس (أم السيدة سكينة) وقال هشام الكلبى كانت الرباب من خيـار النساء وأفضلهن . فخطبت بعد قتل الامام الحسـين فقالت : ما كنت لأتخـذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء فى تاريخ الامام على زين العابدين لفضيلة العلامة الشيخ أحمد فهمى : انه رضى الله عنه تزوج من السيدة فاطمة بنت الحسن بن على رضى الله عنه ، وهى التى خلفها من زوجته أم اسحق بنت طلحة .

ولما حضرت الامام الحسن الوفاة . دعا أخاه الامام الحسين وأوصاه بها ، وقال له يا أخى . انى أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها . وقد نفذ الامام الحسين الوصية وتزوجهـا فأعقب منها فاطمة بنت الحسين التى تزوجها ابن أخيه الحسن بن الحسن .

ويحدث الامام جعفر الصـادق عن السيدة فاطمـة بنت الحسن التى تزوجها الامام على زين العابدين فيقول كانت صديقة لم تدرك فى آل الحسن مرأة سواها .

وفى الكافى بسنده عن أبى الصباح عن أبى جعفر محمد الباقر قال كانت أمى قاعدة عند جدار فتصدع الجدار وسمعنا هدة شديدة فقالت بيدها ، لا وحق المصطفى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لك فى السقوط ، فبقى معلقا فى الجو حتى جازته . فتصدق أبى عنها بمائة دينار .

وجاء فى كتاب الأغانى ان أول أزواج السيدة سكينة بنت الحسين كان عبد الله بن الحسن بن على .

مشاهد مباركه بالقاهرة من سلالة الامام الحسن رضى الله عنه :

ومن المشاهد المباركة التى يرتادها الزوار بالقاهرة مشهد سيدى حسن الأنور ، ومشهد السيدة نفيسة ابنته رضى الله عنهما وعن سائر الأشراف .

مناقب سيدى حسن الانور رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه شيخ بنى هاشم فى زمانه . وجاء فى تاريخه أنه روى عن أبيه زيد الأبلج بن الحسن بن على ، وابن عمه عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وعن عكرمة وغيرهم .

وقد ولاه أبو جعفر المنصور امارة المدينة المنورة ، ثم عزله وحبسه ، لوشاية كاذبة اتهموه فيها أنه يسعى للخلافة ، واستمر فى حبسه الى أن ولى المهدى الخلافة العباسية ، فأمر باخراجه ورد اليه ماله .

وكان رضى الله عنه ، متواضعا لله مع علو قدره ومنصبه ، وقد دخل عليه أحد الشعراء فأنشده : الله فرد وابن زيد فرد ، فكره منه ذلك وقال له : بفيك الأثلب ألا قلت : الله فرد وابن زيد عبد ، ونزل عن سرير الامارة وألصق خده بالأرض ، يسبح لله تعالى .

وكان رضي الله عنه سخيا بماله ، حتى قال فيه أحد الشعراء :

أذا أمسى ابن زيد لى صديقا   فحسبى من مودته نصيبى

ومن وفائه بأبيه ، أن أباه مات والامام حسن الأنور صغير ، وترك أبوه دينا قدره أربعة آلاف دينار فحلف سيدى حسن الأنور ألا يظل رأسه

سقف الا سقف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بيت رجل يكلمه فى حاجة ، حتى يقضى دين أبيه فوفى بنذره . وأدى الدين أداء لحق الأبوة.

وقد خلف سيدى حسن الأنور رضى الله عنه ، من الذكور تسعة ، ومن البنات اثنتين أم كلثوم . وقد تزوج بها أبو العباس السفاح ، الخليفة العباسى ، والسيدة نفيسه وقد تزوجت من ابن عمها سيدى اسحق المؤتمن ابن سيدى جعفر الصادق .

وغلبت شهرة السيدة نفيسة على سائر اخوتها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

مناقب السيدة نفيسة رضى الله عنها :

أمها أم ولد . أما اخوتها فأمهم السيدة زينب بنت الحسن بن الحسن ابن على رضى الله عن الجميع .

وجاء فى تحفة الأشراف ، أن الامام زيد بن الحسن رضى الله عنه ، كان يأخذ بيد ولده حسن الأنور ، والد السيدة نفيسة ، ويدخل الى قبر جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقول يا سيدى يا رسول الله هذا ولدى الحسن ، أنا عنه راض ، ثم يرجع وينصرف .

فلما كان فى بعض الليالى . أخذته سنة من النوم ، فرأى فى نومه النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : يا زيد انى راض عن ولدك الحسن برضاك عنه . والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاى عنه .

فلما ولى الحسن المدينة كان يذهب الى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويأخذ بيد ابنته السيدة نفيسة ، وهما بداخل المقام الشريف ، يقول يا سيدى يا رسول الله . انى راض عن بنتى نفيسة ، ويرجع آيبا الى داره ، فما زال يكرر ذلك ويقوله حتى رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يقول له : يا حسن انى راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها،والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضاى عنها .

وقد مكن الله السيدة نفيسة ، فحفظت القرآن الكريم . وألمت بتفسيره وتأويله . وشغفت بحديث جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فألمت بالسنة . وروت من الحديث والآثار الكثير عن أبيها ، وآل بيتها ، وعلماء وقتها ، وبخاصة الامام مالك بن أنس بالمدينة ، ومسلم بن خالد الزنجي بمكة .

وأخذت كذلك بحظ وافر من الفقه والعلم ، حتى لقبت بنفيسة العلم، وسمع منها الحديث الامام الشافعي حين جاء الى مصر كما سمعه منها جمهرة من علماء وقتها ، مثل ذى النون المصرى وعبد الله بن الحكم وولداه محمد وعبد الرحمن ، وعبد الرحمن البويطى ، والربيعان المرادى والجيزى وحرملة ، من أصحاب الامام الشافعي رضى الله عنها وعنهم .

وكانت رضى الله عنها . عابدة ، ناسكة ، تصوم النهار . وتقوم الليل، وكانت وهى بالمدينة المنورة لا تفارق حرم جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد حجت الى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ، أكثرها ماشية ، وكانت تتعلق بأستار الكعبة وتقول : الهى وسيدى ومولاى ، متعنى وفرحنى برضاك عنى ، فلا تسبب لى سببا يحجبك عنى .

وقالت بنت أخيها زينب بنت يحيى رضى الله عنهما : خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة ، فما رأيتها نامت الليل ، ولا أفطرت بنهار .

فقلت لها : أما ترفقين بنفسك ، فقالت كيف أرفق بنفسى ، وقدامى عقبات لا يقطعهن الا الفائزون .

وحين اشتكى اليها الناس ظلم أحمد بن طولون فى أول عهده ، قالت لهم متى يركب ، فقالوا فى غد ، فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت له :

يا أحمد بن طولون ، فلما رآها عرفها ، وترجل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة ، فاذا فيها مكتوب :

ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم فعسفتم ، ودرت عليكم الأرزاق فقطعتم ، وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة وسيما من قلوب أجعتموها ، وأجسام أعريتموها ، اعملوا ما شئتم فانا صابرون ، وجوروا فانا بالله مستجيرون . واظلموا فانا منكم متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

فرجع أحمد بن طولون عن ظلمه ، وعدل من ذلك اليوم في حكمه ، ومن أراد المزيد من تاريخها الحافل ، فليراجع رسالة العلامة الشيخ أحمد فهمي وعنوانها كريمة الدارين ، وجزى الله المؤلف على مجهوده خيرا كثيرا.

٢ ــ القاسم بن الحسن بن علي :

وهو أخو أبي بكر المقتول قبله لأبيه وأمه

وروى أبو الفرج بسنده عن حميد بن مسلم قال : خرج الينا غلام ، كأن وجهه شقة قمر ، في يده السيف ، وعليه قميص وأزار ونعلان ، قد انقطع شسع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى فقال عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي : والله لأشدن عليه . فقلت له سبحان الله ، وما تريد من ذلك ، يكفيك قتله هؤلاء ، الذين تراهم قد احتوشوه من كل جانب ، قال والله لأشدن عليه ، فما ولى وجهه حتى ضرب رأس الغلام بالسيف . فوقع الغلام لوجهه . وصاح يا عماه ، قال فوالله لتجلى الحسين كما يتجلى الصقر . ثم شد شدة الليث اذا غضب ، فضرب عمرا بالسيف فاتقاه بساعده فأطنها (أي قطعها) من لدن المرفق ، ثم تنحى عنه ، وحملت خيل عمر بن سعدفاستنقذوه

من الحسين ، ولما حملت الخيل استقبلته بصدورها ، وجالت فتوطأته، فلم يرم حتى مات ــ لعنه الله وأخزاه ــ فلما تجلت الغبرة ، اذا بالحسين على رأس الغلام وهو يفحص برجليه ، وحسين يقول بعدا لقوم قتلوك ، خصمهم فيك يوم القيامة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : عز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا تنفعك اجابته يوم كثر واتره ، وقل ناصره ، ثم احتمله على صدره . وكأنى أنظر الى رجلى الغلام تخطان فى الأرض ، حتى ألقـاه مع ابنـه على بن الحسين ، فسألت عن الغلام فقـالوا هو القاسم بن الحسن بن على صلوات الله عليهم أجمعين .

٣ ــ عبد الله بن الحسن بن على :

وأمه بنت السليل بن عبد الله . أخى جرير بن عبدالله البجلى ، وقيل ان أمه أم ولد ، وروى أبو الفرج عن أبى جعفر بن محمد أن حرملة بن كاهل الأسدى قتله .

فصاحه العلويين وشجاعتهم :

وقد ورث امامنا على ذريته الفصاحة ، كما ورثهم الشجاعة ، فلم تقف فصاحتهم أو شجاعتهم عند الشباب والشيوخ بل كانت فى الناشئين منهم ، ونكتفى فى التدليل على ذلك بالمثلين الآتيين :

المثل الأول : لما أدخل الامام على زين العـابدبن ، ولم يكن قد بلغ الحلم ، على اليزيد فى دمشق قال له يزيد :

يا على ، أبوك الذى قطع رحمى ، وجهـل حقى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيت .

فقال سيدى زين العابدين ردا عليه : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها) .

فقال يزيد لابنه خالد أردد عليه فما درى خالد ما يرد عليه .

المثل الثانى : دعا يزيد عمرو بن الحسن وهو غلام صغير فقال لعمرو أتقاتل هذا الفتى (يعنى خالدا ابنه) قال لا ولـكن أعطنى سكينا وأعطه سكينا ، ثم أقاتله ، فقال له يزيد وأخذه وضمه اليه : شنشنة أعرفهامن أخزم، هل تلد الحية الا حية . أقول وكذب والله يزيد ، ولو أنصف لقال ان ذاك الشبل من ذاك الأسد ، وما عاشت الحيات ولا توالدت الا فى بنى أميـة حتى أبادها الله بعدله فاستراح الناس منها .

ولقد قال معاوية يوما لابن عباس : لمـاذا تصـابون يا بنى هاشم فى أبصاركم فقال وما أبدع ما قال : كما تصابون أنتم يا بنى أمية فى بصائركم.

فضلاء بنى امية :

ومن آيات الله الدالة على أنه يختص برحمته من يشاء أن ثلاثة من بنى أمية امتازوا بالفضل فى الاسلام عن قومهم وهم : سيدنا عثمان بن عفـان رضى الله عنه . وسيدتنا أم المؤمنين . أم حبيبة بنت أبى سفيان ، زوج النبى صلى الله عليه وسلم . وهما من السابقين الأولين ومن أصـحاب الهجرتين ، وسيدنا عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الزاهد العـادل الذى قلد فى ورعه جده لأمه سيدنا عـمـر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين ، فهؤلاء نستثنيهم من بنى أمية . ونشـيد بفضل الله عليهم ، لأننـا انما نريد الحق والانصاف . ولا تزر وازرة وزر أخرى .

لذلك لا تعجب أن يرثى السيد الشريف الرضى أبو الحسن ، عمر بن عبد العزيز فيقول :

يا بن عبد العـزيز لو بكت العين	فتـى مـن أميـة لبكيتـك
غيـر أنى أقـول انك قد طبـت	وان لم يطـب ولم يـزك بيتـك
أنت نزهتنـا عن السـب والقذف	فلـو أمكـن الجـزاء جزيتـك
ولو أننى ملـكت دفعـا لما نالك	من طـارق الـردى لفديتـك

فهذا الشريف من سادات بنى هاشم ينصف الحق وأهله ، على الرغم من أنه موتور من بنى أمية . والحق يعلو ولا يعلى عليه .

وسيأتيك نبأ بدعة السب التى بدأها معاوية وأمر ولاته بها ، وأبطلها عمر بن عبد العزيز . لأنها كانت من المنكرات التى ساير فيها معاوية هوى نفسه ، وما مثل الامام على بالذى يسب علانية على أسماع المسلمين المدينين له بالفضل فى حماية الدين .

أهل الشام وسب الامام على :

ولقد قال المسعودى : ارتقى بأهل الشام الأمر فى طاعة معاوية الى أن جعلوا لعن على سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير .

وقد حدث بعضهم أنه قال لرجل من زعماء أهل الشام وأهل الرأى فيهم : من أبو تراب هذا الذى يلعنه الامام فوق المنبر ، قال أراه لصا من لصوص العرب ، فانظر الى أى حد بلغ بهم السفه وبلغت بهم الغفلة .

العباسيون واضطهاد بنى الحسن :

وليت البلاء الذى أصاب العترة الطاهرة النبوية ، وقف عند ما أصابهم على أيدى بنى أمية ، لكنهم ذاقوا من مرارة الاضطهاد والحبس والقتل أيام العباسيين ما يفتت الأكباد ، مع أن الناس حاربوا مع العباسيين على أنهم يعملون على اقامة خلافة علوية ، حتى اذا تمت لهم الغلبة ، آثروا بها أنفسهم، وجعلوها ملكا عضودا وارثا موروثا .

ولا يتسع مثل هذا الكتيب للتفصيلات ، فليرجع اليها من شاء فى المراجع الكبيرة ، واكتفى بالاشارة الى قليل مما وقع فى صدر الدولة العباسية .

أبو العباس يحسن معاملة عبد الله بن الحسن واخيه الحسن بن الحسن :

ويؤخذ مما رواه أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين أن أبا العباس لما تولى الخلافة وفد اليه عبدالله بن الحسن بن الحسن ، وأخوه الحسن بن الحسن فوصلهما ، الا أنه ذكر لعبدالله ابنيه محمدا وابراهيم ، وقال ما خلفهما ومنعهما أن يفدا الى أمير المؤمنين ، وكرر له ذلك مرات .

فقال الحسن بن الحسن لأخيه : اذا سألك عنهما فقل عنهما أعلم الناس بهما ، ففعل ذلك ، فأرسل أبو العباس الى الحسن بن الحسن فقص عليه أمرهما ، فقال : يا أمير المؤمنين أكلمك على هيبة الخلافة أو كما يكلم الرجل ابن عمه .

قال أبو العباس : بل كما يكلم الرجل ابن عمه ، فانك وأخاك عندى بكل منزلة .

قال الحسن بن الحسن : انى أعلم أن الذى هاج لك ذكرهما بعض ما قد بلغك عنهما ، فأنشدك الله : هل تظن أن الله ان كان قد كتب فى سابق علمه أن محمدا وابراهيم وال من هذا الأمر شيئا ، ثم أجلب أهل السموات والأرض بأجمعهم على أن يردوا شيئا مما كتب الله لمحمد وابراهيم أكانوا راديه ، وان لم يكن كتب لمحمد ذلك انهم حائزون اليه شيئا منه .

فقال لا والله ، ما هو كائن الا ما كتب الله

فقال : يا أمير المؤمنين ، ففيم تنغيصك على هذا الشيخ نعمتك التى أوليته وايانا معه .

قال فلست بعارض لذكرهما بعد مجلسى هذا ما بقيت ، الا أن يهيجنى شيء فأذكره ، فقطع ذكرهما وانصرف عبدالله الى المدينة . أقول ولعل مصاهرة أبى العباس لبنى الحسن كان لها أثرها فى حسن معاملتهم فقد كان متزوجا ـ كما مر عليك ـ من السيدة أم كلثوم بنت سيدى حسن الأنور ابن زيد بن الحسن السبط (أخت السيدة نفيسة) رضى الله عنهم أجمعين .

اضطهاد بنى الحسن ايام المنصور :

قال أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين ، كان أبو جعفر المنصور قد طلب محمدا وابراهيم « ولدى عبدالله بن الحسن بن الحسن » فلم يقدر عليهما ، فحبس عبد الله بن الحسن وأخوته ، وجماعة من أهل بيته بالمدينة ، ثم أحضرهم الى الكوفة ، فحبسهم بها ، فلما ظهر محمد قتل عدة منهم فى الحبس .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ بنى هاشم والمقـدم فيهم ، وكان مصعب بن الزبير يقول انتهى كل حسن الى عبد الله بن الحسن . كان يقال من أحسن الناس فيقال عبد الله بن الحسن ، ويقال من أفضل الناس فيقال عبد الله بن الحسن ويقال من أقول الناس فيقال عبد الله بن الحسن .

حب عمر بن عبد العزيز لآل البيت :

وروى أبو الفرج كذلك بسنده عن سعيد بن ابان القرشى ، قال كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه عبد الله بن الحسن ، وهو يومئذ شاب فى ازار ورداء فرحب به ، وأدناه وحياه ، وأجلسه الى جنبه وضاحكه . ثم غمز عكنة من عكن بطنـه ، وليس فى البيت يومئـذ الا أموى . فلما قام قالوا له : ما حملك على غمز بطن هذا الفتى قال : انى أرجو بها شـفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قسوة المنصور فى معاملة آل البيت :

قارن بين هذا الذى يقوله الرجل الورع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو أموى ، وبين الذى فعله أبو جعفر وهو هاشمى ، فقد قيدهم فى الأغلال وحبسهم وحين حملوا من المدينة الى الـكوفة حملوا على الأقتاب وهم فى القيـود الثقـال حتى كانت زينب بنت عبد الله بن الحسن تقـول متحسرة على ما ترى من تعـذيبهم واعبرتاه من الحـديد والعباء والمحامل المعراة .

على بن الحسن وورعه :

وكان من بينهم على بن الحسن بن الحسن بن الحسن ، وكانوا فى ظلام السجن لا يدرون الليل من النهار ولا يعرفون أوقات الصلوات الا بأجزاء من القرآن يقرؤها رضى الله عنه ، وقد توفى وهو ساجد فى حبس أبى جعفر . فقال عمه عبد الله أيقظوا ابن أخى ، فانى أراه قد نام فى سجوده قال فحركوه فاذا هو قد فارق الدنيا .

وحدث عنه من كان معه من أهله الحسنيين فقالوا : كانت حلق أقيادنا قد اتسعت فكنا اذا أردنا صلاة أو نوما جعلناها عنا ، فاذا خفنا دخول الحراس أعدناها ، وكان على بن الحسن لا يفعل فقال له عمه : يا بنى ما يمنعك أن تفعل قال لا والله ؛ لا أخلعه أبدا حتى اجتمع أنا وأبو جعفر عند الله ، فيسأله لم قيدنى به .

قالوا وكان عدد المحبوسين ثمانية ــ فلما أدخلوا السجن قال على بن الحسن : اللهم ان كان هذا من سخط منك علينا فاشدد حتى ترضى .

فقال عبد الله بن الحسن : ما هذا يرحمك الله .

سبعة يموتون من آل البيت فى السجن :

وحدث عبد الله عن فاطمة الصغرى (بنت الامام الحسين وهى أم عبد الله) عن أبيها عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « يدفن من ولدى سبعة بشاطىء الفرات لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون » . فقلت نحن ثمانية قال هكذا سمعت فقال فلما فتحوا الباب وجدوهم موتى الا واحدا . قال الذى نجا منهم أصابونى وبى رمق وسقونى ماء وأخرجونى فعشت .

قالوا واستمر حبسهم ستين ليلة ، وقد ضجر مرة عبد الله بن الحسن ضجرة فقال لعلى بن الحسن : ياعلى الا ترى مانحن فيه من البلاء . ألا تطلب الى ربك عز وجل أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء .

قال فسكت عنه طويلا ثم قال :

يا عم ، ان لنا فى الجنة درجة لم نكن نبلغها الا بهذه البلية ، أو بما هو أعظم منها ، وان لأبى جعفر فى النار موضعا لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها ، فان تشأ أن تصبر فما أوشك فيما أصبنا أن نموت فنستريح من هذا الغم كأن لم يكن منه شىء ، وان تشأ أن ندعو ربنا عز وجل أن يخرجك من هذا الغم ، ويقصر بأبى جعفر غايته التى له فى النار فعلنا .

قال : لا ، بل أصبر .

فما مكثوا الا ثلاثا حتى قبضهم الله اليه ، قال أبو الفرج وتوفى على ابن الحسن وهو ابن خمس وأربعين سنة ، لسبع بقين من المحرم سنة ست وأربعين ومائة .

ويؤخذ مما قاله أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين أنه كان فى الحبس مع عبد الله بن الحسن بن الحسن أولاد اخوته السادة : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن (أخو السيد على المتقدم ذكره) ، والعباس بن الحسن ابن الحسن بن الحسن ، واسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن ويقال له طبا طبا ، ومحمد ابراهيم بن الحسن بن الحسن ، وعلى بن محمد بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن ، وكان مع هؤلاء كذلك أخوهم لأمهم محمد محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان . رضى الله عنهم أجمعين .

وقال أبو الفرج كان العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن أحد فتيان بنى هاشم وفيه يقول ابن هرمة :

لما تعرضت للحاجات واعتلجت	عندى وعاد ضمير القلب وسواسا
سعيت أبغى لحاجات ومصدرها	برا كريما لثوب المجد لباسا
هدانى الله للحسنى ووفقنى	فاعتمت خير شباب الناس عباسا
قدح النبى وقدح من أبى حسن	وعن حسين جرى لم يجر أحناسا

وحين أخذوا العباس الى السجن قالت أمه وهى عائشة بنت طلحة دعونى أشمه شمة وأضمه ضمة فقالوا لا والله ما كنت فى الدنيا حية .

وقال أبو الفرج بسنده عن عبد الرحمن بن أبى الموالى وكان فى السجن مع بنى الحسن : كيف كان صبرهم على ما هم فيه ؟

قال : كانوا صبراء وكان فيهم رجل مثل سبيكة الذهب كلما أوقد عليها النار ازدادت خلاصا ، وهو اسماعيل بن ابراهيم ، كأنه كلما اشتد عليه البلاء ازداد صبرا .

قال أبو الفرج وكان السبب فى حبس عبد الله بن الحسن وأهله ، ان العوام لهجت بمحمد بن عبدالله تسميه المهدى حتى كان يقال محمد بن عبد الله المهدى .

المنصور وموقفه من محمد بن عبد الله :

وقف أبو جعفر المنصور من محمد بن عبدالله على النقيضين ، فقد كان يجله قبل أن يتطلع أبو جعفر للخلافة ، لا بل انه بايعه بالخلافة مرتين ، كانت احداهما بمكة فى المسجد الحرام ولما خرج محمد بن عبد الله من المسجد الحرام أمسك له أبو جعفر بالركاب وقال أما انه ان أفضى اليك الأمر نسيت لى هذا الموقف .

وقد روى أبو الفرج بسنده أن جماعة من بنى هاشم اجتمعوا بالأبواء، وفيهم ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، وأبو جعفر المنصور ، وصالح بن على ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن ، وابناه محمد وابراهيم ، ومحمد بن عبد الله بن بن عمرو بن عثمان .

فقال صالح بن على : قد علمتم أنكم الذين تمد الناس أعينهم اليهم ، وقد جمعكم الله فى هذا الموضع . فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه اياها من أنفسكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين .

فقال أبو جعفر : لأى شىء تخدعون أنفسكم ، ووالله لقد علمتم ما الناس الى أحد أطول أعناقا ولا أسرع اجابة منهم الى هذا الفتى — يريد محمد بن عبد الله .

قالوا قد والله صدقت : ان هذا لهو الذى نعلم ، فبايعوا جميعا محمدا ومسحوا على يده .

قلق المنصور من محمد بن عبد الله :

لذلك كان أبو جعفر قلقا من تخلف محمد بن عبد الله عن مجلسه ، لأن له بيعة فى عنق أبى جعفر ، وانتهى به الأمر الى أن يشدد على عبد الله بن الحسن ويقول له : أين ابنك ؟ قال لا أدرى . قال لتأتينى به ، فقال عبدالله : لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه : قال يا ربيع ، قم به الى الحبس ، فحبس وحبس مع أهله كما تقدم .

وقد حدث سيدى الحسن بن زيد قال : دخلنا على عبد الله بن الحسن ابن الحسن ، بعثنا اليه رباح « والى المدينة » بكلمة فى أمر ابنيه ، فاذا به على حقيبة فى بيت فيه تبن ، فتكلم القوم حتى اذا فرغوا من كلامهم أقبل على فقال : يا ابن أخى والله لبليتى أعظم من بلية ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، ان الله عز وجل أمر ابراهيم أن يذبح ابنه ، وهو لله طاعة ، قال ابراهيم (ان هذا لهو البلاء المبين) وانكم جئتمونى تكلمونى فى أن آتى بابنى هذا الرجل فيقتلهما ، وهو لله جل وعز معصية ، فوالله يا ابن أخى لقد كنت على فراشى فما يأتينى النوم ، وانى على ما ترى أطيب نوما .

قال أبو الفرج ، وكان محمد وابراهيم يأتيان أباهما معتمين فى هيئة الأعراب ، فيستأذنانه فى الخروج فيقول لا تعجلا حتى تملكا ، ويقول : ان منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ، فلا يمنعكما ان تموتا كريمين .

فضائل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن :

قال أبو الفرج كان يقال له صريح قريش ، لأنه لم تقم عنه أم ولد فى جميع آبائه وأمهاته وجداته وكان أهل بيته يسمونه المهدى ، ويقدرون أنه الذى جاء فى الرواية ، وكان علماء آل أبى طالب يرون فيه أنه النفس الزكية وأنه المقتول بأحجار الزيت ، (وجاء فى مروج الذهب أنه كان يدعى النفس الزكية لزهده ونسكه) . وكان من أفضل أهل بيته ، وأكبر أهل زمانه فى علمه بكتاب الله ، وحفظه له ، وفقهه فى الدين ، وشجاعته ، وجوده ، وبأسه ، وكل أمر يجمل بمثله ، حتى لم يشك أحد أنه المهدى ، وشاع ذلك له فى العامة ، وبايعه رجال من بنى هاشم جميعا من آل أبى طالب ، وآل العباس ، وسائر بنى هاشم .

قالوا ثم ظهر من جعفر بن محمد (أى الصادق) قول فى أنه لا يملك ، وأن الملك يكون فى بنى العباس ، فانتبهوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه .

أقول : وقد علمت مما طالعته ، أن كلام سيدى جعفر بن محمد كان ينظر فيه بنور البصيرة ، وكان رضى الله عنه على نور من ربه ، بل لقد أحس

أن محمدا وابراهيم سيقتلان ولا يليان الخلافة ، وقد قال لأبيهما ان هـذا الأمر والله ليس اليك ولا الى ابنيك وانما هو لهذا ـ يعنى السفاح ثم لهذا يعنى المنصور ثم لولده من بعده ـ لا يزال فيهم حتى يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء ، وكان أبوهما يستبعد قوله ، فكان الأمر كما صرح ، فتولى أبو العباس السفاح الخلافة ومن بعده أبو جعفر المنصور ، لذلك قالوا ان أبا جعفر المنصور هو الذى سماه (الصادق) فاشتهر بجعفر الصادق ، حيث تحقق للمنصور من كشفه ما كان بعيدا عن تصديقه وكان المنصور اذا حدث عنه قال : قال لى الصادق جعفر بن محمد كذا وكذا .

هذا وقد قال أبو الفرج أنه عند مقتل الوليد بن يزيد ، واختلاف كلمة بنى مروان خرجت دعاة بنى هاشم الى النواحى ، فكان أول ما يظهرونه فضل على بن أبى طالب وولده ، وما لحقهم من القتل والخوف والتشريد ، فاذا استتب لهم الأمر ادعى كل منهم الوصية لمن يدعو اليه .

ثم قال : فلما ظهرت الدعوة لبنى العباس وملكوا ، حرص السفاح والمنصور على الظفر بمحمد وابراهيم لما فى أعناقهم من البيعة لمحمد، فتواريا، فلم يزالا ينتقلان فى الاستتار ، والطلب يزعجهما من ناحية الى أخرى ، حتى ظهرا فقتلا ، صلوات الله عليهما ورضوانه .

ويقول ابن هرمة فى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن :

لا والذى أنت منه نعمة سلفت	نرجو عواقبها فى آخر الزمن
ما غيرت وجهه أم مهجنة	اذ القتام يغشى أوجه الهجن

وكان سيدى جعفر الصادق رضى الله عنه ، اذا رأى محمد بن عبد الله تغرغرت عيناه ثم يقول : بنفسى هو ، ان الناس يقولون فيه انه المهدى وأنه المقتول . وكان سيدى جعفر الصادق مشهورا فى زمانه بكشف كثير من الأمور الغيبية ، والله يختص برحمته من يشاء (ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء) .

ونكتفى بهذا القدر مما جرى للسادة بنى الحسن فى صدر الدولة العباسية حتى لا يخرج بنا الأمر عن الايجاز الذى نتوخاه فى الكتيب ومن

أراد المزيد فليرجع الى مقاتل الطالبيين وتاريخ الطبرى وغيرهما من المراجع الواسعة . ويرحم الله دعبلا الخزاعى حين كان يقول :

أرى أميـة معـذورين ان قتـلوا　　ولا أرى لبنى العبـاس من عـذر

وهو لا يقصد أن يعذر بنى أمية عذرا شرعيا ، انما يريد أن يعذرهم فى هوى نفوسهم ، وقد غلبهم على الحق فضلوا وأضـلوا عن سواء السبيل ، ولم يكن لبنى العباس وهم من بنى هاشم أن يقلدوهم فى مسلكهم الضال المضل .

وأكاد أجزم أنه لو قام عبد الله بن عباس ما تقدم ، على فضله وعلمه ، أحدا من الحسنيين أو الحسينيين ، فقـد دخل مرة على معـاوية بعد موت سيدنا الحسن عليه السلام فقال له معاوية أنت شيخ بنى هاشم ، ، فقال : أما وأبو عبد الله حى فلا (يقصد سيدنا الحسين عليه السلام) ، وأين السفاح وأبو جعفر المنصور من جدهم عبد الله بن العباس فى العلم والفضل ــ وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وفى مناسبة ذكرى دعبل ــ رحمه الله ــ نقتطف بعض أبيات من قصيدة له طويلة (١٢٠ بيتا) أنشدها فى خراسان بين يدى سيدى الامام على الرضا ابن سيدى موسى الكاظم وتحسر فيها على ما أصاب آل البيت من الاضطهاد والاغتراب والقتل ونوه بفضلهم وتمسك بحبهم :

ذكرت محـل الربـع من عرفـات　　فأجريت دمـع العـين بالعبـرات
وفل عرى صبرى وهاجت صبابتى　　رسـوم ديـار أقفـرت وعـرات
مدارس آيات خلـت من تـلاوة　　ومنـزل وحى مقفـر العرصـات
لآل رسـول الله بالخيف من منى　　وبالبيت والتعـريف والجمـرات
قفا نسـأل الدار التى خف أهلهـا　　متى عهـدها بالصـوم والصلوات
وأين الألى شطت بهم غربة النوى　　فأمسـين فى الأقطـار مفتـربات
أحب فضـاء الدار من أجل حبهم　　وأهجـر فيهم أسـرتى وثقـاتى
وهم أهل ميراث النبى اذا انتمـوا　　وهم خير سـادات وخيـر حمـاة
أئمـة عـدل يقتـدى بفعـالهم　　وتؤمن منهـم زلـة العثـرات

فيا رب زد قلبى هـدى وبصيرة	وزد حبهم يا رب فى حسناتى
لقد أمنت نفسى بهم فى حياتها	وانى لأرجو الأمن بعد وفاتى
ألم تر أنى من ثلاثين حجة	أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم فى غيرهم متقسما	وأيديهمو من فيئهم صفرات
سأبكيهمو ما ذر فى الأفق شارق	ونادى منادى الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها	وبالليل أبكيهم وبالغدوات
فلولا الذى أرجوه فى اليوم أو غد	لقطع قلبى اثرهم حسرات
فيا نفس طيبى ثم يا نفس فاصبرى	فغير بعيد كل ما هو آت
ملامك فى أهل النبى فانهم	أحباى ما عاشوا وأهل ثقاتى
تخيرتهم رشدا لأمرى فانهم	على كل حال خيرة الخيرات
فيا رب زدنى من يقينى بصيرة	وزد حبهم يا رب فى حسناتى

وقد قالوا أنه عندما بلغ فيها قوله :

اذا وتروا مدوا الى أهل وترهم	أكفا عن الأوتار منقبضات

بكى سيدى على الرضا حتى أغمى عليه ، واستعاد ذلك البيت ثلاثا ، وفى كل مرة يغمى عليه فلما أفاق ، قال له أحسنت ثلاث مرات ، وأعطاه عشرة آلاف درهم مضروبة باسمه فى خراسان ، كما أعطاه ثوبا من ثيابه فعرض عليه ثلاثون ألفا ثمنا له فأبى وحلف ألا يبيعه أو يعطوه بعض الثوب ليكون فى كفنه فأعطوه ، وقالوا كذلك أنه حين قدم دعبل العراق باع كل درهم بعشرة دراهم ، اشتراها منه الشيعة .

وقد طلب منه المأمون انشاد تلك القصيدة وقال له لك الأمان فلا تخف ، فصار ينشدها والمأمون يبكى حتى أخضلت (تبللت) لحيته .

وفاة الامام الحسن بن على رضى الله عنه :

قال أبو الفرج ، كانت وفاته عليه السلام بعد عشر سنين خلت من امارة معاوية ، وذلك فى سنة ٥٠ من الهجرة ، وقال أبو الفدا وابن الأثير الصحيح أنه توفى فى سنة ٤٩ هـ .

الامام الحسن عليه السلام يموت مسموما :

قال أبو الفرج : دس معاوية السم للامام الحسن حين أراد أن يعهد الى يزيد بعده ، وكذلك دس معاوية السم لسعد بن أبى وقاص ، فماتا منه فى أيام متقاربة .

قال أبو الفرج : وكان الذى تولى ذلك من الحسن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية فقد أرسل اليها انى مزوجك بيزيد ابنى ، على أن تسمى الحسن بن على وبعث اليها بمائة ألف درهم ، فقبلت وسمت الحسن ، فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد ، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها ، فكان اذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم ، وقالوا يا بنى مسمة الأزواج .

وروى أبو الفرج بسنده عن عمير بن اسحق ، قال : كنت مع الحسن والحسين فى الدار ، فدخل الحسن المخرج ، ثم خرج فقال : سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة ، ولقد لفظت قطعة من كبدى ، فجعلت أقلبها بعود معى ، فقال له الحسين : من سقاكه ، فقال وما تريد منه ، أتريد أن تقتله ، ان يكن هو فالله أشد نقمة منك ، وان لم يكن هو فما أحب أن يؤخذ بى برىء .

راى الدكتور طه حسين فى قصة السم :

ويقول عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين تعليقا على قصة السم :

« ولست أقطع بأن معاوية قد دس الى الحسن من سمه ، ولكنى لا أقطع كذلك بأنه لم يفعل ، فقد عرف الموت بالسم فى أيام معاوية على نحو غريب مريب فقد مات الأشتر — فيما يقول المؤرخون مسموما فى طريقه الى ولاية مصر ، فخلصت مصر لمعاوية ، وقال معاوية وعمرو « ان لله لجندا من عسل » ومات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مسموما بحمص فى خبر طويل ، ومات الحسن بين هذين الرجلين مسموما كذلك فى أكبر الظن ، وخلصت الخلافة لمعاوية وابنه يزيد » .

أقول وعلى الرغم من أن جميع المصادر العربية تقول أن الحسن مات مسموما فان دائرة المعارف الاسلامية وهى من صنع المستشرقين ، زعمت كاذبة أنه مات بمرض السل لافراطه فى الشهوة ، وهذا دأب المستشرقين فيما يكتبون ، فانهم يحاولون دائما أن يضعفوا الثقة فى أئمة المسلمين وسلفهم الصالح ، وهيهات أن يحجبوا نور الشمس بأكفهم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون •

معاوية يشمت بموت الامام الحسن :

وفد عبد الله بن عباس على معاوية ، قال فوالله انى لفى المسجد اذ كبر معاوية فى الخضراء ، فكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء ، فخرجت فاختته بنت قرظة بن عمرو بن نوفل من خوخة لها فقالت : سرك الله يا أمير المؤمنين ، ما هذا الذى بلغك فسررت به ، قال موت الحسن بن على ، فقالت انا لله وانا اليه راجعون ، ثم بكت وقالت مات سيد المرسلين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية : نعما والله ما فعلت انه كان كذلك أهلا لأن يبكى عليه .

ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية ، فقال معاوية : علمت يا ابن العباس أن الحسن قد توفى ، قال ألذلك كبرت، قال نعم ، قال ابن عباس :

والله ما موته بالذى يؤخر أجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ، ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد الأوصياء ، فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة ، فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا .

وقد قال أحد الشعراء فى شماتة معاوية :

أصبح اليوم ابن هند شامتا ظاهر النخوة اذ مات الحسن
يا ابن هند ان تذق كأس الردى تك فى الدهر كشىء لم يكن
لست بالباقى فلا تشمت به كل حى للمنايا مرتهن

ولم تكن شماتة معاوية بموت الامام الحسن مستغربة ، فقد شمت من قبله بموت أبيه الامام على كما سترى فيما بعد .

وقد نسب بعض الرواة دس السم الى يزيد ، ولعلهم راعوا فى ذلك صحبة معاوية فأرادوا أن يجنبوه قتل النفس التى حرم الله الا بالحق،ولكنك ستعلم بعد حين أنه قتل حجر بن عدى وهو صحابى جليل ، وقتل معه أصحاب حجر لا لذنب الا أنهم كانوا من محبى الامام على وبنيه ، وقد قال تعالى لرسوله داود عليه السلام « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » . ودع عنك الدماء التى سالت من عشرات الالوف فى الجمل وصفين والمعارك التى ترتبت على بيعة يزيد ، وقد ترتبت كلها على موقف معاوية من الامام على وابنيه ، ولم يكن له عذر شرعى فيه .

الامام الحسن يوصى ان يدفن الى جنب جده صلى الله عليه وسلم :

روى أبو الفرج بسنده أن الامام الحسن عليه السلام أرسل الى السيدة عائشة رضى الله عنها أن تأذن له أن يدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ما كان بقى الا موضع قبر واحد ، فلما سمعت بذلك بنو أمية ، اشتملوا بالسلاح هم وبنو هاشم للقتال ، وقالت بنو أمية : والله لا يدفن مع النبى صلى الله عليه وآله أبدا .

فبلغ ذلك الحسن فارسل الى أهله ، أما اذا كان هذا فلا حاجة لى فيه ، ادفنونى الى جانب امى فاطمة ، فدفن الى جنب أمه فاطمة عليهاالسلام بالبقيع ، وصلى عليه سعيد بن العاص وكان أميرا بالمدينة ، قدمه الامام الحسين للصلاة على أخيه وقال لولا أنها سنة ما قدمتك .

وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين :

لما حضرت الامام الحسن الوفاة قال لأخيه الامام الحسين رضى الله عنهما :

يا أخى ، ان أبانا رحمه الله تعالى ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه ، فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة ، تشوف اليها أيضا فصرفت عنه الى

عمر ، فلما احتضر عمر ، جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصرفت عنه الى عثمان ، فلما هلك عثمان ، بويع ، ثم نوزع حتى جرد السيف ، وطلبها فما صفا له شيء منها .

وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفنك استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك ، وقد كنت طلبت الى عائشة اذا مت أن تأذن لى فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت نعم ، وانى لا أدرى لعل ذلك كان منها حياء ، فاذا أنا مت فاطلب ذلك اليها ، فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها ، وما أظن الا القوم سيمنعونك اذا أردت ذلك . فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد .

قالوا ، ولما بلغ أبا هريرة أن مروان منع أن يدفن الامام الحسن مع جده صلى الله عليه وسلم ، قال والله ما هو الا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه لابن رسول الله ، ثم انطلق الى الامام الحسين وناشده الله وقال له : أليس قد قال أخوك ان خفت أن يكون قتال فردونى الى مقبرة المسلمين .

قال ثعلبة بن أبى مالك : شهدت الحسن يوم مات ودفن فى البقيع ، فلقد رأيت البقيع لو طرحت فيه ابرة ما وقعت الا على رأس انسان (لشدة الزحام) .

ولم يشهد جنازته أحد من بنى أمية الا سعيد بن العاص . وكان يومئذ أميرا على المدينة فتركوه فشهد دفنه فى المقبرة وقال هى السنة ، وخالد بن الوليد بن عقبة ، ناشد بنى أمية أن يتركوه يشاهد الجنازة ، فتركوه فشهد دفنه .

وانك لتعجب كيف لا يشيع بنو أمية جنازة الامام الحسن ، وهو الذى سالمهم وحقن دماءهم ودماء المسلمين ولعلهم خافوا سطوة معاوية وها قد رأيت أن أهل المدينة خرجوا لتشييعه حتى لو طرحت فى البقيع ابرة ما وقعت الا على رأس انسان ، وهكذا يفضح الصبح فحمة الدجى .

رثاء اخيه محمد بن الحنفية :

مر على القارىء العزيز ما رثاه به الامام الحسين رضى الله عنه ،وهاك ما رثاه به أخوه لأبيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهم أجمعين :

لئن عزت حياتك ، لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك ، وكيف لا تكون هكذا ، وأنت عقب الهدى ، وخلف أهل التقوى ، وخامس أصحاب الكساء ، غذتك بالتقوى أكف الحق ، وأرضعتك ثدى الايمان ، وربيت فى حجر الاسلام ، فطبت حيا وميتا ، وان كانت أنفسنا غير سخية بفراقك ، رحمك الله أبا محمد .

ثم أنشد يقول :

أأدهن رأسى أم تطيب مجالسى	وخدك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه	وقد ضمن الأحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة	وما اخضر فى أرض الحجاز قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه	ألاكل من تحت التراب غريب

رثاء رجال من ولد أبى سفيان بن الحارث :

وقام رجل من ولد أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

ان أقدامكم قد نقلت ، وان أعناقكم قد حملت الى هذا القبر ، وليا من أولياء الله ، ليبشر نبى الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبتهج الحور العين بلقائه ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل‌الحجى والدين فقده ، رحمة الله عليه ، وعنده تحتسب المصيبة به .

رثاء الشاعر النجاشى :

ومما قاله الشاعر النجاشى فى رثاء الامام الحسن عليه السلام :

جعدة بكيه ولا تسأمى	بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله	فى الأرض من حاف ومن ناعل
أعنى الذى أسلمنا هلكه	للزمن المستخرج الماحل

ورثاء شاعر آخر فقال :

تأس فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبى وقتل الوصى وقتل الحسين وسم الحسن

رثاء سليمان بن قتة :

روى أبو الفرج بسنده عن محمد بن على بن حمزه أن سليمان بن قتة قال فى رثاء الامام الحسن :

يا كذب الله من نعى حسنا ليس لتكذيب نعيه ثمن
كنت خليلى وكنت خالصتى لكل حى من أهله سكن
أجول فى الدار لا أراك وفى الدار أناس جوارهم غبن
بدلتهم منك ليت أنهمو أضحوا وبينى وبينهم عدن

أقول وصدق صلى الله عليه وسلم حين قال « الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكا عضودا » ، وقد كملت الثلاثون سنة بخلافة الامام الحسن عليه السلام ، ثم صارت ملكا عضودا ، لم تتسن فيه خلافة الراشدين ، وصدق امامنا على بن أبى طالب حين رأى الناس يجنحون الى الدنيا فقال : أردتكم لله ، وتريدوننى لأنفسكم .

من حكم الامام الحسن عليه السلام :

ونسرى قليلا عن القارىء العزيز ببعض من الحكم التى فاض بها قلب الامام الحسن عليه السلام . ولا تعجب من علو مستواها فانه شبل الامام على كرم الله وجهه ، وسترى وصيته له ، وتعرف منها كيف كانت عناية أبيه بتربيته .

قال الامام الحسن رضى الله عنه : حسن السؤال نصف العلم .
وقال : من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه .
وسئل عن الصمت فقال ، هو ستر العى ، وزين العرض ، وفاعله فى راحة ، وجليسه فى أمن .

وقيل له : ان أبا ذر يقول : الفقر أحب الى من الغنى ، والسقم أحب الى من الصحة ، فقال رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله ، لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله له .

وكان رضى الله عنه يقول :

يا ابن آدم ، عف عن محارم الله تكن عابدا ، وارض بما قسم الله لك تكن غنيا . وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلا .

وقد سأله أبوه يوما فقال له : يا بنى ما السداد ، فقال : دفع المنكر بالمعروف .

قال فما الشرف . قال : اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة .

قال فما السماح . قال : البذل فى العسر واليسر .

قال فما اللؤم ، قال : احراز المرء ماله وبذل عرضه .

قال فما الجبن ، قال : الجراءة على الصديق والنكول عن العدو .

قال فما الغنى ، قال : رضى النفس بما قسم الله لها وان قل .

قال فما الحلم ، قال : كظم الغيظ وملك النفس .

قال فما المنعة ، قال : شدة البأس ومنازعة أعز الناس .

قال فما الذل ، قال : الفزع عند الصدمة .

قال فما الكلفة . قال : كلامك فيما لا يعنيك .

قال فما المجد ، قال : ان تعطى فى الغرم وتعفو فى الجرم .

قال فما السؤدد ، قال : اتيان الجميل وترك القبيح .

قال فما السفه ، قال : اتباع الدناءة ومحبة الغواية .

قال فما الغفلة ، قال : ترك المسجد وطاعة المفسد .

وكان رضى الله عنه يقول : لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل . وبالعقل تدرك الداران جميعا .

وكان يقول : هلاك الناس فى ثلاث : فى الكبر والحرص والحسد ، فالكبر هلاك الدين وبه لعن ابليس ، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل .

وكان رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق

وقال رضى الله عنه : لا تأت رجلا الا أن ترجو نواله . أو تخاف يده ، أو تستفيد من علمه . أو ترجو بركته ودعاءه ، أو تصل رحما بينك وبينه .

وقال أيضا عليه السلام : علم الناس علمك . وتعلم علم غيرك ، فتكون وقد انفقت علمك علمت .

وقال عليه السلام : دخلت على أمير المؤمنين وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم . فجزعت لذلك فقال أتجزع . فقلت وكيف لا أجزع وأنا أراك فى حالك هذه . فقال ألا أعلمك خصالا أربعا ان أنت حفظتهن نلت النجاة . وان انت ضيعتهن فاتك الداران .

يا بنى لا غنى أكبر من العقل ، ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشة أشد من العجب . ولا عيش الذ من حسن الخلق .

الباب الثانى

تاريخه السياسى

* كيف بويع الامام على * فتنـــة الخـــوارج
* الخـــلافة والملك * لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة

لا يستطيع القارىء أن يتفهم تاريخ الامام الحسن السياسى من غير أن يقف على موجز لتاريخ أبيه الامام على كرم الله وجهه ؛ لأن الامامين الحسن والحسين عليهما السلام ؛ شاركا أباهما فى سلمه وحربه ، وعاصرا خطوبه التى تتابعت عليه خطبا بعد خطب ، تلك الخطوب التى تهد الجبال من هولها ، كما انهما عاشرا معه أصحابه وأنصاره ، وقاتلا معه أعداءه وخصومه ؛ وانما كان الذى وقع لهما بعد قتل أبيهما حلقات فى سلسلة واحدة يتصل أولها بآخرها .

ونوجز تاريخ أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه فنقول :

انتهت الثورة على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بمقتله ، وكان الثوار قد وفدوا الى المدينة المنورة من مصر والكوفة والبصرة ،وقد قتلوه بعد أن حاصروه فى داره أربعين يوما ، ولم يذكروا له أياديه البيضاء على الاسلام والمسلمين ؛ ولم يذكروا له أن جيوشه صانت هيبة الدولة الاسلامية بعد مقتل أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وغزت برا وبحرا وأمنت سلامة الدولة ، وضمت بلادا كثيرة فى الشرق والغرب اليها ، كما لم يذكروا له انه جمع المصحف الشريف على ترتيبه الحالى ، وعلى القراءة الغالبة فى زمانه ؛ حتى لا يختلف المسلمون فيقول هؤلاء قرآننا ويقول أولئك قرآننا . وهذا من أمجد الأعمال وأجرئها بشهادة الباحثين المدققين.

لكن الفتنة كانت صماء عمياء . وقام بها الدهماء وحركها اليهودى المنافق عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء . وكان من رأى امامنا على أن يقاتل دفاعا عن الخليفة المحصور ؛ واستأذن أمير المؤمنين عثمان فى القتال لكنه لم يقبل كما سترى . وخشى أن تقوم بين المسلمين حرب أهلية تراق فيها الدماء ، فآثر أن يضحى بنفسه ولا يكون سببا فى حرب شعواء .

ولم يتخل الامام على عن نصرة أمير المؤمنين عثمان . بكل ما ملكت يداه ، فكان يمده بالرأى الناصح الأمين . وأرسل ولديه الامامين الحسن والحسين فقاما بسيفيهما على بابه ليدفعا الثوار من اقتحامه ، وحين منع

الثوار الماء عن أمير المؤمنين عثمان أرسل اليه امامنا على قرب الماء على عجل .

وكان موقف امامنا على من هذه الفتنة فى غاية الدقة ، فالثوار كانوا يلجأون اليه ويلوذون به ، وأمير المؤمنين عثمان كان يراجعه ويشاوره المرة بعد المرة ، وكلما هم أمير المؤمنين عثمان أن يعمل برأى امامنا على ، كان مروان يشككه ويخوفه ، حتى وقع ما قدر الله أن يكون من استشهاد أمير المؤمنين عثمان . حيث تسور الثوار عليه الدار من الخلف من بيت مجاور لأحد الأنصار وقتلوه ، وقد حزن لقتله سيدنا على . ولطم ابنه الحسن على وجهه ظنا منه أنهم دخلوا عليه من الباب .

وبقيت المدينة خمسة أيام بعد الاستشهاد يحكمها الغافقى بن حرب زعيم الثوار ، وهم يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالخلافة .

وكان هوى أهل مصر مع الامام على ، وهوى أهل البصرة مع طلحة ابن عبيد الله ، وهوى أهل الكوفة مع الزبير بن العوام .

وكان المصريون يلحون على الامام على ، وهو يهرب منهم الى الحيطان (البساتين) ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم .

فقالوا فيما بينهم ، لا نولى أحدا من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا الى سعد بن أبى وقاص ، فقالوا انك من أهل الشورى ، فلم يقبل منهم ، ثم راحوا الى ابن عمر فابى عليهم ، فحاروا فى أمرهم .

ثم قالوا : ان نحن رجعنا الى أمصارنا بقتل عثمان من غير امرة ، اختلف الناس فى أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا الى الامام على والحوا عليه ، فأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس ، وكلهم يقول لا يصلح لها الا على

وقد أرادوا أن يبايعوه فى داره ، فأبى الا أن تكون البيعة علانية فى المسجد ، وقال لو تخلف عنى بدرى واحد من أهل بدر لا أقبل الخلافة ، فبايعه المهاجرون والأنصار وأهل بدر ولم يتخلف عنه بدرى واحد .

فلما كان يوم الجمعة ، وصعد المنبر ، بايعه من لم يبايعــه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة ، ثم الزبير .

وأنت ترى من ذلك أن الخلافة جاءته منقادة راغمة ، ولم يكن غيــره يصلح لها على الشروط التى شرطها الثوار ، لذلك كان ، كرم الله وجهه ، صادقا حين قال : ان العامة لم تبايعنى لسلطان غالب ، ولا لعرض حاضر .

وبراءة الامام على من دم أمير المؤمنين عثمــان أوضح من الواضح وأظهر من الظاهر ، ولو كان أمير المؤمنين عثمان يشك فيه ولو قليلا مافزع اليه كلما تحرجت عليه الأمور ، وقد ساعده فى تفريج الأمــور ، فصرف الناس عن الالتفاف حول طلحة ، وأعطاهم الأموال من بيت المــال ، حتى اضطر حين لم يجد المفتاح أن يكسر الباب ليعجل لهم العطاء فتسكن ثائرتهم، وقد سر عمله هذا أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ، وقد كان على يقين من اخلاص امامنا على ووفائه . يدلك على ذلك أنه اتصــل به فى أخريات أيامه فقال له : ان أمر الناس ارتفع فى شأنى فوق قدره وزعموا أنهم لا يرجعون دون دمى ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل .. والا فأدركنى ولما أمزق .

وقد حاول امامنا على . كرم الله وجهه ، أن يدفع الشر عن الخليفة بكل ما ملكت يداه ، حتى غلب قضاء الله ، فقد روى شداد بن أوس أن الامام عليا خرج من داره حين أحاط الثوار ببيت عثمان عليه السلام معتما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه . أمامه الحسن وعبدالله بن عمر فى نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم .

ثم دخلوا على الخليفة ، فسلم عليه الامام على ، وقال بعد تمهيد وجيز، لا أرى القوم الا قاتليك فمرنا فلنقاتل . فقال الخليفة : أنشد الله رجلا رأى لله حقا وأقر أن لى عليه حقا ، أن يهريق فى سبيلى ملء محجمة من دم ، أو يهريق دمه فى . فأعاد على القول . فأعاد الخليفة عليه هذا الجواب .

ثم خرج الامام على من عنده الى المسجد ، وحضرت الصلاة فنادوه : يا أبا الحسن تقدم فصــل بالنــاس . فقال : لا أصلى بكم والامام محصور

ولكنى أصلى وحدى ، ثم صلى وحده وانصرف الى منزله ، وترك ابنيه الحسن والحسين مع أبناء زمرة الصحابة فى حراسة دار الخليفة ، الا أن الثوار تسوروا الدار من دار مجاورة وقتلوا الخليفة كما مر القول .فمات شهيدا . ولو شاء لسفك دماء الثوار قبل أن يمسوه بسوء ، بمالهمن ولاية وسلطان عليهم ، ولكن الله غالب على أمره .

أقول ومن عجب أن يتهم معاوية وأعوانه الامام على بقتل عثمان رضى الله عنه ، وقد بذل كل جهد مستطاع فى نصرته وحمايته حتى انهعهد الى ولديه الحسن والحسين أن يقفا مدافعين عنه بسيفيهما مع أنه كان يضن بهما خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض . ولم يحرك معاوية ساكنا فى نصرة عثمان عليه السلام ، وكان معاوية متمسكنا فى ولايته بالمال والرجال . وكان حاضرا المؤتمر الذى عقده أمير المؤمنين عثمان من مستشاريه للتفكر فى طلبات الثوار ، كما كان عمرو بن العاص حاضرا ذلك المؤتمر ورأوا رأى العين خطر الثورة على الخليفة ،لكن معاوية كان يتطلع فى نفسه الى الخلافة اذا أقصى عثمان عنها . وكان عمرو موتورا من عثمان حيث عزله عن ولاية مصر فكان يحرض عليه ، لا بل انه أول من أشار عليه باعتزال الخلافة فابى عثمان اعتزالها وقال لا أنزع قميصا ألبسنيه الله ، كما أبى أن يخرج من المدينة وقال ، لا أترك جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موقعة الجمل :

ولكن ما الحيلة فى مغالطة المغالطين من خصوم الامام على ، فقد رموه بدم عثمان زورا وبهتانا وطالبوه بتسليم قتلته أو القود (القصاص) منهم تعجيزا له فى بداية خلافته .

أما القتلة فلم يكونوا معروفين على وجه التحديد ، وأما القود فلولى الأمر ، وهم لم يعترفوا بولايته ومن كان منهم بايعه عدل عن بيعته .

ذلك بأن طلحة والزبير ، تعللا بمقتل عثمان ، بعد أن كان بايعا أمير المؤمنين عليا ، على ملأ من المهاجرين والانصار ، كما تعلل بمقتل عثمان

معاوية حين أبى أن يبايع ؛ مع أن أهل المدينة من المهاجرين والأنصار عقدوا لأمير المؤمنين على البيعة ، والناس تبع لهم فى سائر الأقطار والأمصار وجرى الامر على ذلك فى خلافة سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم .

وكان الامام على رضى الله عنه ، من الذكاء بحيث لا تنطلى عليه حيلة خصومه . لكنه كان يعامل الله فى عباده ، فيخشاه سبحانه ولا يخشى الناس ، فوسع خصومه بالحلم والمهادنة ، والاقناع قبل أن يجرد فيهم سيفه ، ليعذره الله فى قتالهم بماله من ولاية وسلطان عليهم .

وكان لمعاوية أكبر ضلع فى تلك الفتنة المشؤومة ، فانه كتب من الشام لطلحة ولقبه بأمير المؤمنين ولم يكن ذلك جائزا منه ، فان بيعة أهل المدينة، وقد بايعوا الامام عليا ، قد لزمت معاوية ، وهو بالشام ، كما لزمته بيعة الخلفاء قبله . كما أن معاوية حرض طلحة على مناوأة أمير المؤمنين على .

وقد طلب طلحة والزبير أن يشركهما أمير المؤمنين على معه أو أن يوليهما البصرة والكوفة ، أما اشراكهما فى الخلافة فليس بالأمر الطبيعى ، فالخلافة له وحده ، وأما الولاية ، فانها كانت تمكنهما من مناوأته ، وكانت العراق موئل المال والرجال . كما أنها قريبة الجوار من بلاد الشام التى أتت منها مناوأة معاوية .

وقد استأذن طلحة والزبير أمير المؤمنين عليا فى الخروج الى مكة ، وقالا له ، اننا نريد العمرة . فقال لهما انكما لا تريدان العمرة بل تريدان الغدرة .

وقد أفلح طلحة والزبير فى اقناع السيدة عائشة رضى الله عنها فى الخروج معهما الى العراق ، وتأييدهما ، وكان طلحة تيميا من أبناءعمومتها، وكان الزبير زوجا لأختها السيدة أسماء بنت أبى بكر ، وكذلك رجاها ابن أختها عبدالله بن الزبير ، وكان ربيبا لها من طفولته ، بل انها كانت تكنى به ويقال لها « أم عبد الله » ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى اختار لها هذه الكنية .

خرج طلحة والزبير بجيشهما الى البصرة ، وخرجت مع الجيش السيدة عائشة ، وحين اختلفا فى الطريق أيهما يكون اماما قدمت ابن اختها عبد الله ابن الزبير فصلى بالناس .

وقد تحققت فى الطريق معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم فانه قال مرة لسيداتنا أمهات المؤمنين : أيتكن صاحبة الجمل الأحدب ، تنبحها كلاب الحوأب ، ثم نظر الى السيدة عائشة وقال لها أخشى أن تكونيها ياحميراء .

فقد نبحت كلاب الحوأب ، وكانت سيدتنا عائشة تركب الجمل الأحدب ، ولما علمت بذلك همت بالرجوع ، فأتى لها عبد الله بن الزبير بجماعة من البدو شهدوا زورا بأن هذه الجهة ليست الحوأب ، وكانت هذه بكل أسف ، أول شهادة زور وقعت فى الاسلام .

فسارت مع الجيش مكذوبة ومخدوعة . رضى الله عنها ، وكان ماقدر الله من التحام جيش طلحة والزبير بقوات أمير المؤمنين على فى البصرة فى الواقعة التى عرفت بواقعة الجمل نسبة الى الجمل الذى كانت تركبه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

وكان من عادة أمير المؤمنين على ، أن يبدأ باقناع خصومه قبل أن يبدأهم بالقتال كما قدمنا .

فنادى الزبير من بين صفوفهم ، وقال له : أتذكر أنك يوما صافحتنى وعانقتنى بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لك أتحبه ، فقلت كيف لا أحبه وهو أخى وابن خالى ، فقال لك : أما انك ستقاتله وأنت ظالم له ، فقال الزبير : لقد أذكرتنى ما أنسانيه الدهر ، لو ذكرت ذلك ما خرجت والله لا أقاتلك أبدا ، وانسحب من المعركة ، فعيره ابنه عبد الله بن الزبير ، وقال له تعيرنا نساء قريش ، فقال يا بنى لقد أذكرنى ما أنسانيه الدهر ، العار ولا النار .

هذه نفس الزبير ، نفس كريمة ، رجاعة للحق ، والرجوع الى الحق أولى من التمادى فى الباطل .

وقدر الله ، أن يقتـــل الزبير رضى الله عنه خارج المعـــركة فى وادى الجرموز ،ظنا من قاتله أن ذلك يرضى الامـــام عليـــا ، فذهب برأس الزبير الى الامام على : يطلب منه أجره ، فقال له أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشر قاتل الزبير بالنار .

والتحمت القوات بعضها ببعض ، وكان القتال عنيفا حول الجمل ،فأمر امامنا على بعقر الجمل فعقر ، وتم النصر لأمير المؤمنين على خصومه ،وأكرم معاملة أم المؤمنين فقالت رضى الله عنها له : يا ابن أبى طالب ملكت فأسجح، فقال غفر الله لك ، فقالت رضى الله عنها له : وغفر لك .

وقد ندمت السيدة عائشة أشد الندم لخروجها وقالت ، لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب الى من أن يكون لى ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (فقيه المدينة) كما قالت ليتنى مت قبل هـــذا اليوم بعشرين عاما . وكانت كثيرا ما تبكى وتقول (وقرن فى بيوتكن) .

والسيدة عائشة أم رحيمة بأبنائها . ولا شك أنها تألمت حين رأتقريبا من عشرين ألف نفس من أبنائها المؤمنين يموتون فى تلك المعركة ، والفتتان من المؤمنين وعندما تركت رضى الله عنها البصرة الى المدينة ، ودعها الناس ، فقالت لهم انه لم يكن قط بينها وبين الامام على الا ما يكون بين المـــرأة وأحمائها (أهل الزوج) .

وتلك نفس السيدة عائشة ، وهى نفس كريمة أوابة .

أما طلحة : فقد ضربه مروان بن الحكم فقتله ، واعجب أيها القارىء الكريم من حليف يقتـــل حليفه . فان طلحة كان مروان تحت رايته ، ولكنه رأى أن يثأر منه لعثمان حيث كان الثوار يلتفون حول طلحة بالمدينة ورأى مروان أنه ربما لا يملك فرصة خيرا من هذه فى الثأر منه .

وكانت نفس طلحة نفسا كريمة كذلك . فانه رأى رجلا قريبا منهوهو يجود بنفسه ، فسأله من أى الفريقين أنت ، قال من فريق أمير المؤمنين على، فقال أبلغه انى مبايعه ، فلما بلغ الرجل أمير المؤمنين ذلك ، قال أبى الله أن يدخل طلحة الجنة الا وبيعتى فى عنقه .

وقد تأثر أمير المؤمنين على حين رأى طلحة قتيلا ، ونفض التراب عن وجهه وقال : أعزز على بأن أراك مجندلا تحت السماء أبا محمد .

وكانت واقعة الجمل أولى المآسى التى قامت فى وجه أمير المؤمنين على فى بداية خلافته ، وقد جاءته من الحجاز ، لكنك رأيت أن خصومه فيها كانوا ذوى نفوس كريمة رجاعة الى الحق غير متمادية فى الباطل . ولاعجب فطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ، وأم المؤمنين نزلت براءتها فى القرآن الكريم (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) . وعلى الرغم من أن الامام عليا تمت له الغلبة ، فانه كان شديد التألم لما وقع ، حتى انه كان يقول : وددت لو أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين عاما . كما كان يقول لو عرفت أن الأمر يبلغ بنا ما بلغ ما دخلت فيه .

الامام الحسن كان يرى بقاء ابيه بالمدينة :

لم يكن من رأى الامام الحسن أن يترك أبوه المدينة ، ويرحل الى العراق للقاء طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم ، وكان يفضل أن يبقى أبوه مجاورا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكره له أن يذهب الى دار غربة ويتعرض للموت بضيعة . حتى لقد بكى الامام الحسن حين رأى ركاب أبيه يؤم العراق ، فقال له أبوه : انك لتحن حنين الجارية .

أما أبوه فكان يرى أن العراق موطن المال والرجال ، وكان أبوه من أشد الناس ميلا الى السلم مع المسلمين ، كما يتبين من تصرفاته مع خصومه، حتى مع الخوارج ، الا أن المقدر غلب على تقديره ، فكانت الحروب ، ذلك الى أن الامام عليا كان يتوقع وثبة على العراق من معاوية فكان يرى أن يكون قريبا من الشام لمقابلة تلك الوثبة .

امير المؤمنين على كان يضن بالحسن والحسين عن القتال :

وكان امامنا على يضن بالحسن والحسين عن القتال فى واقعة الجمل ، وقال لأصحابه : املكوا عنى هذين ، لئلا يهدانى ، لانى أخشى أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض ، ودفع الراية لابنه

محمد بن الحنفية وهو أخوهما لأبيهما ، وأبلى محمد فى المعركة بلاء عظيما حتى قال قائلهم مادحا له :

أبوك الذى لم يركب الخيل مثله على وســماك النبى محمـــدا

حروب صفين :

أما المأساة الثانية ، فجاءته من بلاد الشام ، وكانت أشد هولا ، وراح ضحيتها عشرات الألوف من الفريقين . وكنت ترى الرجل فى صف معاوية وابنه فى صف أمير المؤمنين ، أو ترى الأخوين ، كل منهما فى صف غيـــر صف أخيه .

وقد حاول أمير المؤمنين على كعادته أن يعالج الأمر بالاقناع والمراسلة، ولكن أبى معاوية الا عنادا ، وشد أزره فى موقف العناد عمرو بن العاص .

الخلافة والملك :

وقد تعلل معاوية ظاهرا بمقتل عثمان . الا أنه فى الحقيقة كان يصبو الى الملك . الذى تهيأ له المجتمع . حيث فتحت خيرات الدنيا على الناس ، ففتنوا بها . وجنحوا الى زخرفها ، وصدق الله تعـــالى اذ يقول : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) .

ان الورع أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء الثـــلاثة من بعده ، حجز الناس عن الافتتان بمادة الدنيا . وان كانوا قد استشرفوا لها فى أخريات أيام عثمان رضى الله عنه ، نتيجة لاتساع الفتوحات واختلاط العرب بغيرهم فى البلاد التى فتحـــوها واتساع تجارتهم التى درت عليهم أموالا وافرة لم يكن لهم بها عهد .

وكان الامام على يريد أن يعيد الناس الى سيرتهم الأولى فى الورع والزهد ، وضرب بنفســه المثـــل الأعلى لهم ، وكان معـــاوية يدفع بهـــم الى ما تصبو اليه نفوسهم من المال والجاه .

وهذا يفسر لك ما كان يحذره الخليفة الأول سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنــه حين أوصى أمير المؤمنين عمر بعد أن استخلفه على الناس ، وقال له فى وصيته :

« احذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم الذين انتفخت أجوافهم وطمحت أبصارهم ، وأحب كل امرىء نفسه وان منهم الحيرة عند زلة واحد منهم ، فاياك أن تكونه ، واعلم أنهم لن يزالوا منك خائفين ما خفت الله » .

بين سياستى عمر وعثمان :

وقد التزم أمير المؤمنين عمر هذه الوصية ، فحجر على أصـحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبرحوا المدينة ، حتى لقد كانوايستأذنونه فى الخروج للقتال ، فكان يقول لهم : كفاكم شرف الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما أمير المؤمنين عثمان ، فقد غير تلك السياسة ، وسمح لأصـحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضربوا فى الأرض ، فاتسعت تجارتهم ، وكثرت أموالهم ، ولعله كان مدفوعا فى ذلك التغيير بما رآه من مللهم من شدة أمير المؤمنين عمر ، وكان أمير المؤمنين عمر يلحظ فى أخريات أيامه ملل قريش منه ويتمنى لو ترك الخلافة ، بل انه تمنى الموت وطلبـه من الله فى رجوعه من الحج الأخير فاستجاب له .

رسائل متبادلة بين الامام على ومعاوية :

وعلى ضوء ما تقدم ، انظر فى الرسالتين التاليتين المتبادلتين بين أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ومعاوية ، لترى المشادة واضحة بين الصـدق والمغالطة ، أو بين الدين والدنيا ، أو بين الخلافة التى يمثلها أمير المؤمنين على ، والملك الذى ينشده معاوية ، الذى الف حضارة الشام ، ورخـاء العيش ، ورأى ملوك الرومان المجاورين فى أبهة ملكهم ، وسعة مظاهرهم.

كتب أمير المؤمنين على الى معاوية بعد واقعة الجمل (وقد سبقته كتب كثيرة من المدينة المنورة) :

سلام عليك ، أما بعد فان بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، لأنه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وانما الشورى للمهاجرين والأنصار، فاذا اجتمعوا على رجل وسموه أماما ، كان ذلك لله رضا ، وان خرج عن أمرهم ردوه الى ما خرج عنه ، فان أبى قاتلوه علـى اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ، واصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وان طلحة والزبير ، بايعانى ، ثم نقضا بيعتهما ، وكان نقضهما كردهما، فجاهدتهما ، بعـد ما أعذرت اليهما ، حتى جاء الحق ، وظهـر أمر الله وهم كارهون .

فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فان أحب الأمور الى قبولك العافية، وقد أكثرت فى قتلة عثمان ، فان رجعت عن رأيك وخلافك ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم الى ، حملتك واياهم على كتاب الله .

وأما تلك التى تريدها — يعنى الخلافة — فهى خدعة الصبى عن اللبن، ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدننى أبرأ قريش من دم عثمان ، واعلم أنك من الطلقاء (يشير الى أن معاوية وأباه أطلقا من الأسر يوم فتح مكة ، حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش ما تظنون أنى فاعل بكم ، قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال فى سماحته النبوية اذهبوا فانتم الطلقاء) ، الذين لا تحـل لهم الخلافة ولا يدخلون فى الشورى . وقـد بعثت اليك والى من قبلك ، جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الايمـان والهجرة ، فبايعه ولا قوة الا بالله .

وقد رد معاوية قائلا :

سلام عليك ، أما بعد فلعمرى لو بايعك الذين ذكرت ، وأنت برىء من دم عثمان ، لكنت كأبى بكر وعمر وعثمان ، ولكنك أغريت بدم عثمان، وخذلت الانصار ، فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف .

وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ؛ فانفعلت كانت شورى بين المسلمين ، وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم ، فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام ، ولعمـــرى ما حجتك على أهل الشام كحجتك على طلحة والزبير . ان كانا بايعاك فلم أبايعك أنا .

فأما فضلك فى الاسلام . وقرابتك من رسول الله صلى الله عليهوسلم فلست أدفعه .

تعقيب على رسالة معاوية :

وها أنت ترى معى من رد معـــاوية كل مغالطة . وانى لأعجب كيف تصدر مثل هذه الرسالة من رجل صحابى ، وقد ضمنها مبادىء خطيرة ، لا يقوم أى منها على حجة صحيحة ، وقد أهدر فيها حقوقا كثيرة ، واليك ما أراه فيها من الأباطيل :

أولا : انه اتهم أمير المؤمنين بدم عثمان والتحريض عليه ؛ وهو عكس ما وقع ، وقد مر عليك أنه دفع عنه بكل الوسائل حتى غلب عليه قضاءالله.

ثانيا : انه أسقط العدالة عن المهاجرين والأنصار ، مـــدعيا عليهم أن الحق فارقهم الى أهل الشام ؛ وهذا محض افتراء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أهل بدر الذين لم يتخلف واحد منهم عن بيعة أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، ورضاء الله على أهل بدر ثابت ؛ والامام على من أبرزهم .

ثالثا : ان معاوية يعترف بفضل الامام على فى الاسلام بقـــوله ، ولا يعترف به فى فعله ، فلو أنه كان صادقا فيما يقول ، لوقف منه موقف المقر بفضله ، لكنه خاصمه ، وفجر فى خصومته ، ولم يقف فى الخلاف معه عند دم عثمان الذى يدعيه ، بل فتح للباطل أبوابا أخرى ؛ فتسليم قتلة عثمان لا يكفى ، وشورى الحجازيين والعراقيين لا تكفى ، لأنهم ليسوا على حق . وانما أهل الشام هم أهل الحق وحدهم

وهكذا يصارع باطل المبطلين حق المحقين فى غير تحرج أو تأثم ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

الحرب بعد المسالمة :

ولما لم يجد الاقناع الصادق شيئا ، زحف أمير المؤمنين على بجيشه من الكوفة الى صفين ووجد جيش معاوية على الماء ، فنحاه عنه بقتال بعد أن أبى معاوية أن يخلى السبيل الى الماء ، وهو موقف غير انسانى من معاوية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا أن نحسن فى الطعام والشراب للحيوان فكيف بالانسان .

وأين موقف معاوية الذى ينافى الانسانية من موقف أمير المؤمنين على فانه حين غلب معاوية على الماء لم يعامله بالمثل بل سمح لجيش معاوية بالماء، ولم يقابل السيئة بالسيئة . ولو فعل ما كان ملوما فى لغة الحرب ،والبادى أظلم .

ثم وقع قتال شديد بين جيش العراق وعلى رأسه أمير المؤمنين على ، وبين جيش الشام ، وعلى رأسه معاوية ، ولاحت كفة النصر لأمير المؤمنين فى ليلة الهرير التى بلغ القتال فيها أشده ، وهم معاوية بالفرار مهزوما ، لولا أن عمرو بن العاص أشار عليه بخدعة رفع المصاحف على أسنة الرماح كاشارة الى طلب التحكيم بين الفريقين .

خدعة التحكيم :

وعلى الرغم من أن أمير المؤمنين بين لجيشه أنها خدعة وبين لهم أن خصومهم ليسوا أهل دين مأمون . الا أنهم ركبوا رءوسهم ، واستحوذ عليهم الشيطان فعاندوا أميرهم ، وطلبوا أن يرسل أمره للاشتر ليتراجع ويوقف القتال . وكان الأشتر قد دخل عسكر معاوية متقدما منتصرا ، ولما رجا الأشتر أن يمهل ساعة واحدة يكسب فيها النصر على أتمه ، تمرد جيش أمير المؤمنين وزادوا عتوا وعقوقا فى ساعة الجد التى تجب فيها الطاعة ، كما يجب فيها اتحاد الكلمة ، ووصل بهم العقوق أنهم هددوه بتسليمه لمعاوية أو قتله كما قتل عثمان ، وجدير بالذكر أن فكرة رفع

المصاحف ، لم تكن من ابتكار عمرو بن العاص بل انها أصلا من ابتكار أمير المؤمنين على فهو الذى رفعها من قبل فى معركة الجمل ، وعنه أخذ الفكرة عمرو فى معارك صفين .

الاشعث بن قيس وموقفه المشين :

وعندئذ أكره أمير المؤمنين على قبول التحكيم الذى لم يكن فى محله، وكان على رأس العاقين المشاقين ، الاشعث بن قيس الذى خطب فى قومه من كندة قائلا :

قد رأيتم يا معشر المسلمين ما كان فى يومكم هذا الماضى ، وما قد فنى فيه من العرب ، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ ، فما رأيت مثل هذا اليوم قط ، الا فليبلغ الشاهد الغائب ، انا ان لم تتواقف غدا لفنيت العرب ، وضيعت الحرمات ، أما والله لا أقول هذه المقالة خوفا من الحرب ، ولكنى رجل مسن أخاف على النساء والذرارى غدا اذا فنينا .

ويحق للقارىء أن يعجب لمثل هذا الموقف المشين من الأشعث ، وقد كان الأشتر متقدما بجنده داخل عسكر معاوية ، وكانت روح عسكر الشام قد ضعفت حين قتلوا عمار بن ياسر الصحابى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : تقتلك الفئة الباغية ، وكان عمار رضى الله عنه يقاتل بهمة لا تعرف الكلل (رغم شيخوخته) فى صف أمير المؤمنين على ، بل كان يده اليمنى يومئذ وقد جاء فى الحديث الشريف : (ان الجنة تشتاق الى أربع ، عمار وعلى وسلمان وبلال » .

تاريخ الأشعث :

ويزول عن القارىء العجب ، اذا وقف على تاريخ الأشعث بن قيس ، فقد كان ذلك الرجل على رأس كندة وكان يطمع فى الملك ، ثم إرتد بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، فحاربه سيدنا أبو بكر وحصره فى الحصن ، حتى استسلم على أن يسلم بدمه ودم عشرة من أصحابه ، وجاء تائبا الى سيدنا أبى بكر ، فقبل توبته وزوجه أخته أم فروة .

اكراه امير المؤمنين على اختيار ابى موسى الاشعرى فى التحكيم :

وليت الأشعث ترك لأمير المؤمنين أن يختار الحكم الذى يطمئن الى وعيه وصحة رأيه ، حين اختار معاوية عمرو بن العاص من جانبه للتحكيم ، فأراد أمير المؤمنين على أن يقابله بعبد الله بن عباس من جانبه ، الا أن الأشعث عارض وقال : انا رضينا بأبى موسى الأشعرى ، فقال أمير المؤمنين انه ليس لى بثقة ، قد فارقنى وخذل الناس عنى « كان ذلك فى واقعة الجمل » ثم هرب حتى أمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك ، قالوا لا نريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، ليس الى واحد منكما بأدنى من الآخر .

قال فانى أجعل الأشتر فقال الأشعث — وهو يحسد الأشتر على مكانته وبلائه — وهل سعر الارض غير الاشتر أو قال وهل نحن الا فى حكم الأشتر .

فلما رأى الامام اصرارهم وقلة أنصاره . قال قد أبيتم الا أبا موسى. قالوا نعم ، قال فاصنعوا ما بدالكم .

تعقيب للعلامة العقاد :

واليك ما يعقب به العلامة المرحوم عباس العقاد على موقف ذلك الأشعث فى كتابه « عبقرية الامام على » :

« فهذا رجل من الزعماء ، المطاعين فى جيش على ، لم يدع من وسعه شيئا لتغليب حزب معاوية على حزبه ، واستكثر عليه أن يكون الحكم الذى يختاره نصيرا له ، مؤمنا بحقه وصحة رأيه .

ولا طائل فى البحث عن هذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع فى الملك بعد فشل على ، أم النقمة على الأشتر النخعى فى مكانته وبلائه ، أم التواطؤ بينه وبين معاوية على منفعة مؤجلة ومكافأة موعودة » .

راى للمؤلف :

وانى أقول تعقيبا على كلام العلامة العقاد ، انى أرجح الاحتمال الثالث وهو الأخير ، وأستند فى ترجيحى هذا الى ما يأتى :

أ) ان الامام الحسن ، كما علمت مات مسموما ، وقد دست له السم زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس ، فكما خذل أبوها أمير المؤمنين عليا ، قتلت هى زوجها لمال أعطى لها . ووعد بزواجها من يزيد . فوف لها المال ولم يأمنوها على حياة يزيد .

ب) ان معاوية كما سترى فيما بعد ، اشترى بماله ذمة عبيد الله بن عباس ، وكان صاحب لواء فى جيش أمير المؤمنين الحسن بن على . ودفع له معاوية نصف المال الذى وعده به فورا ، ووعده بدفع النصف الثانى عندما يدخل معاوية الكوفة .

وقد ترك عبيد الله بن عباس لواءه وانحاز الى صف معاوية ، مما اضطر قيس بن سعد بن عبادة أن يصلى بالناس بدله ، واذا كان معاوية قد اشترى ذمة عبيد الله بن عباس وهو من صميم بنى هاشم فشراء غيره أيسر وأرخص .

وقد ذهب المال وذهب الرجال وسجل التاريخ موقفا مخزيا لكل من معاوية وعبيد الله بن عباس .

جـ) ان معاوية أغرى عمرو بن العاص بخراج مصر كلها ان تم له الأمر ، فوقف الى جنبه عمرو الى نهاية الشوط ، وسترى موقفا غير مشرف لعمرو فى أمر التحكيم ، خان فيه أمانة الله ، وصالح المسلمين العام ، أقول ذلك على أسف بالغ منى ، ولا أستطيع أن أدارى ماتواترت الأخبار الصحيحة به .

امير المؤمنين يصف فساد جيشه :

هذا ونرجع لما كنا فيه فنقول انه لم يخف على امامنا على كرم الله وجهه خبث أنصاره ولا فساد نياتهم فخاطبهم قائلا :

أيها الناس ، المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهى الصم الصلاب ،وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم .. الى أن قال :

« أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ،ولا أوعد العدو بكم ، ما بالكم ما دواؤكم ، ما طبكم ، القوم رجال أمثالكم ، أقولا بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعا فى غير حق » .

عمرو يخدع ابا موسى :

ثم ان الحكمين اجتمعا فى دومة الجندل (بين العراق والشام) وتشاورا ، وبعد جدال وأخذ ورد اتفقا على خلع الزعيمين على ومعاوية ، وقدم عمرو أبا موسى ليعلن القرار الذى اتفقا عليه ، وكان ابن عباس حذره من كيد عمرو وغدره ، وقال له ان اتفقتما على شىء فليعلنه عمرو أولا ، لكنه لم يسمع نصح ابن عباس ، وتقدم أبو موسى ليعلن القرار فقال بعد تمهيد :

« .. أيها الناس ، انا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة ، فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيى ورأى عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليا ومعاوية ، ونستقبل الأمة بهذا الأمر ، فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، وانى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا » .

وتلاه عمرو فقال بعد تمهيد :

« .. ان هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبى معاوية فانه ولى عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، الطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه » .

ابو موسى وعمرو يتبادلان الشتائم :

فغضب أبو موسى وصاح به : ما لك لا وفقك الله ، غدرت وفجرت ، انما مثلك مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فابتسم عمرو ، وهو يقول ، انما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا .

وكما قال العلامة العقاد رحمه الله : انتهت المأساة بهذه المهزلة ،أوانتهت المهزلة بهذه المأساة .

*

موقعة النهروان

فتنة الخوارج :

وبعد التحكيم ، زاد الطين بلة ، فقامت بسبب التحكيم فتنة الخوارج، وانضافت مأساة ثالثة على عاتق أمير المؤمنين على ، ويرحم الله أميرالشعراء شوقى حين قال له :

يا جبلا تأبى الجبال ما حمل

وصدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل .

وقد قال الخوارج فيما بينهم ، ان هذين الحكمين قد حكما بغير ما أنزل الله ، وقد كفر اخواننا حين رضوا بهما ، وحكموا الرجال فىدينهم، ونحن على الحق من بين هذا الخلق .

وحاول أمير المؤمنين على كعادته أن يسالمهم ويقنعهم لعلهم يرشدون ، لكنهم كانوا متهوسين ، وبلغ بهم الهوس الى أن كفروا الامام وأصحابه ، ورأوا أن يعاملوهم فى الحرب والسلم على أنهم كفار .

وعلى الرغم من موقفهم الشائن هذا ، فقد رفع أمير المؤمنين عليه السلام فى الساحة راية ضم اليها الفى رجل ونادى ، من التجأ الى هذه الراية فهو آمن ، وقال لأصحابه لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ، فصاح الخوارج صيحتهم لا حكم الا لله وان كره المشركون ، وهى الصيحة التى عقب عليها أمير المؤمنين عليه السلام بكلمته المشهورة فقال : « كلمة حق أريد بها باطل » .

وعندئذ لم يجد أمير المؤمنين مناصا من قتالهم فى موقعة النهروان ، فما هى الا ساعة ، حتى قتل منهم نحو أربعة آلاف وبقى منهم نحوأربعمائة

أصيبوا بجراح وعجزوا عن القتال ، فأمـــر بهم أمير المؤمنين فحملوا الى عشائرهم ، لينظروا من فيه رمق فيدركوه بعلاج .

وماذا بعد قتال الخوارج

الأشعث يعوق الحرب مرة اخرى :

وأراد أمير المؤمنين ، كرم الله وجهه ، أن يسير الى الشام ليلقى جيش معاوية ، فتصدى له الأشعث بن قيس مرة أخرى ، كما تصدى له من قبل فى الفرصة السانحة للغلبة وقال له على مسمع من الناس :

« يا أمير المؤمنين ، نفدت نبالنـا ، وكلت سـيوفنا ، ونصلت أسـنة رماحنا ، فارجع بنا الى مقرنا ، لنستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا عدة من هلك منا ، فانه أوفى لنا على عدونا » .

وتسلل الجند من معسكرهم ، ولاذ من لاذ بالمدن القـريبة منهم ، وأيقن أمير المؤمنين أن القوم مرقوا من يده ، ولا طاعة له عليهم اذا دعاهم للقتال .

جيش معاوية فى طاعته :

وعلى عكسه كان معاوية ، فان جنده كانوا فى طاعته ، وأعانه الخوارج غير عامدين ، فحاربوا أمير المؤمنين ولم يحاربوه ، وطلبوا التوبة من أمير المؤمنين ولم يطلبوها من معاوية .

واستمر معاوية فى ارسال بعوثه وسراياه ، فلم تنقض سـنتان حتى كانت معه مصر والمدينة ومكة ، وبقى أمير المؤمنين على فى قطاع الـكوفة يائسا منعزلا عن الناس ، ويوجس شرا من أقرب المقربين اليه .

ولست أجد فى وصف أهل العراق وموقفهم من أمير المؤمنين أبلغ من كلامه هو حين خاطبهم قائلا :

أخلاقكم دقاق ، وماؤكم زعاق ، ودينكم نفاق ، وعهدكم شـقاق ، القائم بين أظهركم مرتهن بذنبه ، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه.

اغتيال أمير المؤمنين غدرا

الخوارج يغدرون بامير المؤمنين :

ثم كان ما قدره الله من اغتيال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه غدرا بيد أحد الخوارج فمات شهيدا راضيا مرضيا .

ذلك بأن ثلاثة من الخوارج هم : عبد الرحمن بن ملجم ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى ، وهم من غلاة الخوارج الموتورين ، اجتمعوا وتذاكروا القتلى من المسلمين عامة ، وألقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة من الكفار أو أئمة الضلال (فى رأيهم السفيه) وهم : على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم على بن أبى طالب ، وقال البرك ، أنا أكفيكم معاوية بن أبى سفيان ، وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص .

فأما عمرو بن العاص فقد اشتكى بطنه فلم يخرج من ليلته تلك ،وأمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته أن يصلى بالناس ، فقتله عمرو بن بكر وهو يحسبه عمرو بن العاص ، فقال عمرو بن العاص ، أردتنى وأراد الله خارجة ، وأمر بقتله .

وأما معاوية فضربه البرك بن عبد الله ، فوقعت الضربة على اليته فعولج وشفى .

وأما أمير المؤمنين على فضربه ابن ملجم فى جبينه بسيف مسموم ، وهو خارج لصلاة الفجر فمات بعد أيام .

ومن ورعه أوصى كرم الله وجهه ، ألا يمثل أهله بقاتله ، وقال لهم « يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين ، تقولون قتل أمين المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، الا لا يقتلن أحد الا قاتلى .

« انظر يا حسن اذا أنا مت من ضربته هذه ، فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، « اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » .

دور المرأة فى اغتيال امير المؤمنين على :

ومن عجيب الأمور ، أن تلعب امرأة دورها فى اغتيال أمير المؤمنين على ، وأن تلعب امرأة أخرى دورها فى سم ابنه الامام الحسن السبط ، وقد وقف القارىء على قصة سم الامام الحسن ، خيانة من خصومه ، وغدرا بيد زوجته جعدة بنت الأشعث .

أما دور المرأة فى اغتيال أمير المؤمنين على فهو أن ابن ملجم لعنه الله والملائكة والناس أجمعون ، كان يحب فتاة من تيم الرباب يقال لها قطام ، قتل أبوها وأخوها وبعض أقربائها فى معركة الخوارج ، وكانت توصف بالجمال الفائق ، والشكيمة القوية ، وتدين بمذهب أهلها ، فوق ما فى جوانحها من لوعة الحزن على قتل ذويها .

فلما خطبها ابن ماجم لم ترض به زوجا الا أن يشفى لوعتها ، وقال وما يشفيك ، قالت ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل على بن أبى طالب.

وشاء الله أن تنتهى حياة الامام على الغالية فى ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة من رمضان سنة ٤٠ هـ على يد الآثم الفاجر ابن ملجم خطيب قطام ، وفى ذلك يقول ابن ابى مياس المرادى .

ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة   كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب على بالحسام المسمم
فلا مهر أغلى من على وان غلا   ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

آخر كلمات امير المؤمنين :

وعلى الرغم من ألم الجراح وشدة سكرات الموت ، فان أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، لم يبرح الدنيا الفانية قبل أن يوصى أبناءه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، فقد دعا اليه الحسن والحسين رضى اللهعنهما وقال لهما :

« أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ، و لاتبكيا على شىء زوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، واغنيا الضائع ، واصنعا

للآخرة ، وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم ناصرا ، واعملا بما فى كتاب الله، ولا تأخذكما فى الله لومة لائم » .

ثم نظر الى أخيهما لأبيهما محمد بن الحنفية رضى الله عنه وقال له : « هل حفظت ما أوصيت به أخويك ، قال نعم ، قال فانى أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، العظيم حقهما عليك ، وتزين أمرهما ، ولا تقطع أمرا دونهما .

ثم قال لهما ، وصيتكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما ، وقد علمتما ان أباكما كان يحبه فأحباه » .

ثم قيل له نبايع الحسن من بعدك ؟ فقال لا آمركم ولا أنهاكم،أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ذلك أنه أراد أن تكون الخلافة شورى ويختاروا لأنفسهم .

ثم كتب كرم الله وجهه وصيته ، ولم يتكلم الا بلا اله الا الله حتى فاضت روحه الى روح وريحان وجنة نعيم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نبأه بما وقع له ، فقد قال له يوما : أتعلم من أشقى الأولين ؟ قال نعم عاقر الناقة ، فقال ألا تعلم من أشقى الآخرين ؟ قال لا ، قال الذى يضربك على هذه فيخضب هذه .

بيعة الامام الحسن بالخلافة بعد ابيه :

روى أبو الفرج بسنده فى مقاتل الطالبيين ، ويؤيده ما جاء فى الطبرى وابن الأثير وابن أبى حديد ، أن الامام الحسن خطب بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين على عليهما السلام فقال :

« لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولا يدركه الآخرون بعمل ، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برايته ، فيكتنفه جبريل عن يمينه ،وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ، وقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسى بن مريم ، ولقد توفى فيها يوشع بن نون وصى موسى ،

وما خلف صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادما لأهله . ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه .

ثم قال : « أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي الى الله عز وجل باذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، والذين افترض الله مودتهم في كتابه اذ يقول (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت » .

ثم قام ابن عباس بين يديه ، فدعا الناس الى بيعته ، فاستجابوا له ، وقالوا ما أحبه الينا وأحقه بالخلافة فبايعوه .

ثم نزل عن المنبر .

جواسيس معاوية :

قال ودس معاوية رجلا من بني حمير الى الكوفة ورجلا من بني القين الى البصرة يكتبان اليه بالأخبار ، فكشف أمرهما وقتلا .

رسالتان بين الامام الحسن ومعاوية :

قال وكتب الامام الحسن الى معاوية :

أما بعد فانك دسست الى الرجال ، كأنك تحب اللقاء ، وما أشك في ذلك ، فتوقعه ان شاء الله ، وقد بلغني أنك شمت بما لا يشمت به ذوو الحجى ، وانما مثلك في ذلك كما قال الأول :

وقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تجهز لأخرى مثلها فكأن قد
وانا ومن قد مات منا لكالذي ... يروح ويمسي في المبيت ليغتدي

وأنت تدرك من تلك الرسالة ذكاء الامام الحسن ، وبلاغة ارشاده للشامتين بالموت الذي لا مهرب منه لأي مخلوق .

قال فاجابه معاوية :

أما بعد ، فقد وصل كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ولقد علمت بما حدث فلم أفرح ، ولم أحزن (؟) ولم أشمت ولم آس ، وان عليا أبالك لكما قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

فأنت الجواد وانت الذى اذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقاء يضرب منها النساء النحورا
وما مزبد من خليج البحار يعلو الأكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده فيعطى الألوف ويعطى البدورا

أقول ولئن كان معاوية يقول انه لم يشمت فقد شمت بالفعل كما سترى فيما بعد ، وأما قوله انه لم يحزن ، فقد فاتته الكياسة فى قوله هذا، ولو أنه اكتفى بنفى الشماتة ، لكان أكيس ، على أنه برغمه امتدح أمير المؤمنين عليا بالشعر الذى تمثل به ، ولعله أراد أن يلاين الامام الحسن مضطرا من باب السياسة .

جانب الدنيا فى سياسة معاوية :

ولقد غلب على معاوية فى سياسته ، جانب الدنيا ، على جانب الدين ، وهو ما يفسر لك قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : والله ما معاوية بأدهى منى ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس .

أما جانب الدنيا الذى غلب على معاوية فى سياسته فيفسره قول مستشاره الأول عمرو بن العاص حين قال : انه لا يصلح لهذا الأمر الا رجل له ضرسان ، يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر ، وذلك الذى يقوله عمرو اتبعه معاوية فأكل بضرس وأطعم بالآخر ، وواأسفاه على دين يرخص،ودنيا تغلو .

الامام الحسن يكتب لمعاوية مرة اخرى :

قال أبو الفرج ، وكتب الامام الحسن عليه السلام الى معاوية مع جندب بن عبد الله الأزدى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من الحسن بن علـى أمير المـؤمنين الى معاوية بن أبى سفيان سلام الله عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد :

فان الله جل جلاله ، بعث محمدا رحمة للعالمين ، ومنة للمؤمنين ،وكافة للناس أجمعين (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) فبلـغ رسالات الله ، وقام بأمر الله حتى توفاه الله ، غير مقصر ولا وان ، وبعـد أن أظهر الله به الحق ، ومحق به الشرك ، وخص به قريشا خاصة ، فقال له (وانه لذكر لك ولقومك) .

فلما توفى تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قريش : نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه ، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش ، وأن الحجة فى ذلك لهم ، على من نازعهم أمرمحمد، فأنعمت لهم (أى قالت نعم) وسلمت اليهم .

ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حاججت به العرب ، فلم تنصفناقريش انصاف العرب لها ، انهم أخذوا هـذا الأمر دون العـرب ، بالانتصـاف والاحتجاج .

فلما صرنا ـــ أهل بيت محمد وأولياءه الى محاجتهم ، وطلب النصف (أى الانتصاف) منهم ـــ باعدونا ، واستولوا بالاجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا ، فالموعد الله ، وهو الولى النصير .

واقد كنا تعجبنا ، لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا ، وان كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الاسلام ، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب فى ذلك مغمزا يثلمونه به ، أو يـكون لهم بذلك سبب الى ما أرادوا من افساده .

فاليوم ، فليتعجب المتعجب من توثبك يا معـاوية على أمـر لست من أهله ، لا بفضل فى الدين معروف ، ولا أثر فى الاسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليـه وآله

ولكتابه ، والله حسيبك ، فسترد فتعلم لمن عقبى الدار ، وبالله لتلقين عن قليل ربك ، ثم ليجزينك بما قدمت يداك ، وما الله بظلام للعبيد .

ان عليا لما مضى لسبيله ، رحمة الله عليه يوم قبض ، ويوم من الله عليه بالاسلام ، ويوم يبعث حيا ، ولاقى المسلمون الأمر من بعده ، فاسأل الله ألا يؤتينا فى الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامة .

وانما حملنى على الكتاب اليك ، الاعذار فيما بينى وبين الله عز وجل فى أمرك ، ولك فى ذلك ان فعلته الحظ الجسيم ، والصلاح للمسلمين، فدع التمادى فى الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى ، فانك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ ومن له قلب منيب.

واتق الله ودع البغى ، واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به ، وادخل فى السلم والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منك ، ليطفىء الله النائرة (أى العداوة) بذلك ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات البين .

وان أنت أبيت الا التمادى فى غيك ، سرت اليك بالمسلمين فحاكمتك، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

تعقيبى على الكتاب المتقدم :

وأود أن أعقب قليلا على ذلك الكتاب الكريم ، لأيسر للقارىء فهمه اذا لم يكن قد اطلع على تفاصيل التاريخ فى صدر الاسلام ، فأقول وبالله التوفيق :

كان لقريش مركزها الاجتماعى بين قبائل العرب فى الجاهلية ،وكسبت مركزها ذلك بمواهب خصوا بها فى أمور الدنيا والدين ، فكانت لهم تجارتهم الواسعة فى رحلتى الشتاء والصيف ، كما كانوا قائمين على شؤون البيت الحرام فى مكة المكرمة ، من سقاية وعمارة وضيافة للوافدين من كل فج ، ثم أراد الله أن يلبسها فوق ذلك كله ، الشرف الخالد ، فاختار من قريش بنى هاشم واختار من بنى هاشم رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل القرآن الكريم بلغة قريش .

واستجاب لدعوة رسول الله صـــلى الله عليه وســـلم فى بدايتها من عشيرته الأقربين بنو هاشم ، وكان أولهم اسلاما فى صباه الامام على كرم الله وجهه ، وكان أول المسلمين من الرجال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو من بنى تيـــم ، وأسلم على يده عثمان بن عفان رضى الله عنـــه ، فكان أول من أسلم من بنى أمية ، وكان اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه على تمام أربعين انسانا فى أظهر الروايات ، وهو من بنى عدى ، وكلهم قرشيون وان تنوعت فروعهم ، رضى الله عنهم وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لبنى هاشم فى الجاهلية الشرف والسيادة على غيرهم من بيوتات قريش ، وزادوا فى الاسلام شرفا بالرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وعندما أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بقتال الكافرين ، برزت تضحيات امامنا على فى شبابه ، كما برزت تضحيات قومه من بنى هاشم واستشهد منهم فى نصرة دين الله ، صناديد على رأسهم حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبى طالب .

ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلا اشتغل بتجهيزه الامام على كرم الله وجهه ، وكان الأنصار قد اجتمعوا بسقيفة بنى ساعدة ليختاروا خليفة له ، واتجهوا الى سعد بن عبادة الخزرجى .

ولما علم سيدنا عمر بن الخطاب بذلك أسرع الى هنالك ومعه سيدنا أبو بكر الصديق ، وبعد أخذ ورد قال سيدنا عمر للحاضرين : من منـــكم يريد أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقـــد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد به المرض أمر أن يصلى بالناس أبو بكر ، فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس ، ثم قال سيدنا عمر للحاضرين: لقد رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، أفلا نرضاه لدنيانا ،امدد يا أبا بكر يدك أبايعك ، فبايعه سيدنا عمر وبايعه الباقون .

وقد تأخر امامنا على عن بيعة سيدنا أبى بكر ، وقالوا انه بايعه بعد ستة أشهر ، من موت السيدة فاطمة الزهراء .

واختلفوا فى أسباب تأخره ، فمن قائل انه كان يرى نفسه أحق بالخلافة ، وكان عمه العباس قد عرض عليه أن يبايعه هو وأبو سفيان ، فيبايعه المهاجرون والأنصار ويقولون عم رسول الله بايع عليا ، وكان للعباس مكانه المرموق فيهم ، وكان معروفا بحصافة الرأى والرشد ، فلم يشأ الامام على أن يترك تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفرغ للبيعة .

ومن قائل انه حرص على شعور زوجته السيدة فاطمة الزهراء ، وكانت طالبت الخليفة أبا بكر الصديق بميراثها فى رأض فدك التى خلفها أبوها ، فقال لها رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

وقد بلغ من حرص سيدنا أبى بكر على مرضاة السيدة الزهراء ، أنه رضى الله عنه هدد بترك خلافة المسلمين ان لم تكن الزهراء راضية عنه .

ومن قائل ان الامام على ساءه أن تعقد البيعة ، فى سقيفة بنى ساعدة دون أن يدعى لحضورها .

وكان عذر السلف الصالح واضحا فى الاسراع بالبيعة ، قبل أن يشتد الخلاف، بين المهاجرين والأنصار ، حيث كان كل فريق يرى أنه أحق بها من الفريق الآخر ، واحتج المهاجرون بأنهم أول الناس اسلاما وان كانت نصرة الأنصار لا تنكر ، فقد نصروا دين الله بالنفس والمال .

ولما أسرعوا ببيعة سيدنا أبى بكر اطفأوا نار الفتنة ، ودانت سائر الأمصار ببيعة المهاجرين والأنصار بالمدينة وهم أهل الحل والعقد فى المسلمين .

وعندما حان أجل سيدنا أبى بكر رضى الله عنه ، خاف أن يتكرر الخلاف بموته ، فاستخلف على المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ووافقه على بيعته المهاجرون والأنصار .

ولما طعن سيدنا عمر وأحس بأن ضربته قاتلة ، وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف ، فقال رضى الله عنه ، ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى :

عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ، فان أصابت الامارة سعدا ، فهو أهل لذلك ، والا فليستعن به أيكم أمر ، فانى لم أعزله عن عجز ولا عن خيانة .

ثم قال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعـرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرا ، الذين تبـوأوا الدار والايمان من قبلهم ، أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم،وأوصيه بأهل الأمصار خيرا ، فانهم درء الاسلام وجباة الأموال ، وغيظ العـدو ، الا يأخذ منهم الا فضلهم ، عن رضاهم ، وأوصيه بالأعراب خيرا ، فانهم أصل العرب ، ومادة الاسلام ، أن يؤخذ من حواشى أموالهم ، ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى اليهم بعهدهم ، وأن يقاتل من وراءهم ، والا يكلفوا الا طاقتهم .

فلما فـرغ من دفن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه (عـلى ما رواه البخارى) اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم . فقال الزبير : جعلت أمرى الى على ، فقال طلحة ، قد جعلت أمرى الى عثمان ، وقال سعد ، قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هـذا فنجعله اليـه ، والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه ، فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن ، أفتجعلونه الى ، والله على الا آلو عن أفضلكم ، قالا نعم ، فأخذ بيدأحدهما فقال لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقدم فى الاسلام ماقد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، وان أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن . ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك .

فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك ياعثمان ، فبايعه ، فبايع له على ،وولج أهل الدار فبايعوه .

وجاء فى شرح نهج البلاغة لابن ابى حديد أن أمير المؤمنين عمر كان يحصرها بتقديره فى واحد من اثنين ، اما على واما عثمان ، لذلك نصح عليا

فقال له : اذا بويعت فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس ، كما نصح عثمان وقال له : اذا بويعت فلا تحملن بنى معيط على رقاب الناس ، وقال أيضا : لو ولوها الأجلح (كان سيدنا على أصلع الرأس) لحملهم على الجادة ، فقيل له : فما منعك أن تستخلفه ، قال لا أحملها حيا وميتا ، فليختاروا لأنفسهم .

ثم كانت الثورة التى قامت آخر خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه وانتهت بمقتله ، وانتهى رأى الثوار كما مر عليك الى مبايعة الامام على فكان يهرب منهم الى الحيطان (البساتين) ولكنهم الزموه الخلافة ، فأبى الا أن تكون بيعته علانية فى المسجد ، فبايعه الثوار الوافدون من مصر والكوفة والبصرة ، كما بايعه المهاجرون والأنصار وأهل بدر ، وهم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان قبله .

وقد علم القارىء الكريم من موجز تاريخ الامام على الذى قدمناه ، ما كان من أمر حروب الجمل وصفين والنهروان ، وما كان من أمر التحكيم ، وما كان من اغتيال أمير المؤمنين على غدرا بيد الآثر اللعين ابن ملجم الخارجى ، وما كان من أمر البيعة التى تمت لأمير المؤمنين الحسن بن على ، بعد مقتل أبيه كرم الله وجهه ، وكان لابد من اعطاء فكرة عن الخلافة الاسلامية منذ قامت ، الى أن وليها أمير المؤمنين الحسن بن على ، لارتباط رسالته المتقدمة التى بعث بها الى معاوية ، ولارتباط رد معاوية بها ، وها هو رد معاوية الذى كتب به للامام الحسن .

رد معاوية على الامام الحسن :

من معاوية أمير المؤمنين الى الحسن بن على : سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فقد بلغنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت به محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل كله قديمه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، وقد والله بلغ وأدى ، ونصح وهدى ، حتى انقذ الله به من الهلكة ، وانار به من العمى ، وهدى به من الجهالة والضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته ، وصلوات الله عليه ، يوم ولد ويوم بعث ، ويوم قبض ، ويوم يبعث حيا .

وذكرت وفاة النبى صلى الله عليه وآله ، وتنازع المسلمين الأمر بعده، وتغلبهم على أبيك ، فصرحت بتهمة أبى بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبى عبيدة الأمين ، وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلحاء المهاجرين والأنصار ، فكرهت ذلك لك ، أنت امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين ولا المسىء ، ولا اللئيم ، وأنا أحب لك القول السديد ، والذكر الجميل .

ان هذه الأمة ، لما اختلفت بعد نبيها ، لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم، ولا مكانكم فى الاسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها ، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها اسلاما، وأعلمها بالله ، وأحبها له ، وأقواها على أمر الله ، فاختاروا أبا بكر ، وكان ذلك رأى ذوى الدين والفضل ، والناظرين للأمة ، فأوقع ذلك فى صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا متهمين ، ولا فيما أتوا بالمخطئين ، ولو رأى المسلمون أن فيكم من يغنى غناءه ، ويقوم مقامه ، ويذب عن حريم الاسلام ذبه ، ما عدلوا بالأمر الى غيره رغبة عنه ، ولكنهم عملوا فى ذلك بما رأوه صلاحا للاسلام وأهله والله يجزيهم عن الاسلام وأهله خيرا .

وقد فهمت الذى دعوتنى اليه من الصلح ، والحال فيما بينى وبينك اليوم ، مثل الحال التى كنتم عليها ، أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله .

فلو علمت أنك أضبط منى للرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأقوى على جمع الأموال ، وأكيد للعدو ، لأجبتك الى مادعوتنى اليه ، ورأيتك لذلك أهلا ، ولكن قد علمت أنى أطول منك ولاية ، وأقدم منك بهذه الأمة تجربة ، وأكبر منك سنا ، فأنت أحق أن تجيبنى الى هذه المنزلة التى سألتنى .

فادخل فى طاعتى ولك الأمر من بعدى ، ولك ما فى بيت مال العراق بالغا ما يبلغ ، تحمله الى حيث أحببت ، ولك خراج أى كور العراق شئت ، معونة لك على نفقتك ، يجبيها أمينك ويحملها اليك فى كل سنة ، ولك الا

نستولى عليك بالاساءة ، ولا نقضى دونك الأمور ، ولا نعصى فى أمرازدت به طاعة الله ، أعاننا الله واياك على طاعته انه سميع مجيب الدعاء والسلام .

وروى أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين بسنده عن جندب قال . فلما أتيت الحسن بكتاب معاوية — قلت له أن الرجل سائر اليك ، فابدأه بالمسير ، حتى تقاتله فى أرضه وبلاده وعمله — فاما أن تقدر أن ينتاد لك ، فلا والله حتى يرى منا أعظم من صفين ، فقال أفعل ، ثم قعد عن مشورتى وتناسى قولى .

رسالة اخرى من معاوية للامام الحسن :

قالوا وكتب معاوية الى الحسن :

أما بعد ، فان الله يفعل فى عباده ما يشاء ، لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب ، فاحذر أن تكون منيتك على أيدى رعاع من الناس ، وأيأس من أن تجد فينا غميزة ، وان أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتنى ، وفيت لك بما وعدت وأجريت لك ما شرطت ، وأكون فى ذلك ، كما قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وان أحد أسدى اليك أمانة	فأوف بها تدعى اذا مت وافيا
ولا تحسد المولى اذا كان ذا غنى	ولا تجفه ان كان فى المال فانيا

رد الامام الحسن على معاوية :

فأجابه الحسن عليه السلام :

أما بعد فقد وصل الى كتابك ، تذكر فيه ما ذكرت ، فتركت جوابك ، خشية البغى منى عليك ، وبالله أعوذ من ذلك ، فاتبع الحق تعلم أنى من أهله ، وعلى اثم أن أقول فأكذب والسلام .

معاوية يكتب الى عماله على النواحى :

فلما وصل كتاب الحسن عليه السلام الى معاوية قرأه ، ثم كتب الى عماله على النواحى بنسخة واحدة :

من عبد الله معاوية أمير المـؤمنين الى فلان بن فـلان ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو أما بعد :

فالحمد لله الذى كفاكم مؤونة عدوكم ، وقتل خليفتكم ، ان الله بلطفه، وحسن صنعه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده ، فاغتاله فقتله ،فترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنـا كتب أشرافهم وقادتهم ، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم ، فاقبلوا الى حين يأتيكم كتابى هـذا بجهدكم وجندكم ، وحسن عدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله الصبر ، وبلغتم الأمل ، وأحل الله أهل البغى والعدوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتاب معاوية يشهد بشماتته فى موت امير المؤمنين على :

أقول : فكيف نفى معاوية شماتته بموت الامام على فى رده عـلى الامام الحسن الذى مر عليك ، وشماتته فى كتابه الى عماله ظاهرة ، وهل من الصدق أن ينسب البغى والعدوان للامام على ، ولكنهم قديما قالوا رمتنى بدائها وانسلت .

الفئة الباغية :

ولقد قتل جند معاوية فى صفين الصحابى الجليل عمار بن ياسر ،وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : تقتلك الفئة الباغية ، كما سلف القول، فلا حجة لمعاوية فيما يدعيه بغير حق ، من أن الامام عليا وأنصاره أهل بغى.

معاوية تغلبه السياسة على دينه :

وأين شهادة معاوية هذه فى امامنا على ، من شهادة امامنا على حين سئل عن معاوية وأصحابه وقيل له : أكفار هم ؟ قال لا من الشرك فروا ، قالوا ، أمنافقون هم ؟ قال لا ، ان الله قال فى المنافقين (ولا يذكرون الله الا قليلا) وليسوا هم كذلك قالوا فما حالهم ، قال اخواننا بغوا علينا .

ومن هنا تعلم أن السياسة لم تغلب الامام عليا كما غلبت معـاوية ، فحافظ الامام على كرم الله وجهه على دينه بينما تهاون معاوية فيه .

الامام الحسن يجمع جيشه :

قالوا ، فاجتمعت العساكر الى معاوية ، فسار بهم قاصدا الىالعراق، وبلغ الامام الحسن خبره ومسيره نحوه ، وأنه قد بلغ جسر منبج ، فتحرك عند ذلك ، وبعث حجر بن عدى فأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ، ونادى المنادى الصلاة جامعة ، فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون ، وقال الحسن : اذا رضيت الجماعة ، فأعلمونى .

وجاء سعيد بن قيس الهمدانى فقال له اخرج .

فخرج الحسن عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فان الله كتب الجهاد على خلقه ، وسماه كرها ، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين : اصبروا ان الله مع الصابرين ، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون .

بلغنى أن معاوية بلغه أننا كنا أزمعنا على المسير اليه ، فتحرك لذلك ، اخرجوا رحمكم الله ، الى معسكركم بالنخيلة ، حتى ننظر وتنظروا ، ونرى وتروا .

قالوا : وانه فى كلامه ليتخوف خذلان الناس له ، قالوا فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجابه بحرف .

شجاعة عدى بن حاتم ووفاؤه :

فلما رأى ذلك عدى بن حاتم قام فقال : أنا ابن حاتم ، سبحان الله ، ما أقبح هذا المقام ، ألا تجيبون امامكم ، وابن بنت نبيكم ، أين خطباء مضر ، أين المسلمون ، أين الخواضون من أهل المصر ، الذين ألسنتهم كالمخاريق فى الدعة ، فاذا جد الجد فرواغون كالثعالب ، أما تخافون مقت الله ، ولاعيبها وعارها .

ثم استقبل الامام الحسن بوجهه فقال : أصاب الله بك المراشد ، وجنبك المكاره ، ووفقك لما تحمد ورده وصدره ، قد سمعنا مقالتك ،

واتهينا الى أمرك ، وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت ، وهذاوجهى الى معسكرى ، فمن أحب أن يوافينى فليواف .

ثم مضى لوجهه ، فخرج من المسجد ودابته بالباب ، فركبها ومضى الى النخيلة ، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه ، وكان عدى بن حاتم أول الناس عسكرا .

نخبة من الاوفياء :

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ، ومعقل بن قيس الرياحى، وزياد بن صعصعة التيمى ، فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم ، وكلموا الامام الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم فى الاجابة والقبول .

فقال لهم الامام الحسن عليه السلام ، صدقتم رحمكم الله ، ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيرا ثم نزل .

وخرج الناس وعسكروا ، ونشطوا للخروج ، وخرج الامام الحسن الى المعسكر ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمره باستحثاث الناس واشخاصهم اليه ، فجعل يستحثهم ويستخرجهم حتى يلتئم العسكر .

ابن عباس يبدى رايه للامام الحسن :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى عن أبى بكر بن الأسود قال : كتب ابن عباس الى الامام الحسن : أما بعد فان المسلمين ولوك أمرهم بعد على عليه السلام ، فشمر للحرب وجاهد عدوك ، وقارب أصحابك ، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك دينا ، ووال أهل البيوتات والشرف، تستصلح به عشائرهم ، حتى يكون الناس جماعة ، فان بعض ما يكره الناس ـــ مالم يتعد الحق ، وكانت عواقبه تؤدى الى ظهور العدل وعز الدين ـــ خير من كثير مما يحبه الناس اذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور وذل المؤمنين وعز الفاجرين .

واقتد بما جاء عن أئمة العدل ، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب الا فى حرب أو اصلاح بين الناس ، فان الحرب خدعة ، ولك فى ذلك سعة اذا كنت محاربا مالم تبطل حقا .

واعلم أن عليا اباك ، انما رغب الناس عنه الى معاوية ، انه أساء اليهم فى الفىء ، وسوى بينهم فى العطاء فثقل عليهم .

واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله فى ابتداء الاسلام ، حتى ظهر أمر الله ، فلما وحد الرب ومحق الشرك وعز الدين ، أظهروا الايمان ، وقرءوا القرآن ، مستهزئين بآياته ، وقاموا الى الصلاة وهم كسالى ،وأدوا الفرائض وهم لها كارهون .

فلما رأوا أنه لا يعز فى الدين الا الاتقياء الأبرار ، توسموا بسيما الصالحين ، ليظن المسلمون بهم خيرا ، فما زالوا بذلك حتى شركوهم فى أماناتهم ، وقالوا حسابهم على الله ، فان كانوا صادقين فاخواننا فى الدين ، وان كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين .

وقد منيت بأولئك وبأبنائهم وأشباههم ، والله مازادهم طول العمر الا غيا ، ولا زادهم ذلك لأهل الدين الا مقتا ، فجاهدهم ولا ترض دنية ولا تقبل خسفا ، فان عليا لم يجب الى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب ، وانهم يعلمون أنه أولى بالأمر ان حكموا بالعدل ، فلما حكموا بالهوى ، رجع الى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله ، ولا تخرجن من حق أنت أولى به ، حتى يحول الموت دون ذلك والسلام .

قالوا : وسار الامام الحسن عليه السلام فى عسكر عظيم وعدةحسنة، حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثا حتى اجتمع الناس .

ثم دعا عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب (أخو عبد الله بن عباس) فقال له : يا ابن عم ، انى باعث اليك اثنى عشر الفا من فرسان العرب وقراء المصر ، الرجل منهم يزن الكتيبة ، فسر بهم وألن لهم جانبك ،وابسط لهم وجهك ، وافرش لهم جناحك ، وأدنهم من مجلسك ، فانهم بقية ثقات أمير المؤمنين ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ، حتىتعبر

مسكن ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فان أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك ، فانى على أثرك وشيكا ، وليكن خبرك عندى كل يوم ، وشاور هذين (يعنى قيس بن سعد وسعيد بن قيس) واذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك ، فان فعل فقاتله ، وان أصبت فقيس بن سعد على الناس ،وان أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس .

قالوا ، فسار عبيد الله حتى انتهى الى شينور حتى خرج الى شاهى ثم لزم الفرات والفلوجه حتى أتى مسكن ، وأخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب ، ثم بكر فنزل ساباط دون القنطرة .

فلما أصبح نادى فى الناس ، الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصعد المنبر ، وخطبهم فقال :

الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد ألا اله الا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، أرسله بالحق وائتمنه على الوحى ، صلى الله عليه وآله أما بعد :

فوالله انى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خلقه ، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ، ولا مريدا له بسوء ولا غائلة ، ألا وان ما تكرهون فى الجماعة ، خير لكم مما تحبون فى الفرقة ، ألا وانى ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمرى ، ولاتردوا على رأيى ، غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى واياكم لما فيه محبته ورضاه ان شاء الله ، ثم نزل .

قالوا ، فنظر الناس بعضهم الى بعض ، وقالوا ما ترونه يريد بما قال، قالوا نظنه يريد أن يصالح معاوية ، ويكل الأمر اليه ، كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه ، فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدى فنزع مطرفه الذى على عاتقه، فبقى جالسا متقلدا سيفه بغير رداء ، فدعا بفرسه فركبه ، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أراده ولاموه وضعفوه لما تكلم به .

فقال ادعوا لى ربيعة وهمدان ، فدعــوا له ، فأطافوا به ، ودفعــوا الناس عنه ، ومعهم شؤب (اخلاط) من غيرهم ، فلما مر فى مظلم ساباط (قرب المدائن) قام اليه رجل من بنى أسد ثم من بنى نصر بن قعين يقال له جراح بن سنان ، وبيده معول فأخذ بلجام فــرسه ، وقال له : الله أكبر يا حسن ، أشرك أبوك ، ثم أشركت أنت ، وطعنه بالمعول ، فوقعت فى فخذه فشقته حتى بلغت أربيته (أصل الفخذ) وسقط الحسن عليه السلام الى الأرض بعد أن ضرب الذى طعنه بسيف كان بيده واعتنقه ، فخرا جميعا الى الأرض ، فوثب عبد الله بن الأخطل الطائى ونزع المعول من يد جراح بن سنان ، فخضخضه به ، وأكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه ، ثم أخذا له الآجر فشدخا رأسه ووجهه حتى قتلوه .

وحمل الحسن عليه السلام على سرير الى المدائن وبها ســعيد بن مسعود الثقفى واليا عليها من قبله ، وقد كان أمير المؤمنين على عليه‌السلام ولاه المدائن فأقره عليها الحسن عليه السلام ، فأقام عنده يعالج نفسه .

امر عجيب وكرامة كبرى :

وأقول فى هذه المناسبة ، انى عجبت فى تاريخ الامام الحسين ، أن يقوم المختار بن عبيد الله الثقفى ، وهو ابن أخ لسعيد بن مسعود الثقفى ، فيتزعم الشيعة بعد مقتل سليمان بن صرد الخزاعى ، ويثأر للامام الحسين ، ويمكن له الله من قتلة الامام الحسين ، فيــوقفهم بين يديه ويأمر بقتلهم أنواعا من القتلات تناسب ما فعلوه ، فمنهم من أحرقه بالنار ، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات ، ومنهــم من رمى بالنبــال حتى مات ، وكان ممن قتلهم عبيد الله بن زياد ، وشمر بن ذى الجوشن ، عليهما اللعنــة الدائمة ، وكان من بينهم عمر بن سعد وابنه حفص ، وقد أرسل برأس ابن زياد الى سيدى على زين العابدين ، وأرسل برأس عمر وحفص الى سيدى محمدبن‌الحنفية ، وقال المختار حين قتلا ، والله لو قتلت بالحســين ثلاثة أرباع قريش ما وفوا بأنملة من أنامله ، أقول ان هذا الرجل الذى سلطه الله عــلى أعداء الامام الحسين ، كان خصما لأمير المؤمنين على ولأمير المؤمنين الحسن ، ويدلك

على ذلك أنه حين طعن الامام الحسن ودخل المدائن ليعالج جرحه قال المختار لعمه سعيد بن مسعود الثقفي والمتقدم ذكره لو سلمت الحسن الى معاوية لاتخذت عنده اليد البيضاء ، فأجابه عمه في وفاء ، بئس ما تأمرني به .

ألست ترى معي أيها القارىء الكريم أن هذا أمر عجيب ، فقد تحول المختار من عداوة سافرة ، الى صداقة صادقة ، ولله في خلقه آيات ، وتلك والله لآل البيت من كبرى الكرامات .

ونعود الى التاريخ فنقول :

أما معاوية فانه وافى حتى نزل قرية يقال لها الحلوبية بمسكن ، وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بازائه ، فلما كان من غد ، وجه معاوية بخيله اليه ، فخرج اليهم عبيد الله فيمن معه ، فضربهم حتى ردهم الى معسكرهم .

عبيد الله بن عباس يخون الامام الحسن :

فلما كان الليل أرسل معاوية الى عبيد الله بن عباس أن الحسن قد راسلني في الصلح ، وهو مسلم الأمر الي ، فان دخلت في طاعتي الآن ، كنت متبوعا ، والا دخلت وأنت تابع ، ولك ان أجبتني الآن ألف ألف درهم ، أعجل لك في هذا الوقت نصفها واذا دخلت الكوفة النصف الآخر .

فانسل عبيد الله اليه ليلا ، فدخل عسكر معاوية ، فوفى له بما وعده وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلي بهم ، فلم يخرج حتى أصبحوا ، فطلبوه فلم يجدوه ، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ، ثم خطبهم فثبتهم ، وذكر عبيد الله فنال منه ، ثم أمرهم بالصبر والنهوض الى العدو ، فأجابوه بالطاعة وقالوا له : انهض بنا الى عدونا على اسم الله،فنزل فنهض بهم .

وخرج اليه بسر بن أرطاه ، فصاح الى أهل العراق ، ويحكم هذا أميركم عندنا قد بايع وامامكم الحسن قد صالح ، فعلام تقتلون أنفسكم .

فقال لهم قيس بن سعد ، اختاروا احدى اثنتين ، اما القتال مع غير امام ، واما أن تبايعوا بيعة ضلال ، فقالوا بل نقاتل بلا امام .

بين قيس بن سعد ومعاوية :

فخرجوا ، فضربوا أهل الشام حتى ردوهم الى مصافهم ، فكتب معاوية الى قيس بن سعيد ، يدعوه ويمنيه فكتب اليه قيس : لا والله لا تلقاني أبداالا بيني وبينك الرمح ، فكتب اليه معاوية لما يئس منه .

كتاب معاوية الى قيس بن سعد :

أما بعد فانك يهودى بن يهودى ، تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك ، فان ظهر أحب الفريقين اليك نبذك وغدرك ، وان ظهر أبغضهم اليك نكل بك وقتلك ، وكان أبوك أوتر غير قوسه ، ورمى غير غرضه ، فأكثر الحر وأخطأ المفصل ، فخذله قومه ، وأدركه يومه ، فمات بحوران طريدا غريبا والسلام .

رد الشجاع قيس بن سعد على معاوية :

فكتب اليه قيس بن سعد

أما بعد فانما أنت وثن ابن وثن ، دخلت فى الاسلام كرها ، وأقمت فيه فرقا ، وخرجت منه طوعا ، ولم يجعل الله لك فيه نصيبا ، ولم يقدم اسلامك ، ولم يحدث نفاقك ، ولم تزل حربا لله ولرسوله ، وحزبا من أحزاب المشركين وعدوا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده .

وذكرت أبى ، فلعمرى ما أوتر الاقوسه ، ولا رمى الا غرضه ، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه ، وزعمت أنى يهودى ابن يهودى ، وقد علمت وعلم الناس ، أنى وأبى أعداء الدين الذى خرجت منه ، وأنصار الدين الذى دخلت فيه ، وصرت اليه والسلام .

فلما قرأ معاوية كلامه غاظه ، وأراد اجابته ، فقال له عمرو بن العاص ، مهلا ، فانك ان كاتبته أجابك بأشد من هذا ، وان تركته دخل فيما دخل فيه الناس ، فأمسك عنه .

رسل معاوية الى الامام الحسن :

وبعث معاوية عبد الله بن عامـر وعبـد الرحمن بن سـمرة الى الامام الحسن للصلح فدعواه اليه فزهداه فى الأمر ، وأعطياه ما شرط له معاوية ، والا يتبع أحد بما مضى ، ولا ينال أحد من شيعة على بمكروه ، ولا يذكر على الا بخير ، وهى أشياء شرطها الامام الحسن فأجاباه الى ذلك وستعلم تفاصيل الشروط فيما بعد من كتاب الصلح الذى أرسله الامام الحسن الى معاوية .

وانصرف قيس بن سعد فيمن معه الى الكوفة ، واجتمع الى الامام الحسن عليه السلام وجوه الشيعة ، وأكابر أصـحاب أمير المؤمنين عليـه السلام يلومونه ، ويبكون اليه جزعا مما فعل .

نص كتاب الصلح الذى كتبه الامام الحسن :

جاء نص كتاب الصلح فى كتاب مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول لابن طلحة القرشى كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى طالب معاوية بن أبى سفيان.صالحه على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين .

وليس لمعاوية بن أبى سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدا ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله فى شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وعلى أن أصـحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبى سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه ، وعلى أنه لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرا ولا جهرا ، ولا يخيف أحدا منهم فى أفق من الآفاق ، شهد عليه بذلك الله وكفى بالله شهيدا وفلان وفلان والسلام .

معاوية فى طريقه للكوفة :

ونعود للتاريخ ، قال أبو الفرج : وسار معاوية حتى نزل النخيلة وجمع الناس فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة ، ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة .

كيف بايع قيس بن سعد معاوية :

وقال ، فلما تم الصلح بين الحسن ومعاوية ، أرسل الى قيس بن سعد ، يدعوه الى البيعة ، فجاءه ، فلما أرادوا ادخاله اليه ، قال انى حلفت ألا ألقاه الا وبينى وبينه الرمح أو السيف ، فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبر يمينه .

قال ، وفى رواية أخرى أن الحسن لما صالح معاوية ، اعتزل قيس بن سعد فى أربعة آلاف فارس ، وأبى أن يبايع ، فلما بايع الحسن أدخل قيس ليبايع ، فأقبل على الحسن فقال ، أفى حل أنا من بيعتك ، فقال،نعم،فألقى له كرسى ، وجلس معاوية على سرير والحسن معه ، فقال له معاوية أتبايع يا قيس ، قال نعم ، ووضع يده على فخذه ولم يمدها الى معاوية ، فجاء معاوية من سريره وأكب على قيس حتى مسح يده على يده ، وما رفع اليه قيس يده .

الامام الحسن يخطب بعد الصلح :

قال أبو الفرج ، ثم ان معاوية أمر الحسن أن يخطب فظن أنه سيحصر فخطب فقال فى خطبته :

انما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه ، وليس الخليفة من سار بالجور ، ذاك رجل ملك ملكا تمتع به قليلا ، ثم تنخمه ، تنقطع لذته ،وتبقى تبعته (وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) .

تعقيب على خطبة الامام الحسن :

أقول والمبدأ الذى أبرزه الامام الحسن فى خطبته تلك ، هو ذات المبدأ الذى أبرزه أبوه الامام على قبله ، حين بين أن السادة آل البيت

لا يطلبون الخلافة لسلطان الدنيا وانما يطلبونها ليردوا بها المعالم من دين الله وليظهروا بها الاصلاح فى بلاد الله ، واليك نص ما قاله الامام على كرم الله وجهه كما ورد فى نهج البلاغة :

« اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا ، منافسة فى سلطان ، ولا التماس شىء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح فى بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك .

« اللهم انى أول من أناب ، وسمع وأجاب ، لم يسبقنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة ، وقد علمتم أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وامامة المسلمين البخيل ، فتكون أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافى فيقطعهم بجفائه ، ولا الخائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة . »

فرحة معاوية بالصلح :

كانت فرحة معاوية بالصلح شديدة ، ولا أدل على ذلك من أنه أرسل صحيفة الصلح بيضاء وموقعة منه على بياض ، وقال للامام الحسن اكتب ما شئت من شروط .

وانى أنوه بصفة خاصة بأن معاوية عرض على الامام الحسن أن يكون له الأمر من بعده ، ولكن الامام الحسن رأى أن يكون الأمر شورى بعد معاوية ، حتى لا يخرج بالأمة عن مبدأ الشورى الذى جرى عليه سلف الأمة المقتدى بهم فى أمر الدين .

وقد بذل أخوه الامام الحسين (كما هو معروف) نفسه الغالية ، وبذل أنفسهم معه اخوته ، وأبناؤه ، وأبناء أخيه وأبناء أخته وأبناء عمومته وصحبه ، من أجل الحفاظ على ذلك المبدأ الذى هو حق مقدس من حقوق الأمة وكان معاوية قد خرج بعد موت الامام الحسن عن مبدأ الشورى

وحمل الناس بالسلطان والسيف على بيعة ابنه يزيد الذى لم يكن أهلا للخلافة .

وكذلك أنوه بأن الامام الحسن اشترط الا يساء أحد من أصحابه أو أصحاب أبيه بأية اساءة والا عدل عن الصلح فاضطر معاوية الى القبول .

لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة :

ان الامام الحسن حين تنازل عن الخلافة ، لم يكن خوارا ، يتهيب الحرب فقد خاض المعارك الكثيرة مع أبيه ومع غير أبيه كما علمت مما تقدم، لكنه كان ذا فراسة عميقة بأحوال من حوله ، ودلته فراسته أنه وان كان هو الأصلح للخلافة الا أن أهل العراق يزهدون الخلافة ، بينما معاوية يطلب ملكايسح المال من جوانبه سحا ، فجرى القوم وراء المال ، واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا الدين بالدنيا ، والخلافة لا تنجح الا فى مجتمع ينشدها ويرضى حكمها ، ومغالبة الناس لأهوائهم الدنيوية أمر عسير ، وان كانوا نجحوا فيه فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة ، فان استمرار المغالبة كان مستبعدا لأنه ضد الطباع البشرية .

واذا كان معاوية قد استطاع أن يشترى ذمة عبيد الله بن عباس ، وهو ابن عم الامام الحسن ، فشراء الذمة من غيره كان أهون وأرخص .

وقد رأيت أن جند الامام الحسن اعتدوا عليه وطعنوه ، فهل كانيرجو من هؤلاء المتمردين خيرا فى ساعة الجد .

ولو قدرنا أنه التحم مع قوات معاوية وانتصر عليه ، فان أهل الشام كانوا يخرجون من المعركة حاقدين موتورين ، ولا تنس ما كان للخوارج من بقية ناوأت حتى بنى أمية مناوأة شديدة فاستعاونوا عليهم بالمهلب بن أبى صفرة وبنيه الى أن تمت لهم الغلبة عليهم .

فالامام الحسن كان كأبيه يطلب خلافة الراشدين ، والمجتمع كانينحط الى الدنيا انحطاطا سريعا ، فلا تتسنى خلافة الراشدين ، وصدق الله تعالى اذ يقول (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) .

عدوى معاوية لاصحابه :

وقد تأثر أصحاب معاوية بمشربه في الخدعة وشراء الذمم ، ومن أبرز ما قرأته الواقعة الآتية :

بين عبيد الله بن عمر والامام الحسن :

كان عبيد الله بن عمر في صفين ، في صف معاوية ، وأثناء وقائع صفين أرسل عبيد الله الى الامام الحسن عليه السلام : ان لي اليك حاجة فالقني ، فلقيه الامام الحسن عليه السلام ، فقال له عبيد الله : ان أباك وتر قريشا أولا وآخرا ، وقد شنئه الناس ، فهل لك في خلعه ، وأن تتولى أنت هذا الأمر ؛ فقال كلا ، والله لا يكون ذلك .

ثم قال الامام الحسن عليه السلام يا ابن الخطاب ، والله لكأني أنظر اليك مقتولا في يومك أو غدك ، أما ان الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مخلقا بالخلوق ، ترى نساء أهل الشام موقفك ، وسيصرعك الله ، ويبطحك لوجهك قتيلا .

قالوا ، فوالله ما كان الا بياض ذلك اليوم حتى قتل عبيدالله ، وهو في كتيبة رقطاء ، وكانت تدعى الخضرية ، كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر .

فانظر رعاك الله ، كيف سرت عدوى معاوية ، في عبيد الله بن عمربن الخطاب ، ووالله ما كان يسر أباه أن يراه في مثل هذا الموقف القبيح الذي غرته فيه دنياه ، وظن أن الامام الحسن مثله تغريه الدنيا الدنية ، وحاشاه .

واني لست في حاجة لأن أسترعي نظرك لما تحقق من قتل عبيد الله كما تفرس الامام الحسن بنور الله ، فهو ممن جعل الله له نورا يمشي به في الناس .

هل وفى معاوية للامام الحسن :

روى ابن أبي حديد بسنده عن المدائني قال : طلب زياد رجلا من أصحاب الحسن ممن كانوا في كتاب الأمان فكتب اليه الحسن :

من الحسن بن على الى زياد :

أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا ، وقد ذكر لى فلان أنك تعرضت له ، فأحب ألا تعرض له الا بخير والسلام .

زياد يغضب اذ ينسبه الامام الحسن لأبى سفيان :

فلما أتاه الكتاب ، غضب اذ لم ينسبه الى أبى سفيان ، وكان معاوية قد ألحقه بأبى سفيان بحجة أن أباه كان قد أتى أم زياد فى الجاهلية ، وفى ذلك مخالفة لقوله تعالى (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانهم فى الدين ومواليكم) وكان الناس يقولون قبل ذلك زياد ابن أبيه ، ورد زياد على الامام الحسن يقول :

من زياد بن أبى سفيان ، الى الحسن

أما بعد ، فانه أتانى كتابك فى فاسق ، تؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك ، وايم الله لأطلبنه بين جلدك ولحمك ، وان أحب الناس الى لحما أن آكله ، للحم أنت منه والسلام .

الامام الحسن يبعث كتاب زياد لمعاوية :

فلما قرأ الامام الحسن الكتاب بعث به الى معاوية فلما قرأه غضب وكتب الى زياد :

كتاب معاوية الى زياد :

من معاوية بن أبى سفيان الى زياد

أما بعد فان لك رأيين ، رأيا من أبى سفيان ، ورأيا من سمية (أم زياد) فأما رأيك من أبى سفيان فحلم وحزم ، وأما رأيك من سمية فما يكون من مثلها .

ان الحسن بن على كتب الى بأنك عرضت لصاحبه ، فلا تعرض له ، فانى لم أجعل لك عليه سبيلا ، وان الحسن ليس ممن يرمى به الرجوان

(أى لا يستهان به) والعجب من كتابك اليه لا تنسبه الى أبيه أو الى أمه فالآن حين اخترت له والسلام .

ومع هذه الشدة التى كتب بها معاوية لزياد ، فان الوقائع التى جرت من معاوية ، دلت على أنه لم يف بالشروط التى شرطها الامام الحسن ، وكان الحصين بن المنذر الرقاشى يقول ، والله ما وفى معاوية للحسن بشىء مما أعطاه ، قتل حجرا وأصحاب حجر ، وبايع لابنه يزيد ، وسم الحسن .

الصالحون ينكرون استلحاق زياد بأبى سفيان :

ويقول الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » ان استلحاق زياد بأبى سفيان أنكره الصالحون حين أعلنه معاوية وحرص عليه زياد أشد الحرص ، وغضب له موالى زياد من بنى ثقيف .

ويروى الدكتور طه عن البلاذرى أن يونس بن سعد قطع على معاوية خطبة الجمعة وقال له :

اتق الله يا معاوية ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بأن الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وأنت قد جعلت للعاهر الولد وللفراش الحجر ، وان زيادا عبد عمتى وابن عبدها ، فاردد الينا ولاءنا .

فقال له معاوية : والله يا يونس لتسكفن أو لأطيرن بك طيرة بطيئا وقوعها ، قال يونس ، اليس المرجع بعد بك وبى الى الله عز وجل .

وقال يزيد بن مفرغ يعيب معاوية بهذا الاستلحاق .

الا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليمانى
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زانى

ويرى القارىء من ذلك قوة المعارضة التى لقيها معاوية فم استلحاق زياد بأبى سفيان .

الامام الحسن يرحل الى المدينة بعد الصلح :

يقول الدكتور طه حسين أن الامام الحسن ارتحل بأهل بيته الى المدينة بعد الصلح وترك معاوية فى الكوفة يدبر أمر دولته الجديدة كما

يشاء ، وما كاد يبعد عن الكوفة حتى أدركه رسول معاوية يريد أن يرده الى الكوفة ليقاتل طائفة من الخوارج خرجت عليه ، فأبى الحسن أن يعود، وقال لقد صالحته ، وما أريد الا حقن الدماء واجتناب الحرب .

وانتهى الحسن الى المدينة فلقى من أهلها أثر وصوله اليها من لامه فى الصلح ، كما لامه فيه أهل الكوفة ، فكان يقول للائمين ، كرهت أن القى الله عز وجل فاذا سبعون الفا أو أكثر تشخب أوداجهم دما يقول كل منهم ، يارىى فيم قتلت .

معاوية يلاين اهل العراق ثم يشتد عليهم :

يقول الدكتور طه حسين ان معاوية صانع أهل العراق ورفق بهم حتى يتم له الصلح ويستقيم له الأمر ويخرج الحسن عن العراق ، فلما تم له ما أراد اصطنع الحزم وساس أهل العـراق سياسة لم يـكونوا يعرفونها من قبل .

فأخرجهم من الدعة التى ألفوها ، وعلمهم أن طاعةالأمراء فرض لاينبغى التردد فيه أو الالتواء به ، وأن من لم يعط الطاعة لا أمان له ، وقد برئت منه ذمة السلطان ، هنالك عرف أهل العراق أن حياتهم قد تغيرت ، وأنهم سيستقبلون من أمرهم أشد وأقسى مما كانوا يظنون .

وقد جعل أهل العراق ، يذكرون حياتهم أيام على ، فيحزنون عليها ، ويندمون على ما كان من تفريطهم فى جنب خليفتهم ، ويندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم وبين أهل الشام ، وجعلوا كلما لقى بعضهم بعضا تلاوموا فيما كان ، وأجالوا الرأى فيما يمكن أن يكون ، ولم تكد تمضى أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفد الى المدينة للقاء الحسن والقـول له والاستماع منه .

اختلاف وجهتى النظر فى شروط الصلح :

يقول الدكتور طه حسين : ان الحسن احتفظ بكتاب معاوية عنده ، وأرسل اليه رجلا من بنى عبد المطلب من جهة ، وبينه وبين معاوية قرابة

قريبة من جهة أخرى ، وهو عبد الله بن الحارث وأمه أخت معاوية ، وقال ائت خالك ، وقل له : ان أمنت الناس بايعتك .

ويستطرد الدكتور طه قائلا ، وكأن الحسن أراد أن يصطنع شيئا من اللباقة ، فاحتفظ بشروط معاوية ، وطلب الى معاوية مزيدا هو تأمين الناس . ولكن معاوية كان أدهى من ذلك وأبرع كثيرا ، فقد أعطى ابن أخته طومارا ختم فى أسفله وقال اكتب ما شئت .

فكتب فيه الحسن ، هذا ما صالح عليه الحسن بن على معاوية بن أبى سفيان ، صالحه على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده ، وان يكون الامر شورى ، والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم وعلى الا يبغى الحسن بن على غائلة سرا ولا علانية ، ولا يخيف أحدا من أصحابه ، شهد عبد الله بن الحارث، وعمرو بن سلمة ، ثم رد عبد الله بن الحارث الى معاوية بكتابه هذا ليشهد عليه من شاء من أصحابه ففعل .

فتم الصلح ، ولكنه لم يتم دون أن يترك بين الرجلين شيئا من اختلاف الرأى وسوء التفاهم كما يقال فى هذه الأيام .

ثم يقول الدكتور طه ، أكان الكتاب الأول الذى أرسله معاوية الى الحسن قائما يكفل للحسن ما أعطاه معاوية من الشروط ، ما عدا ولاية العهد ، التى لم يرضها الحسن ، أم سقط بهذا الكتاب الذى كتبه للحسن وأمضاه معاوية .

أما الحسن فقد رأى أن كتاب معاوية الأول ظل قائما ، وأما معاوية فقد رأى أن الكتاب الثانى قد ألغى الكتاب الأول الغاء ، فليس للحسن عنده الا ما طلب من أن يكون الأمر شورى بعد موت معاوية ، ومن تأمين الناس على أنفسهم ، وعلى أموالهم وذراريهم ، ومن الا يبغى الحسن غائلة سرا وجهرا ، ومن أن يعمل فى أمر المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين .

ثم يقول الدكتور طه ، ومن أجل اختلاف الرأى هذا ، طلب الحسن الى معاوية بعد أن استقام له الامر ، أن يفى له بالشروط المالية ، فأبى عليه معاوية ، وقال له ، ليس لك عندى الا ما شرطت لنفسك .

وأراد الامام الحسن أن يحكم سعد بن أبى وقاص ، فلم يقبل معاوية تحكيما ، ولكنه أرضى الحسن بما أعطاه وما فرض له من مال .

رأى الدكتور طه حسين فى خطبة الامام الحسن بعد الصلح :

تعرض الدكتور طه لخطبة الامام الحسن التى خطبها بعد تنازله عن الخلافة ، ونفى ما تكلفه الرواة والمؤرخون من أن عمرو بن العاص أغرى معاوية بدعوة الحسن الى أن يتكلم ليظهر للناس عجزه .

وقال الدكتور طه فى دفاعه عن الامام الحسن : ان الحسن لم يختلس الصلح اختلاسا . ولم يستخف به من الناس ، والحسن قد خطب الناس غير مرة فى حياة أبيه وبعد وفاته ، فلم يعرف منه عى أو حصر ، وهو بعد ذلك أو قبل ذلك ، من أهل بيت لم يعرفوا قط بعى أو حصر ، وانما كانوا معدن الفصاحة واللسن وفصل الخطاب .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : وقد خطب الحسن فقال خير ما كان يمكن أن يقال ، وأصدق ما كان يمكن أن يقال أيضا ، قال (صيغة أخرى غير التى مرت عليك) .

« أيها الناس ان أكيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور ، ان هذا الأمر الذى سلمته لمعاوية ، اما أن يكون حق رجل كان أحق به منى فأخذ حقه ، واما أن يكون حقى فتركته لصلاح أمة محمد وحقن دمائها ، فالحمد لله الذى أكرم بنا أولكم ، وحقن دماء آخركم .

دفاع الدكتور طه حسين عن موقف الامام الحسن بعد الصلح :

يقول الدكتور طه ، ان الصلح أسخط على الحسن جماعة من أصحابه الذين أخلصوا له ولأبيه ، وأخلصوا فى بغض معاوية وأهل الشام ، ورأوا

فى هذا الصلح نوعا من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوا أيام على من جهد، ولم يكن يلائم كذلك ما كان فى أيديهـم من قوة ، فمنهـم من كان يقول للحسن : يا مذل المؤمنين ، ومنهم من كان يقول له : يامذل العرب ، ومنهم من قال له : يا مسود وجوه العرب .

ولكن الحسن لم يحفل بشىء من ذلك ، وانمـا رضى عن خطته كل الرضا ، ورأى فيها حقنا للدماء ، ووضعا لأوزار الحرب ، وجمعا لـكلمة الأمة ، وتمكينا للمسلمين من أن يسـتقبلوا أمورهم مؤتلفين لا مختلفين ، ومتفقين لا مفترقين ، ومن أن يفرغ أهل الثغور لثغورهم ، يردون عنها طمع العدو فيها ، وفيما وراءها ، ومن أن يفرغ الجند للفتح ، يسـتأنفونه من حيث وقفته الفتنة .

ثم يقول ، ولم يكن قعود الحسن عن الحرب جبنا أو فرقا ، وانما كان كراهية لسفك الدماء من جهة ، وشكا فى أصحابه من الجهة الأخرى .

ثم تعرض الدكتور طه لمعارضة الامام الحسين لفكرة الصـلح حين استشاره أخوه الامام الحسن ويقـول ، أن الامام الحسـين كان يرى أن يستمسك أخوه ويمضى فى الحرب ، الا أن الامام الحسن امتنع عليهوأنذره، وعقب الدكتور طه قائلا ، وليس فى هذا شىء من الغرابة ، فقد كان على نفسه يتنبأ بعض ذلك ، ويتحدث بأن الحسن سيخرج من هذا الأمر ،وبأن الحسين هو أشبه الناس به .

ظهور حزب الشيعة بعد التنـازل عن الخلافة لمعاوية :

يقول الدكتور طه ان الامام على ، لم تكن له قبل فتنة عثمان شيعة ممتازة من الأمة ، ولم تكن له شيعة بالمعنى الذى يعرفه الفقهاء والمتكلمون أثناء خلافته ، وانما كان له أنصار وأتباع ، وكانت كثرة المسلمين كلها له أنصارا وأتباعا ، حتى كانت موقعة صفين .

ويقول : وقد قتل على ، وليس له حزب منظم ، ولا شيعة مميزة ، بل لم ينظم الحزب العلوى ، ولم توجد الشيعة المميزة الا بعد تنازل الامام الحسن عن الخلافة لمعاوية .

بين الامام الحسن واشراف الكوفة :

قلنا ان أهل العراق ندموا على ما كان من تفريطهم فى جنب خليفتهم كما ندموا على ما كان من أمر الصلح .

ويقول الدكتور طه ، انه أقبل على الامام الحسن ذات يوم وفد من أشراف الكوفة ، فقال له متكلمهم وهو سليمان بن صرد الخزاعى : ما ينقضى تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة ، كلهم يأخذ العطاء ، وهم على أبواب منازلهم ، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصرة ، وأهل الحجاز ، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة فى العقد ولا حظا من العطية .

« فلو كنت اذ فعلت ما فعلت ، أشـــهدت على معاوية وجـــوه أهل المشرق والمغرب ، وكتبت عليه كتابا بأن الأمر لك بعده ، كان الأمر علينا أيسر ، ولكنه أعطاك شيئا بينك وبينه ثم لم يف به ، ثم لم يلبث أن قال على رءوس الناس ، انى كنت شرطت شروطا ، ووعدت عدات ، ارادة لاطفاء نار الحرب ، ومداراة لقطع هذه الفتنة ، فأما اذ جمع الله لنا الكلمة والألفة، وأمننا من الفرقة ، فان ذلك تحت قدمى .

فوالله ما اغتـــرنى بذلك الا ما كان بينك وبينه وقد نقض ، فاذا شئت فأعد الحرب جذعة وأذن لى فى تقـــدمك الى الكوفة ، فأخرج عنها عامله ، وأظهر خلعه ، وتنبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » .

تعريف بسليمان بن صرد الخزاعى :

وانى أرى من المفيد أن أعرف القارىء الكريم بهذا الرجل العظيم ، فهو صحابى جليل ، وهـــو الذى تزعم الشيعة للأخـــذ بثأر مولانا الامام الحسين وقاتل الأمويين حتى قتل ، وتزعم المختار بن عبيد الله الثقفى الشيعة من بعده ونكل بقتلة الامام الحسين نكالا شفى صدور قوم مؤمنين كما سلف القول .

ونعود لما كنا فيه ، يقول الدكتور طه ، وقال الآخـــرون مثلما قال سليمان بن صرد ، فهم اذن انما جاءوا المدينة ولقوا الحسن ليعاتبوه أولا

لانه جنح للسلم على رغم ما كان عنده من قوة وعدد ، وليعاتبوه ثانيا لأنه حين أمضى الصلح لم يشهد عليه وجوه الناس من أهل المشرق والمغرب ، ولم يشترط لنفسه ولاية عهد ، ثم لينبئوه ثالثا أن معاوية قد نقض الصلح، وأعلن نقضه على رءوس الأشهاد ، ثم ليطلبوا اليه بعد ذلك أن يعيد الحرب جذعة ، وأن يأذن لهم أن يسبقوا الى الكوفة ، فيعلنوا فيها خلع معاوية ، ويخرجوا منها عامله ، وحينئذ ينبذ الحسن الى معاوية على سواء أن الله لا يحب الخائنين .

ثم يقول الدكتور طه : وقد قبل الحسن منهم شيئا ، ورفض شيئا ، وكان فيما قبل منهم ناصحا لهم ، رفيقا بهم ، مؤثرا السلم وحقن الدماء ، ولكنه لم يوئسهم . وانما أبقى لهم شيئا من أمل ، فقال لهم فيما روى البلاذرى :

أنتم شيعتنا وأهل مودتنا ، فلو كنت بالحزم فى أمر الدنيا أعمل ، ولسلطانها أعمل وأنصب ، ما كان معاوية بأبأس منى بأسا ، ولا أشد شكيمة . ولا أمضى عزيمة ، ولكننى أرى غير ما رأيتم ، وما أردت فيما فعلت الا حقن الدماء . فارضوا بقضاء الله ، وسلموا الأمر ، والزموا بيوتكم ، وامسكوا ، وكفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر .

ويعقب الدكتور طه قائلا : فقد أعطاهم الحسن كما ترى الرضا ،حين أعلن اليهم أنهم شيعة أهل البيت ، وذوو مودتهم ، واذن فمن الحق أن يسمعوا له ، ويأتمروا بأمره ، ويكونوا عندما يريد منهم ، ثم بين لهم أنه لم يصالح معاوية عن ضعف ولا عن عجز . وانما أراد حقن الدماء ، ولو قد أراد الحرب ، لما كان معاوية أشد منه قوة ولا أعسر مراسا ، ثم طلب اليهم أن يرضوا بقضاء الله ، ويطيعوا السلطان ، ويكفوا أيديهم عنه ، وأنبأهم بأنهم لن يفعلوا ذلك آخر الدهر ، ولن يستسلموا لعدوهم فى غير مقاومة ، وانما هو انتظار الى حين ، هو انتظار الى أن يستريح الأبرار من أهل الحق ، أو يريح الله من الفجار من أهل الباطل .

ويعتقد الدكتور طه أن اليوم الذى لقى فيه الحسن هؤلاء الوفد من أهل الكوفة ، هو اليوم الذى أنشىء فيه الحزب السياسى المنظم لشيعة على وبنيه ، نظم الحزب فى المدينة فى ذلك المجلس ، وأصبح الحسن له رئيسا، وعاد أشراف الكوفة الى من وراءهم ينبئونهم بالنظام الجـديد ، والخطة المرسومة ويهيئونهم لهذا السلم الموقوت ، ولحرب تثار ، حين يأتى الأمـر باثارتها من الامام المقيم فى المدينة .

ثم يقول : ومضى أمر الحزب على ذلك ، فجعل الشـيعة يلقى بعضهم بعضا يتذاكرون أمورهم ويسجلون على معاوية وولاته ، ما يتجاوزون به حدود الحق والعدل ، وينتظرون أن يأمرهم الامام بالخروج .

ولكن الامام لم يأمرهم بالخروج ، وكان الحسن وفيا لمعاوية ببيعته، حفيظا له على عهده ، مستعينا به ان احتاج الى المعونة مهما يـكن نوعها ، ولكنه مع ذلك كان معارضا ، ولم يكن يستخفى بمعارضـته ، وانما كان يظهر منها ما يشاء فى المدينة حيث كان يقيم ، وفى مكة حين كان يلم بها أثناء الموسم .

موقف معاوية من الامام الحسن :

يقول الدكتور طه : ان معاوية كان رفيقـا بالحسـن أعظم الرفق ، واصلا له أحسن الصلة ، ولـكن معارضة الحسن كانت تبلغه ، فيعاتبه فيها لينا حينا ، وشديدا حينا .

ولكن مكان الحسن من معاوية لم يكن محببا اليه ، فقد كان معاوية رجلا بعيد النظر ، لم يكد يطمئن الى الخلافة ، ويرى أنهـا قـد اطمأنت اليه ، حتى فكر فى أن يجعلها تراثا من بعده لآل أبى سفيان ، وكان يفكر فى ابنه يزيد دائما ، فيرى أن الحسـن هو الحـائل بينه وبين مايريد من ذلك ، فهو تعجل الصلح مع الحسن فعرض عليه ولاية الأمر من بعده .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : ومن الحق أن الحسن لم يقبل منه ذلك وانما اشترط عليه أن تكون الخلافة بعده شورى بين المسلمين ، يختارون لها من أحبوا ، وكان الحسن فى أكبر الظن يرى أن المسلمين لن يعـدلوا

به بعد وفاة معاوية أحدا ، وكانت الشيعة تؤمن بذلك أشد الايمان ،وتدعو له فتلح فى الدعاء .

موقف معاوية من الامام الحسين :

ويقول الدكتور طه ، وما ينبغى أن يذكر أمر الحسين بن على ، فان الحسين لم يكن نصب نفسه للبيعة اماما للمسلمين ، ولم يكن معاوية قد صالحه ، ولا وعده ولا شرط له ، ومع ذلك فقد هم معاوية أن ينحى الحسين عن مكانه شيئا ، لتخلص له الطريق من ابنى فاطمة ، وسبطى النبى ، فقال ذات يوم لعبد الله بن عباس مازحا يريد الجد « أنت سيد قومك بعد الحسن » ولكن عبد الله بن عباس لم ينخدع له ، وانما أجابه فى صراحة « أما وأبو عبد الله (أى الحسين) حى فلا » .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : ومع ذلك فلم يتردد معاويه فى أن يبايع بولاية العهد لابنه يزيد ، وأكره الحسين كما أكره غيره من شباب المهاجرين على أن يسكتوا عن هذه البيعة التى كانوا ينكرونها فى أنفسهم أشد الانكار .

تعقيب على رأى الدكتور طه :

انصافا لأبناء المهاجرين أقول انهم عارضوا معاوية علانية معارضة شديدة عندما أبدى رغبته فى بيعة ابنه يزيد ، واليك أمثلة من تلك المعارضة:

أراد معاوية أن يستطلع رأى أهل الحجاز ، فرحل الى المدينة سنة ٥٠ هـ متظاهرا بالحج ، ودعا اليه الزعماء أمثال عبد الله بن عباس وعبد الله ابن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر ولم يدع الحسن أو الحسين .

واقترح معاوية عليهم أن يعهد بولاية العهد لابنه يزيد ، فهبوا فى وجهه مستنكرين الفكرة كل الاستنكار .

وتكلم عنهم عبد الله بن الزبير فقال ، أما بعد ، فان الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وأفعالها المرضية ، مع شرف الآباء وكرم

الأبناء ، فاتق الله يا معاوية وانصف من نفسك ، فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله ، وعلى خلف حسنا وحسينا ، وأنت تعلم من هما وما هما ، فاتق الله يامعاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك .

وقال ابن عمر : لقد كان قبلك خلفاء ، وكان لهم بنون ، وليس ابنك بخير من أبنائهم ، فلم يروا فى أبنائهم ما رأيت فى ابنك ، فلم يحابوا فى هذا الأمر أحدا ، ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم .

وقال عبد الرحمن بن أبى بكر ، يا معاوية انك والله لوددنا أن نكلك الى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد ، والذى نفسى بيده لتجعلنها شورى أو لاعيدها جذعة ، ثم قام ليخرج ، فتعلق به معاوية وقال : على رسلك ، اللهم أكفنيه بما شئت ، وهدأ من روعه .

فلما رأى معاوية أن الموقف يقتضى الشدة عدل عن ملاينتهم ، وأمر مناديه أن ينادى فى الناس ليجتمعوا فى المسجد ، فتوافدوا ، وقصد الصحابة حول المنبر ، ثم دعا معاوية رئيس حرسه وقال له : أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين ، ومع كل واحد سيف ، فان ذهب رجل منهم يرد على بكلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما .

ثم صعد معاوية المنبر ، وقال غير صادق ، ان عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن على ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، قد رضوا وبايعوا ليزيد ، ثم طلب منهم البيعة فبايع الناس كلهم ، ثم غادر مكة الى المدينة حيث بايعه أهلها ثم غادرها الى الشام ، فأقبل الناس على هؤلاء السادة يلومونهم ، فقالوا والله ما بايعناه ولكن فعل وفعل .

موقف الامام الحسين مع معاوية من بيعة يزيد :

عندما ذهب معاوية الى الحجاز لأخذ البيعة لابنه يزيد ، بدأ بالمدينة ، واجتمع بالامام الحسين وعبدالله بن عباس وأجلس الامام الحسين عن يمينه ، وأجلس ابن عباس عن يساره ، وخطب فمدح ابنه يزيد ، وعرض

بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولى عمرو بن العاص القيادة فو غزوة ذات السلاسل ، مقدما اياه على المهاجرين ، وقال : لكم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

وهم ابن عباس بالاجابة ، فأشار اليه مولانا الحسين بالسكوت ؛ ليبدأ هو بالاجابة ، فقال مولانا الحسين معارضا ومجيبا :

يامعاوية ، لم يؤد القائل وان أطنب فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع جزءا ، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة ، وهيهات هيهات يا معاوية ،فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج .

ولقد فضلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعت حتى بخلت ، وجرت حتى جاوزت المدى ، ما بذلت لذى حق من اسم حقه بنصيب ، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ، ونصيبه الأكمل .

وفهمت ماذكرته عن يزيد ، من اكتماله وسياسته لأمة محمد ، تريد أن توهم الناس فى يزيد ، كأنك تصف محجوبا ، أو تنعت غائبا ، أو تخبر عما احتويته بعلم خاص .

وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد ما أخذ هو به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والحمام السبق لأترابهن ، والقيناتذوات المعازف ، وضروب الملاهى تجده ناصرا .

ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله مابرحت تقدم باطلا فى جور ، وحنقا فى ظلم ، فى يوم مشهود ، ولات حين مناص .

ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ، ومنعتنا عن آبائنا تراثا ، ولقد والله أورثنا رسول الله ولادة ، وجئت لنا بما حججتم به القائم عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذعن للحجة بذلك ، ورده الايمان الى النصف ، فركبتم الأعاليل ، وفعلتم الأفاعيل ، وقلتم كان ويكون ،حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك ، فهناك فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وتأميره له . وقد كان ذلك ، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له ، وما صار لعمرو يومئذ ، حتى أنف القوم امرته ، وكرهوا تقديمه ، وعدوا عليه أفعاله ، فقال صلى الله عليه وسلم ، « لاجرم معشر المهاجرين ، لا يعمل عليكم بعد اليوم » .

فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول ، في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب ، أم كيف ضاهيت بصاحب تابعا ، وحولك من يؤمن في صحبته ، ويعتمد في دينه وقرابته ، وتتخطاهم الى مسرف مفتون ، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه ، وتشقى بها في آخرتك ، ان هذا لهو الخسران المبين ، وأستغفر الله لي ولكم .

وعندئذ نظر معاوية الى ابن عباس وقال : ماهذا يا ابن عباس ، ولما عندك أدهى وأمر ، فقال ابن عباس : لعمر الله انها لذرية الرسول ، وأحد أصحاب الكساء ، ومن البيت المطهر ، فاله عما تريد ، فان لك في الناس مقنعا ، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

فقال معاوية : أعوذ الحلم التحلم ، وخيره التحلم عن الأهل ، انصرف في حفظ الله .

الامام الحسين يعدد اخطاء معاوية :

روى ابن قتيبة في الامامة والسياسة ، أن معاوية كتب للامام الحسين بأن أمورا انتهت اليه عنه وأنذره في كتابه قائلا : فانك متى تنكرني أنكرك ، ومتى تكدني أكدك ، فاتق شق عصا هذه الأمة .. فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يستخفنك السفهاء والذين لا يعلمون » .

قال : فلما وصل كتاب معاوية رد عليه الامام الحسين قائلا : أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنه انتهت اليك عني أمور ، أنت لي عنها راغب وأنا بغيرها عندك جدير ، وان الحسنات لايهدى لها ولا يسدد اليها الا الله تعالى .

وأما ما ذكرت أنه رقى اليك عنى ، فانه انما رقاه اليك الملاقون ، المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الجمع ، وكذب الغاوون ، ما أردت لك حربا ، ولا عليك خلافا .

واني لأخشى الله في ترك ذلك منك ، ومن الاعذار فيه اليك ، والى أوليائك القاسطين (الجائرين) الملحدين ، حزب الظلمة وأولياء الشياطين .

ألست القاتل حجر بن عدى أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين ، الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفظعون البدع ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلما وعدوانا ، من بعد ما أعطيتهم الايمان المغلظة ، والمواثيق المؤكدة جراءة على الله واستخفافا بعهده .

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، العبد الصالح ، الذى أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه ، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته من العهود ، ما لو فهمته العصم (نوع من الوعول في ذراعيه بياض) لنزلت من رؤوس الجبال .

أولست بمدعى زياد بن سمية ، المولود على فراش عبيد ثقيف ، فزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ، فتركت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله تعمدا ، وتبعت هواك بغير هدى من الله ، ثم سلطته على أهل الاسلام ، يقتلهم ، ويقطع أيديهم وأرجلهم ، ويسمل أعينهم ، ويصلبهم على جذوع النخل ، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك .

أو لست قاتل الحضرمى ، الذى كتب اليك فيه زياد ، أنه على دين على ، كرم الله وجهه ، فكتبت اليه أن اقتل كل من كان على دين على ، فقتلهم ومثل بهم بأمرك .

وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ، واتق شق عصا هذه الأمة ، ولا تردهم الى فتنة ، وانى لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ، ولا أعظم نظرا لنفسى ولدينى ولأمة محمد صلى الله عليه

وسلم ، أفضل من أن أجاهدك فان فعلت فانه قربة الى الله ، وان تركته فاني استغفر الله لديني ، وأسأله توفيقه لارشاد أمري ، وقلت فيما قلت انانكرتك تنكرني ، وان أكدك تكدني ، فكدني ما بدا لك ، فاني أرجو ألا يضرني كيدك ، وألا يكون على أحد أضر منه على نفسك . لأنك قد ركبت جهلك، وتحرصت على نقض عهدك .

ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر ، الذين قتلتهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا ، وتعظيمهم حقنا ، فقتلتهم مخافة أمر ، لعلك لو لم تقتلهم ، مت قبل أن يفعلوا ، أو ماتوا قبل أن يدركوا .

فأبشر يا معاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم أن لله تعالى كتابا لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

وليس الله بناس لأخذك بالظنة ، وقتلك أولياءه على التهم ، ونفيك أولياءه من دورهم الى دار الغربة ، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث ، يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ، ما أراك الا قد خسرت نفسك ، وتبرت دينك ، وغششت رعيتك وأخربت أماناتك ، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت الورع التقي والسلام .

قال ، فلما قرأ معاوية كتاب الامام الحسين عليه السلام ، قال : لقد كان في نفسه ضب ما أشعر به فلما أشاروا عليه أن يجيبه بما يصغر اليه نفسه ، قال لو أني ذهبت لعيب على محقا ، فما عسيت أن أقول فيه ومثلي لا يحسن أن يعيب بالباطل (؟!) وما لايعرف ، ومتى ماعبت رجلا بما لايعرفه الناس ، لم يحفل به ، ولا يراه الناس شيئا وكذبوه ، وما عسيت أن أعيب حسينا ، والله ما أرى للعيب فيه موضعا ، وقد رأيت أن أكتب اليه أتوعده وأتهدده ، ثم رأيت ألا أفعل .

وكل منصف من المطلعين على موقف الامام الحسين من معاوية في مخالفاته لشروط الصلح وشروط الخلافة ، وفي حمله الناس على بيعة

يزيد كرها ، يرى أن الامام الحسين نصح لله ، وأدى أمانة الله ، ودافع دفاعا منقطع النظير عن حقوق الأمة ، فى حياة معاوية ، وقد رأيت كيف جابهه بشجاعة وقوة وروعة ، وهو على سرير ملكه ، وأما بعد معاوية ، فقــد بذل أغلى ما يملك دفاعا عن الحق وأهله ، بذل روحه الزكيــة ، التى توجت أرواح الشهداء فى سبيل الحق .

العلامة العقاد وموقف الامام الحسين :

ويرحم الله العلامة العقاد اذ يقول فى كتابه «أبو الشهداء» : ومن هو الشهيد ان لم يكن هو الرجل الذى يكلف الأيام ضـــد طباعها ويصـــدق الخير فى طبيعة الانسان والخير عزيز والدنيا به شحيحه ، والحسين رضى الله عنه ، قد طلب خلافة الراشدين حيث لاتنسى خلافة الراشدين ، وكان الصراع بين الحسين ويزيد ، أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة ، وعهــد الخلفاء الأولين . قد بذل فيها الحسين روحه ، وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدوم من الحياة فهو أبو الشهداء ، وينبوع شهادة متعاقبة ،لا يقرن بها ينبوع فى تاريخ البشر أجمعين .

هل تم لمعاوية ماأراد :

قلت فى مقدمة كتابى « الامام الحســين بن على » الذى تفضــل المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فنشره فى ١٥ شوال ١٣٨٥ الموافق ٥ فبراير ١٩٦٦ ما نصه :

« وآكاد أجزم أنه لو كشف الغيب لمعــاوية ، فــرأى أن الملك الذى أراد تأسيســه لبنى سفيان سينتقل على عجل الى مــروان وبنيه ، لفضــل بذكائه الحاد ، ودهائه السياسى ، أن تبقى الخلافة شورى بين المسلمين ، كما كانت ، ولما راقت له فكرة المغيرة بن شعبة فى استخلاف يزيد ، ولم يرد المغيرة بما أشار وجه الله ، فقد كان الحق واضحا ، وقد رضى معاوية أن يخلفــه الامام الحسن فى شروط الصــلح بينهما ، ولــكن لم يطل عمر الامام الحسن .

« واذا كان معاوية قد عزل مروان عن ولاية المدينة وولى مكانه سعيد ابن العاص ، فلا أظنـه كان يحب أن يراه وارثا للملك يزيد ويورثه لبنيه وذراريهم ، خاصة وأنه عارضه فى بيعة يزيد وقال له فأقم الأمر يا ابن أبى سفيان ، واهدأ من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك فى قومك نظرا ، وأن لهم على مناوأتك وزرا .

« كذلك ما كان يرضى معاوية لعبد الله بن الزبير أن يأخذ الخلافة قهرا من بنى أمية ، وما من شك فى أن معاوية كان يرى الحق ولـكنه رآه مغطى بحب الآباء الغريزى للأبنـاء ، فحجبت الحقيقة عن عينيه ، فـكان ما كان ، وترتب على تلك البيعـة بلايا ورزايا حاقت نكباتها بالمسلمين ، ففرقت جمعهم وشتتت شملهم ، فهم كذلك الى اليـوم ، بعد أن كانوا يدا واحدة ، وقلبا واحدا ، والغيب لله ، والله غالب على أمره ، والملك عقيم ، كما قال عبد الملك بن مروان ، فى رثاء مصعب بن الزبير ، حين قتله ، وكان صديقا له قبل أن يتولى الملك عبد الملك » .

ومما تقدم يعلم القارىء الكريم ، انه لم يتم لمعاوية ما أراد ، وصـدق من قال : وتقدرون فتضحك الاقدار ، على أننا لو قلنا ان مروان وبنيه من بنى أمية ، وقد ملـكوا وكان ملكهم ثمرة لهم من ثمرات بيعـة يزيد ، فان ملكهم لم يدم بعد مقتل الامام الحسين الا ستين عاما لم تبلغ بهم ما أملوا من أن يكون ملكا خالدا على الزمن ، وكان مقتل الامام الحسين هو المعول الذى أتى على بنيانهم من القواعد وأسقطهم الى الابد .

بعض شهادات ضد معاوية

الشهادة الاولى :

تبدأ تلك الشهادات بشهادة ضده ، واجهه بها فى حياته صوت الحق ، الذى نطق على لسان سعية بن غريض وقد جاء عنه فى كتاب الأغانى لأبى الفرج ، انه كان يهوديا وأسلم وعمر طويلا .

وقال أبو الفرج فيما رواه عنه بسنده فى الأغانى عن الهيثم بن عدى قال :

حج معاوية حجتين فى خلافتـــه ، وكانت له ثلاثون بغـــلة يحج عليها نساؤه وجواريه ، قال فحج فى احداهما فرأى شـــيخا يصلى فى المســـجد الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ، فقال من هذا قالوا ، سعية بن غريض .

فأرسل اليه يدعوه ، فأتاه رسوله فقال ، أجب أميـــر المؤمنين ، قال : أو ليس قد مات أمير المؤمنين ؛ قيل فأجب معاوية :

فأتاه ، فلم يسلم عليـــه بالخلافة ، فقال له معـــاوية ، ما فعلت أرضك التى بتيماء ، قال يكسى منها العارى ، ويرد فضلها على الجار ، قال ، أتبيعها قال نعم ، قال بكم ، قال بستين الف دينار ، ولولا خلة أصابت الحى لم أبعهـــا ، قال لقد أغليت ، قال ، أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتهـــا بستمائة ألف دينار ثم لم تبال ، قال : أجل ، واذ بخلت بأرضك فأنشدنى شعر أبيك يرثى به نفسه ، فقال قال أبى :

يا ليت شـــعرى حين أندب هالكا	مـــاذا تؤبننى بـــه أنواحى
أيقلن لا تبعـــد ، فرب كريهـــة	فرجتهـــا بشجـــاعة وســـماح
ولقـــد ضربت بفضل مالى حقـــه	عنـــد الشـــتاء وهبة الأرواح
ولقـــد أخذت الحق غير مخاصم	ولقد رددت الحـــق غيـــر ملاحى
واذا دعيت لصعبـــة سهلتهـــا	أدعى بأفلح مـــرة ونجـــــاح

فقال ، أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك ، قال ، كذبت ولؤمت ، قال ، أما كذبت فنعم ؛ وأما لؤمت فلم ، قال ، لأنك كنت ميت الحـــق فى الجاهلية وميته فى الاسلام ، أما فى الجاهلية ، فقاتلت النبى صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جعل الله عز وجل كيدك المردود . وأما فى الاسلام فمنعت ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة . وما أنت وهى ، وأنت طليق ابن طليق فقال معاوية : لقد خرف الشيخ فأقيموه ، فأخذ بيده فأقيم .

الشهادة الثانية :

وتتبع الشهادة المتقدمة ، بشهادة حفيده معاوية الثانى بن يزيد ، الذى ولى الخلافة بعد أبيه وبقى فيها أربعين يوما ، فقد صعد المنبر فقال :

« أيها الناس ان جدى معــاوية ، نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق منه ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على بن أبى طالب وركب بكم ما تعلمون ، حتى أتته منيته ، فصار فى قبره رهينـــا بذنوبه وأسيرا بخطاياه .

« ثم قلد أبى الأمر ، فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه وأخلفــه الأمل ، وقصر عنه الأجل ، وصار فى قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بجرمه » .

« ان من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، وأباح الحــرم وخرب الــكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فشأنكم أمركم » .

وقد زلزلت خطبته هذه أركان الدولة الأموية ، خاصة وأنه لم يعين خلفا له على الرغم من الحاح أهله عليه ، بعد أن رأوا أن عدم استخلافه ، يمكن لعبد الله بن الزبير فى الخلافة ، وقد ذهب بعض المؤرخين الى أنهم سموه ، وذهب بعضهم الى أنهم طعنوه .

وقد بايعت شــبه الجزيرة العربية لابن الزبير ، كما بايعته كل من مكة والمدينة ، حيث تطلع الناس الى الخلاص من الحكم الأموى ، وقد كانت فظائع الحرة التى وقعت على أهل المدينة ، ماثلة فى الأذهان ، وكذلك بايعت بلاد العراق لابن الزبير ، كما أقرت مصر خلافته ، وبايعــه كثير من أهل الشام .

الشهادة الثالثة :

وهى شهادة رجل من العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من رمى بسهم فى الاسلام ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليــه وسله فقال « اللهم سدد رميته واستجب دعوته » وهو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنــه ، وهى ليست خاصــة ببيعة يزيد ، والا كنا قدمنــاها على غيرها ، انما هى خاصة بالبدعة التى ابتدعها معاوية ، وهى سب الامام على على المنابر وقد بدأها هو ، وأمر ولاته باتباعها ، فكان الامام على ، وهو هو من الاسلام والمسلمين ، يسبه علانية بنو أمية وعمالهم دون أن يخافوا الله فيه .

وقد ولى معاوية سعد بن أبى وقاص ، فلم يتبع بدعة السب هـذه مخالفا بذلك معاوية ، فقال له معاوية ، ما يمنعك أن تسب أبا تراب (كنية الامام على التى كناه بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم)

فقال سعد ، أما ماذكرت ثلاثا قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن تكون لى واحدة منهن ، أحب الى من أن يكون لى حمر النعم ، فلن أسبه :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد خلفه فى بعض المغازى ، فقال له على ، يارسول الله ، تخلفنى مع النساء والصبيان ،فقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه لانبوة بعدى.

وسمعته يقول يوم خيبر ، لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فتطاولنا لها فقال : ادعو لى عليا ، فأتاه وبه رمـد ، فبصق فى عينيه ، ورفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

ولما نزلت هذه الآية ، (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فقال : اللهم هؤلاء أهلى .

فهذه شهادة رجل كان من أصحاب الشورى الستة ، وكان امامنا علـى منافسا له فى الخلافة ، لكن لم يعدل به الهوى عن شهادة الحق ، والوقوف مع الحق حيث كان ، ولو ضايق ذلك صاحب السلطان .

الشهادة الرابعة :

وهى شهادة الخليفة الأموى الورع ، عمر بن عبد العـزيز ، رضى الله عنه ، فقد أبطل بدعة السب ، التى ابتـدعها معاوية ، وأبدلها عمر عليـه السلام بقوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتـاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون) .

أقول وقد قرأت فى سبب ابطالها ، أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز تلقى فى صباه العلم عن رجل ورع من ذرية عتبـة بن مسعود ، فرأى فى

طريقه الى المسجد ، عمر بن عبد العزيز ، بين صبيان بنى أمية ، يسبون الامام عليا ، فلما جاء عمر المسجد ليتلقى درسه ، أشاح الشيخ بوجهه‌عنه، فسأل شيخه عن سبب ذلك ، فقال سمعتك تسب الامام عليا مع الصبيان ، يا بنى متى علمت أن الله غضب على أهل بدر بعد اذ رضى عنهم ، قال عمر ، وهل كان على فى بدر ، قال الشيخ ، وهل كانت بدر كلها الا لعلى .

يقول عمر ، ومن يومئذ ، نويت فى نفسى ، انى لو وليت أمر المسلمين أبطلت بدعة السب . وقد أنجز ما نواه حين ولى الخلافة فأرضى الله ورسوله .

الشهادة الخامسة :

وفى مناسبة عمر بن عبد العزيز ، أذكر ما دار بينه وبين أبيه ، عبد العزيز بن مروان ، حين كان واليا على المدينة ، فقد قال له عمر ، يا أبت أراك تهدر بالخطبة حتى اذا جئت الى سب على تلجلجت ، قال يابنى لو يعلم الناس من أمر على ما يعلم أبوك ، ما بقى واحد منهم معنا .

ونكتفى بتلك الشهادات الخمس حتى لايطول بنا الكلام ، وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون .

أهل الكوفة فى توديعهم للامام الحسن :

روى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى قال : لما كان عام الصلح ، أقام الحسن عليه السلام بالكوفة أياما ، ثم تجهز للشخوص للمدينة ، فدخل عليه المسيب بن نجبة الفزارى ، وظبيان بن عمارة التيمى ، ليودعاه فقال الحسن :

الحمد لله الغالب على أمره ، لو أجمع الخلق جميعا على ألا يكون ما هو كائن ، ما استطاعوا .

فقال أخوه الحسين عليه السلام ، لقد كنت كارها لما كان ، طيب النفس على سبيل أبى ، حتى عزم على أخى فأطعته ، وكأنه يجذ أنفى بالموسى .

فقال المسيب ، انه والله ما يكبر علينا هذا الأمر ، الا أن تضاموا وتنتقصوا ، فأما نحن فانهم سيطلبون مودتنا بكل ماقدروا عليه .

فقال الامام الحسين ، يامسيب ، نحن نعلم أنك تحبنا ، فقال الامام الحسن عليه السلام ، سمعت أبي يقول ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحب قوما كان معهم » .

فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع فقال ليس الى ذلك سبيل .

الامام الحسن عند توديعه الكوفة :

قال فلما كان من غد خرج ، فلما صار بدير هند ، نظر الى الكوفة وقال :

ولا عن قلى فارقت دار معاشرى هم المانعونى حوزتى وذمارى

فانظر ، رعاك الله ، الى وفائه بأهل مودته ، فقد ذكر الكوفة بأهل مودته ، ولم يذكرها بأهل عداوته ، وهذا شأن عباد الرحمن ، يقبلون من المحسن ، ويتجاوزون عن المسىء (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) .

نصيحته رضي الله عنه لبعض خصوم ابيه :

قال المدائنى (فيما نقله ابن أبى حديد) ، حدثنا سليمان بن أيوب عن الأسود بن قيس العبدى ، أن الحسن عليه السلام لقى يوما حبيب بن مسلمة فقال له : ياحبيب رب مسير لك فى غير طاعة الله ، فقال أما مسيرى الى أبيك فليس من ذلك ، قال بلى والله ، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة ، فلئن قام بك فى دنياك ، لقد قعد بك فى آخرتك ، ولو كنت اذ فعلت شرا ، قلت خيرا ، كان ذلك كما قال عز وجل (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ولكنك كما قال الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) .

وهى كما تراها نصيحة أمينة من رجل الدين لرجل الدنيا ، فهل من مدكر ؟!

الامام الحسن يفحم خصومه :

وصف معاوية الامام الحسن يوما فقال ، انه ممن لاتطاق عارضته ، وكان ذلك حين وقعت مفاخرة بينه وبين رجالات من قريش ، من خصوم أبيه وخصومه .

وهى مفـاخرة طويلة ، ذكرت مفصلة فى مراجعها ، وقـد رأيت أن أوجز ما جاء عنها فى شرح نهج البلاغة لابن أبى حديد .

ومع ما أوجزته ، سيرى القارىء الكريم ، عارضة الامام الحسن فى فوتها ، وهو يلقم الحجر خمســة من كبار رجالات قريش وعلى رأسهم معاوية بعد أن استتب له الملك واستقر .

فقد اجتمع فى دار معاوية : عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وعتبة بن أبى سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة .

وقد كان بلغهم عن الامام الحسن قوارص ، وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا لمعاوية ، يا أمير المؤمنين ، ان الحسن قد أحيا أباه وذكره ، وقال فصدق ، وأمر فأطيع . وخفقت له النعال ، وان ذلك لرافعه الىماهو أعظم منه ، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا .

قال معاوية ، فما تريدون ، قالوا ابعث اليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ، ونعيره ونوبخه ، ونخبره أن أباه قتـل عثمان ونقرره بذلك ، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئا من ذلك .

قال معاوية : انى لا أرى ذلك ولا أفعـله ، قالوا عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن ، فقـال ويحكم لاتفعلوا فوالله ما رأيته جالسا عنـدى الا خفت مقامه وعيبـه لى ، قالوا ابعث اليـه على كل حال قال ان بعثت اليه لأنصفنه منكم .

فقال عمرو بن العاص ، أتخشى أن يأتى باطله على حقنا ، قالمعاوية، أما انى بعثت اليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله ، قالوا مره بذلك .

قال ، أما اذ عصيتمونى ، وبعثتم اليه وأبيتم الا ذلك فلا تمرضـوا له فى القـول (أى لاتجعلوا قولكم مريضـا) واعلموا أنهم أهل بيت

لا يعيبهم العائب ، ولا يلصق بهم العار ، ولكن اقذفوه بحجره ، تقولون له ، ان أباك قتل عثمان ، وكره خلافة الخلفاء من قبله .

فبعث اليه معاوية ، فجاءه رسوله ، فقال ان أمير المؤمنين يدعوك ، قال من عنده ، فسماهم له ، فقال الحسن عليه السلام : مالهم خــر عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون .

ثم قال الامام الحسن ، ياجارية ، أبغيني ثيابى ، اللهم انى أعوذ بك من شرورهم ، وأدرأ بك فى نحورهم ، وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت ؛ وأنى شئت ، بحول منك وقوة ، يا أرحم الراحمين .

ثم قال : فلما دخل على معاوية ، أعظمه وأكرمه وأجلسه الى جانبه ، وقد ارتاد القوم وخطروا خطران الفحول ، بغيا فى أنفسهم وعلوا ، ثمقال معاوية يا أبا محمد ، ان هؤلاء بعثوا اليك وعصونى .

فقال الحسن عليه السلام سبحان الله « الدار دارك والاذن فيهــا اليك ، والله ان كنت أجبتهم الى ما أرادوا وما فى أنفسهم ، انى لأستحيى لك مــن الفحش ، وان كانوا غلبوك على رأيك انى لاستحيى لك مــن الضعف . فأيهما تقرر وأيهما تنكر ، أما انى لو علمت بمكانهم جئت معى بمثلهم من بنى عبد المطلب ، وما لى أن أكون مستوحشا منك ولا منهم ان وليى الله . وهو يتولى الصالحين » .

فقال معاوية يا هذا ، انى كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك مع كراهتى له ، وان لك منهم النصف ومنى ، وانمــا دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما ، وأن أباك قتله ، فاستمع منهم ثم أجبهم ، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تكلم بكل لسانك .

ثم تــكلموا واحدا بعــد واحد ، وكانوا فيما تــكلموا به متجنين متحاملين ، ولقــد جانبوا الصواب فيما تــكلموا به ، ويكفى كأنموذج لتحاملهم ، أن أنقل للقــارىء الكريم كلام عمرو بن العــاص وهو أول متكلم فيهم :

تكلم عمرو ، فحمد الله ، وصلى على رسوله ، صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر عليا ، عليه السلام فلم يترك شيئا يعيبه به الا قاله ، وقال انه شتم أبا بكر وكره خلافته ، وامتنع من بيعته ، ثم بايعه مكرها ، وشرك فى دم عمر ، وقتل عثمان ظلما ، وادعى من الخلافة ما ليس له .

ثم ذكر الفتنة يعيره بها ، وأضاف اليه مساوىء ، وقال يابنى عبد المطلب ، لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء ، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء ، وحرصكم على الملك واتيانكم ما لايحل .

ثم انك ياحسن ، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة اليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه ، كيف ترى الله سبحانك سلبك عقلك ، فتركك أحمق قريش ، يسخر منك ويهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك .

وانما دعوناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرد الله به ، وكفانا أمره ، وأما أنت فانك فى أيدينا نختار فيك الخصال ، ولو قتلناك ما كان علينا اثم من الله ، ولا عيب من الناس ، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ، فان كنت ترى أننا كذبنا فى شىء فاردده علينا فيما قلنا والآن اعلم أنك وأباك ظالمان .

أقول ، وقد كدت أن أنكر عقلى ، وأن أقرأ مقالة عمرو هذه ، فكيف قالها ، وظن أنه صادق فيما قال ، مع أنه والله لم يقل صدقا ، ولا عدلا ، وقد كنت أربأ به فى ذكائه أن يخبط ، بهوى سياسى ، مثل هذا الخبط ، وهو خبط عشواء وأضل ، ولئن كان أرضى معاوية ، فقد أغضب الله ربه ، وكأنه كلام محموم يهذى فلا يدرى ما يقول ولا حول ولا قوة الا بالله .

والا فبماذا يستحل حرمة الامام الحسن وآله ، وبماذا يستحل دم الامام الحسن ، بعد أن وقف من السلم موقفا خلده فى التاريخ ويرحم الله السيد محمد اقبال فيلسوف الباكستان العظيم اذ يقول مشيرا بذلك الموقف الكريم ، فى قصيدته التى مرت عليك :

حسن الذى صان الجماعة بعد ما ... أمسى تفرقها يحل عراها
ترك الخلافة ثم أصبح فى الديار ... امام ألفتها وحسن علاها

على أن امامنا الحسن ، عرض عليه معاوية ، أن يـكون الخليفة من بعده ، وطبعا كان ذلك بعلم عمرو ورضاه ، فهـل كانت صـورة الامـام الحسن عندهما يومئذ هى الصـورة القبيحة التى نطق بها عمـرو افكا وبهتانا فى مقالته المتقـدمة ، التى يطعن بها حليفه معاوية قبل أن يطعن بها الامام الحسن ، لأنه لو صدقت الصورة ، وحاشا ، لكان اختيـار معاوية الحسن للخلافة من بعده أسوأ اختيار ، وأن كذبت الصورة ، وهى كاذبة فعلا فلا يسمع قول لكذاب ، لأن الوقت أثمن من القول الكاذب .

وما لى أرد عليهم ، وقد أغنانى الامام الحسن ، وأنى لمثلى أو لأكبر منى أن يزاحمه ، فقد أجابهم واحدا واحـدا ولقى عمرو منه جزاءه كمـا سترى :

حمد الامام الحسن الله ، وأثنى عليه ، وصلى على رسوله وآله ثم قال :

« أما بعد ، يا معاوية ، فما هؤلاء شتمونى ، ولكنك شتمتنى ، فحشا ألفته ، وسوء رأى عرفت به ، وخلقا سيئا ثبت عليه ، وبغيا علينا ، عـداوة منك لمحمد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا ، فلأقولن فيك وفيهم دون ما فيكم .

أنشدكم الله ، أيها الرهط ، أتعلمون أن الذى شتمتموه منذ اليوم ، صلى للقبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر ، تراهما ضـلالة ، وتعبـد اللات والعزى غواية .

وأنشدكم الله ، هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما ، بيعة الفتح ، وبيعة الرضوان ، وأنت يا معاوية ، باحداها كافر ، وبالأخرى ناكث .

وأنشدكم الله هل تعلمون ، أنه أول الناس ايمـانا ، وأنك يامعاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم ، تسرون الكفر وتظهرون الاسلام ، وتستمالون بالأموال .

وأنشدكم الله ، ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله يوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحد

ويوم الأحزاب ، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعك ومع أبيك راية الشرك .

وفى كل ذلك يفتح الله له ، ويفلج حجته ، وينصر دعوته ، ويصدق حديثه ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك المواطن كلهـا عنه راض ، وعليك وعلى أبيك ساخط .

وأنشدك الله يامعاوية ، أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله عليه وسـلم فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق .

أتنسى يا معاوية الشعر الذى كتبته الى أبيك لما هم أن يسلم تنهـاه عن ذلك :

يا صـخر لا تسلمن يوما فتفضحنا ... بعـد الذين ببدر أصـبحوا فرقا
خـالى وعمى وعـم الأم ثالثهم ... وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
ولا تركنن الى أمـر تكلفنـا ... والراقصات به فى مكة الخـرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد ... حاد ابن حرب عن العزى اذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت أيها الرهط ، أتعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيه (ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه الى بنى قريظة فنزلوامن حصنهم فهزموا ، فبعث عليا بالراية ، فاستنزلهم على حكم الله وحكمرسوله، وفعل فى خيبر مثلها .

ثم قال يا معاوية ، أظنك لا تعلم ، أنى أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ، لما أراد أن يكتب كتابا الى بنى خزيمة ، فبعث اليك ابن عباس ، فوجدك تأكل ، ثم بعثه اليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، ثم بعثه اليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، فدعا عليك الرسول بجوعك ، ونهمك الى أن تموت (جاءت هذه القصة فى ترجمة معاوية فى أسـد الغـابة منقولة من صحيح مسلم) .

وأفاض الامام الحسن في وقائع أخرى مع أبى سفيان ، ثم وجه كلاما لعمرو بن العاص ، عده عمرو قذفا ، وطالب معاوية باقامة الحد على الامام الحسن ، فقال معاوية خل عنه ، لا جزاك الله خيرا ، وقد استحسنت عدم نقله اختصارا .

ومما قاله الامام الحسن لعمرو بن العاص ، فأنت عدو بنى هاشم في الجاهلية والاسلام ، ثم انك تعلم ، وكل هؤلاء الرهط يعلمون ، أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا من الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم انى لا أقول الشعر ولا ينبغى لى ، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة — فعليك اذن من الله مالا يحصى من اللعن .

وأما ما ذكرت من أمر عثمان ، فانت سعرت عليه الدنيا نارا ، ثم لحقت بفلسطين . فلما أتاك قتله قلت ، أنا أبو عبدالله اذا نكأت قرحة أدميتها ، ثم حبست نفسك الى معاوية ، وبعت دينك بدنياك ، فلسنا نلومك على بغض ، ولا نعاتبك على ود ، وبالله ما نصرت عثمان حيا ، ولاغضبت‌له‌مقتولا ، الى آخر ما عنفه به ثم قال له ، فهذا جوابك ، هل سمعته .

وكان مما قاله الامام الحسن للوليد بن عقبة :

وأما أنت ياوليد ، فوالله ما ألومك على بغض على ، وقد جلدك ثمانين في الخمر ، وقتل أباك بين يدى رسول الله صبرا ، وأنت الذى سماه الله الفاسق ، وسمى عليا المؤمن ، حيث تفاخرتما فقلت له ، اسكت ياعلى ، فأنا أشجع منك جنانا ، وأطول منك لسانا ، فقال لك على ، اسكت يا وليد فأنا مؤمن ، وأنت فاسق ، فأنزل الله تعالى فى موافقة قوله « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون » ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ويحك ياوليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك :

أنزل الله والكتاب عزيز ... فى على وفى الوليد قرانا
فتبوى الوليد اذ ذاك فسقا ... وعلى مبوأ ايمانا
ليس من كان مؤمنا عمرك ... الله كمن كان فاسقا خوانا

ثم التفت الامام الحسن الى عتبة ، وقال متهكما :

وأما أنت يا عتبة ، فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك،ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ، ولا شر يتقى ، وما عقلك وعقل أمتك الا سـواء ، وما يضر عليا لو سببته على رؤوس الأشهاد ، وأعقب ذلك بكلام قارس أمسكت عن نقله اختصارا ، ثم التفت الامام الحسن الى المغيرة ، وقال له فى سخرية لاذعة :

وأما أنت يا مغيرة ، فلم تكن بخليق أن تقع فى هـذا وشبهه ، وانما مثلك مثل البعوضة اذ قالت للنخلة ،استمسكى ، فانى طائرة عنك ، فقالت النخلة ، وهل علمت بك واقفـة على ، فأعلم بك طائرة عنى ، وأتبـع ذلك بكلام قارس أمسكت عن نقله اختصارا .

ثم وجه كلامه للجميع قائلا :

وأما فخركم علينـا بالامارة ، فان الله تعـالى يقول « واذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

قالوا ، ثم قام الامام الحسن فنفض ثوبه ، وانصرف ، فقـال معاوية قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ، ونهيتكم أن تسـبوه فعصيتمونى ، والله ماقام حتى أظلم على البيت ، قوموا عنى ، فقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم ، وعدولكم عن رأى الناصح المشفق والله المستعان .

استرعاء نظر :

وانى أود أن استرعى نظر القارىء الكريم الى الاعتبارات الآتية :

١ — ان الامام عليا لم يكرهه أحد على بيعة أبى بكر ، كما ادعى عمرو ابن العاص ، وكان تأخره عن بيعته بعض الوقت فى أرجح الأقوال كما مر عليك لسببين :

أ) انه لم يشترك فى اجتماع السـقيفة ، وكان مشـغولا بتجهيز مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يرجو أن يدعى للاجتماع باعتباره من السابقين الأولين .

ب) ان السيدة الزهراء زوجته ، كانت تطالب سـيدنا أبا بكر رضى الله عنه فى ميراثها من أبيها فى أرض فـدك ، ولم يجبهـا ، وأخبرها أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نحن معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه فهو صدقة ، وما زال الخليفة الأول يسترضيها حتى رضيت عنه ، وهدد بترك الخلافة ان لم تكن الزهراء عنه راضية ومما قاله فى استرضائها، « ياحبيبة رسول الله . والله ان قرابة رسول الله أحب الى من قرابتى ، وانك لأحب الى من عائشة ابنتى .. »

فالامام على فى تأخره عن البيعة ، كان يطيب خاطر زوجته ، حتى اذا رضيت بايع وقد قال تعالى فى نية رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبة « لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضـاة أزواجك » وفى ذلك ثنـاء على نية علمها الله ، وكان رسول الله صلى الله عليـه وسلم يبتغى تطييب خواطرهن ، ثم عاتب تعالى زوجتيه فقال « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكماوان تظاهرا عليه .. الآية » .

ويضاف الى ما تقدم أن الامام عليا وان تأخر فى البيعة ، فانه لم يخرج على الخليفة الأول ولم يحاربه ، كمـا فعل معاوية وعمر ، حين خرجا على الامام على ، وحارباه دون حق .

٢ — أما أنسيدنا عليا شارك فى دم عمر ، فلم يقل أحد ذلك ، وكيف وهو يخاف الله خوف السابقين ، يقتل النفس التى حرم الله الا بالحق .

وسيدنا عمر صهره ، وحبيبه ، وستعلم فيما يلى أنه حرص على مصاهرة الامام على ليكون له نسب بمولانا رسـول الله صلى الله عليه وسلم حيث وقف على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل نسب ينقطع يوم القيامة الا نسبى » ، وكان سيدنا عمر ، كما مر القول ، يقول لا أبقانى الله فىبلد لست بها يا أبا الحسن ، فهلكان يشك فى عداوته ويقول ذلك أو يصاهره .

٣ — ان سيدنا عمر حين استخلف ، أشار بواحد من الستة الذين انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وكان فيهم امامنا على ، فكان موضع ثقته الى آخر رمق من حياته .

٤ — ان سيدنا عمر قال لبعض جلسائه مشيرا الى فضل الامام على : لو ولوها الأجلح لحملهم على الجادة ، فقالوا وما يمنعك أن تستخلفه، قال لا أحملها حيا وميتا فليختاروا لأنفسهم .

٥ — روى الامام القرطبي فى تفسيره (فى سورة الحديد) أن الامام عليا كرم الله وجهه قال منوها بفضل الشيخين أبى بكر وعمر :

سبق النبى صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر ، وثلث عمر ، فلا أوتى برجل فضلنى على أبى بكر الا جلدته حد المفترى ثمانين جلدة وطرح الشهادة .

٦ — أما دم عثمان ، فان الامام عليا وابنيه الامامين الحسن والحسين ، دفعوا عنه بما لم يدفع عنه متهموه ، وكان عمرو بن العاص أول الناصحين لعثمان باعتزال الخلافة ، وكان يقاطع عثمان وهو يخطب ليسترضى الثائرين ، وكان يقول انى لألقى الراعى فأحرضه على عثمان ، وقد مر عليك مادل على شماتته به حين قتل ، وأما معاوية فلم يدفع عنه بشىء ، كما أنه لم يقتص من قتلته ، كما كان يطلب من أمير المؤمنين على .

وذكره بالقصاص ورثة عثمان فتهرب ، وقد روى العلامة العقاد فى كتابه عبقرية الامام على ، أن معاوية زار المدينة فسمع ابنة عثمان تقول على مسمع منه : وا أبتاه ، فقال لها متهربا من القصاص وهو فى سلطانه :

يا ابنة أخى ان الناس أعطونا طاعة ، وأعطيناهم أمانا ، وأظهرنا لهم حلما تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل انسان سيفه ، وهو يرى مكان أنصاره فاذا نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا تكون أم

لنا ، ولأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين ، خير من أن تـــكونى امرأة من عرض المسلمين .

وهذا الذى علمته من قول معـــاوية ، يريك بدليل واضـــح ، أن دم عثمان كان تكأة يخـــدعون بها الجهال ، ويحرضون بها أهل الشام ، الذين انقادوا انقياد الأعمى لقائده ، بدافع من المال الذى أغدقه عليهم معاوية بلا حساب .

واذا كان معاوية قد نجح فى استمالة أنصـــار أهل البيت بمـــاله ، فاستمالة أهل الشام كانت عليه أهون وأرخص ، أو ليس هو الذى قال : لاستميلن بالدنيا ثقاة على ، ولاقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته.

وقد غلبت عـــلى النـــاس الدنيا ، وصدق أمير المؤمنين على حين قال لأتباعه : والله ما معاوية بأدهى منى . ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر ، لكنت من أدهى الناس .

وحين قال لهم ، ولكنه لا رأى لمن لا يطاع .

وحين قال لهم ، لم تـــكن بيعتكم اياى فلتـــة ، وليس أمرى وأمركم واحدا ، انى أريدكم لله وأنتم تريدوننى لأنفسكم .

أقول وما أصدق ســـيدنا عثمان رضى الله عنـــه حين قال فى احـــدى خطبه :

« ان ما تبتلى به هذه الأمة ، قدر واقع لايدفع ، وان فتنة الدنيـــا طغت على النفوس طغيانها الذى لاتجدى فيه الحيلة أو المحاولة » .

كما أقول صدق الامام الحسين رضى الله عنه حين قال :

« الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم ، يحوطونه ما درت به معايشهم ، فاذا محصوا بالبلاء ، قل الديانون » .

بين عمرو بن العاص والامام الحسن مرة اخرى :

روى ابن أبى حديد بســـنده عن المدائنى قال ، لقى عمرو بن العاص الحســـن بن على عليه السلام فى الطواف ، فقال له ، ياحسن ، زعمت أن

الدين لا يقوم الا بك وبأبيك ، فقد رأيت الله أقامه بمعاوية ، فجعله راسيا بعد ميله ، وبينا بعد خفائه ، أفرضى الله بقتل عثمان .

أو من الحق أن تطوف بالبيت ، كما يدور الجمل بالطحين ، عليك ثياب كغرقىء البيض (القشرة الملتزقة ببياض البيض) وأنت قاتل عثمان ، والله أنه لألم للشعث ، وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك .

فألقمه الامام الحسن عليه السلام الصخر ورد عليه قائلا :

« ان لأهل النار لعلامات يعرفون بها ، الحادا لأولياء الله ، وموالاة لأعداء الله ، والله انك لتعلم أن عليا لم يرتب فى الدين ، ولم يشك فى الله ساعة ولا طرفة عين قط .

وايم الله لتنتهين يا ابن أم عمرو ، أو لأنفذن خضنيك بنوافذ أشد من القعضبية (الأسنه) فاياك والتهجم على ، فانى من قد عرفت ، لست بضعيف الغمزة ، ولاهش المشاشة (أى رؤوس العظام) ولا مرىء المآكلة .

« وانى من قريش كواسطة القلادة ، يعرف حسبى ، ولا أدعى لغير أبى ، وأنت من تعلم ويعلم الناس ، تحاكمت فيك رجال قريش ، فغلب عليك جزارها ، الأمهم حسبا ، وأعظمهم لؤما ، فاياك عنى ، فانك رجس ، ونحن أهل بيت الطهارة ، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا » .

قال فأفحم عمرو وانصرف كئيبا .

مقارنة بين معاوية وعمرو :

دلنى اطلاعى على أن معاوية كان يحسن معاملة السبطين الحسن والحسين ، واذا قدم عليه أحدهما رحب به قائلا : مرحبا وأهلا ، وكان يجلسهما معه على سرير الملك ، وكان يقضى لهما الحاجات ، وكان يتحاشى اغضابهما ، لا بل انه أوصى يزيد ابنه بالامام الحسين وجاء فى وصيته تلك : ... « وان له رحما ماسة ، وحقا عظيما وقرابة من محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فان قدرت عليه

فاصفح عنه ، فانى لو أنى صاحبه عفوت عنه » ، ولعل حسن معاملة معاوية للسبطين هو الذى جعل بعض الرواةيقولون ان الذى تولى سم الامام الحسن هو اليزيد وليس معاوية .

معاوية يتمسح عند موته في آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم :

جاء فى شرح كتاب زاد المسلم ، قال صاحب العقد الفريد أنه لما ثقل معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد ، فوجد عثمان بن محمد بن أبى سفيان جالسا ، فأخذ بيده ودخل على معاوية ، وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد فلم يكلمه فبكى يزيد .

ثم قال معاوية أى بنى ، ان أعظم ما أخاف الله فيه ، ماكنت أصنع بك ، يابنى انى خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا مضى لحاجته وتوضأ . أصب الماء على يديه ، فنظر الى قميص لى قد انخرق من عاتقى ، فقال لى ، يامعاوية ألا أكسوك قميصا ، قلت بلى ، فكسانى قميصا لم ألبسه الا لبسة واحدة ، وهو عندى ، واجتز (قص شعره) ذات يوم فأخذت جزازة شعره وقلامة أظافره ، فجعلت ذلك فى قارورة .

فاذا مت يابنى فاغسلنى ، ثم اجعل ذلك الشعر والأظفار فى عينى ومنخرى وفمى ، ثم اجعل قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم شعارا من تحت كفنى ، ان نفعنى شىء نفع هذا .

تفاوت الصحابة في الدرجات :

لاشك أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أفضل الأمة المحمدية ، وقد نزلت آيات شتى فى القرآن الكريم تنوه بفضلهم وسبقهم وغفران ذنوبهم ورفع درجاتهم .

الا أنهم رضوان الله عليهم يتفاضلون فى الدرجات عند الله فيما بينهم ، نطق بذلك كتاب الله الكريم ، كما نطقت السنة النبوية المطهرة .

من ذالك مثلا قوله تعالى فى سورة الحديد (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لايستوى منكم من أنفق من قبل

الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) .

والمراد بالفتح فى قول أكثر المفسرين فتح مكة ، وذهبت قلة الى أنه صلح الحديبية .

وجاء فى تفسير الامام القرطبى كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ، ونفقتان احداهما أفضل من الأخرى ، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك ، لأن حاجة الناس قبل الفتح كانت أكثر لضعف الاسلام ، والانفاق حينئذ كان على المنفقين أشق ، والأجر على قدر النصب .

قال ، والآية نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ، وفيها دليل واضح على تفضيله وتقديمه ، لأنه أول من أسلم (من الرجال) ، وأول من أنفق على النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ، وقد وعد الله الجميع الجنة ، مع تفاوت الدرجات ، كما أن المهاجرين مفضلون على الأنصار ، وقد بين ذلك بجلاء سيدنا أبو بكر فى اجتماع السقيفة فقال للانصار ، وقدمنا فى القرآن عليكم نحن الأمراءوأنتم الوزراء .

وأقول ، ولا شك أن الامام عليا بسبقه الى الاسلام صبيا دون الحلم ، وبقتاله الرائع قبل الفتح من أصحاب الدرجات العليا بنص الآية المتقدمة ، كيف لا وقد قال فيه أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : لولا سيفه ما قام عمود الاسلام .

اجتهاد الصحابة :

انى أومن باجتهاد الصحابة فى تصرفاتهم ، كما أومن أنهم عدول ، ولا يشذ منهم عن هذه القاعدة فى رأيى ، الا من خالط تصرفاته هواه الشخصى الذى يخرجه عن سواء السبيل .

فاذا قست كلا من معاوية وعمرو بن العاص بهذا المقياس ، لا أقول باجتهاد أى منهما ، فقد كان معاوية فى خصومته للامام على ، كرم اللهوجهه

ينشد ملكا ، يتشبه فيه بكسرى وقيصر ، حيث كان أهل السابقة فىالدين يريدون خلافة الراشدين .

وحين أطفأ نيران الفتنة الامام الحسن عليه السلام بتنازله عن الخلافة ، لم يقف الهوى بمعاوية عند ملكه هو بل غلبه الهوى ، وحب ابنه ، وتأسيس الملك فى بيته ، فأكره المهاجرين والانصار على بيعة ابنه برهبة السيف ، وترتبت على تلك البيعة المشؤومة الحوادث التى غرست الحزن الدائم فى قلوب المسلمين ، كما كانت السبب المباشر فى الخلاف القائم فيهم الى اليوم ، حتى فى الآراء الدينية ، حيث جرت الخلافات السياسية الى الخلافات المذهبية ، وهى حالة تسوء ولا تسر ، وقد تأصلت فى المسلمين علة الخلاف فاستعصت علىعلاج المصلحين ويا أسفاه .

وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسرى أهل بدر ، فأشار سيدنا أبو بكر وجماعة معه بأخذ الفدية ، وأشار سيدنا عمر بضرب رقابهم اذ لاهوادة فى الدين ، وحيث لم يكن قد نزل وحى ، فقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى الأغلبية وقبل الفدية .

ولما نزل قوله تعالى (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) تحرج الصحابة من الأكل من مال الفدية ، فأزال الله عنهم الحرج وأحل لهم الغنيمة فقال (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فأقرهم على اجتهادهم ، لأنهم وان أخطأوا الرأى الصائب لكنهم أخطأوا باجتهاد جماعى ، لم يغلبهم فيه هوى فردى لنفع شخصى بل أرادوا أن يأخذوا الفدية ليستعينوا بها فى المصلحة العامة ومواجهة أعدائهم الكافرين ، وقد وضح ذلك سيدنا أبو بكر فى رأيه .

ومن الواضح أن معاوية لابسه هوى الملك لنفسه وتعداه الى ابنه وأعقابه ، فخرج على ولى الأمر أولا بغيرحق ، ثم خرج عن أصل الشورى الذى كان يطلبه الى الامام على ، ثمالذى شرطه عليه فى شروطالصلح الامام الحسن بن على ، وهو النهج الأقوى الذى سارت عليه سنة أسلافنا الأولين الصالحين .

وعمرو بن العاص ، اشترط على معاوية فى مؤازرته أن يعطيه خراج مصر بأكمله ان تم له الظفر على الامام على ، فكانت المصلحة الخاصة ، دافعة له ، فى مواقفه العدائية ، لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وياحبذا لو لم يزل به الهوى هذه الزلة ، وهو فاتح الشام ومصر .

وما أصدق ما قال معاوية فى شجاعة أدبية ، أما أبو بكر فلم ترده الدنيا ولم يردها ، وأما عمر فقد أرادته الدنيا فلم يردها ، وأما نحن فقد تقلبنا فيها ظهرا لبطن .

مقارنة بين موقف الامامين الحسن والحسين عليهما السلام :

سلم الامام الحسن الأمر لمعاوية ، ولم يفعل الامام الحسين فعله مع يزيد ، ولعل اختلاف الموقفين يثير شكوكا فى افهام بعض الناس ، والمنصف المتأمل يرى أن كلا منهما كان مجتهدا فى رأيه ، ومحقا فى موقفه.

أما عذر الامام الحسن فى التنازل فقد بان للقارىء المتأمل فى الحوادث التى جرت ، فان أنصار معاوية كانوا من أهل الدنيا ، تلعب الأموال بأهوائهم ، وقد عرف معاوية علتهم فنثر عليهم الذهب والفضة نثرا ، فوجدوا فى يدى معاوية مايشتهون .

وكان معاوية صالحا لأهل الدنيا ، وكان أهل الدنيا صالحين لمعاوية ، وقد مر عليك ما قاله عمرو بن العاص ، لا يصلح لهذا الأمر الا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر ، وما قاله معاوية : لأستميلن بالدنيا ثقاة على ، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته ، فلم يكن فى أهل العراق أحد فى قلبه مرض الا طمع فى معاوية .

أما أنصار الامام الحسن ، فهم أنصار أبيه ، وقد وصفهم أبوه فقال : أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، وقليل منهم من كان معه قلبا وقالبا .

وقد طلب الامام الحسن خلافة الراشدين ، وخاف الله كأبيه فى أموال المسلمين ، فلم ينثر على جنوده الأموال نثرا ، بل أراد أن يقاتل

الناس معه انتصارا للحق وطلبا للآخرة ، فلم يتحمس لذلك منهم الا أهــل الصدق والوفاء والدين ، وقليل ما هم .

ولقد خذله فى موقف الجد ، كما رأيت ، ابن عمه عبيد الله بن عباس والتمسه الناس ليصلى بهم الصبح فوجدوه فى عسكر معـاوية ، فلا ردعه دينه وورعه ، ولا ردعته عصبيته لبنى هاشم ، فلم يبق الى جوار خليفة الحق وابن عمه أمير المؤمنين الحسن عليه السلام وغلبت دنياه على دينه ، وخمدت حمية العصبية فكان منه ذلك الموقف المخزى ، وقد ذهب المال الذى أغراه وبقى لاصقا به عار الموقف .

وقد رأينا للحق أنصارا أوفياء فى صف الامام الحسن ، لكننا رأينـاه فى قلة من أمثال قيس بن سعد ، وعدى بن حاتم ، وقيس بن سعيد ، لـكن معاوية كان معه عشرات الألوف ، يأتمرون بأمره ، وينتهون بنهيه .

لذلك لم يكن عجيبا ما علمته من أن جند الامام الحسن اعتدوا عليه ، ونهبوا عسكره ، وشتموه على مسمع النـاس فى سفاهة الحمقى ، الذين لايكادون يفقهون قولا .

أما الامام الحسين ، فقد عرفت أنه كان يعارض أخاه فى الصلح مع معاوية ، وحين أصر أخوه رضخ لرأيه على كره منه ، وقـد زاد الشـيعة معارضة بعد موت الامام الحسن ، وشجعتهم معارضـة الامام الحسـين لسياسة معاوية ، كما شجعتهم قسوة ولاة معاوية فى معاملتهم ، وخاصة ما كان منها على يد زياد وابنه عبيد الله .

وآلت الخلافة لمعاوية ، عن رضا من الامام الحسن ، لكن يزيد آلت اليه الخلافة عن معارضة من الامام الحسين وسائر أبناء المهـاجرين ، لكن معاوية حمل الناس على البيعة بقوة السلطان ورهبة السيف .

وكان الصراع ، كما يقول العلامة العقاد ، بين الحسـين ويزيد أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة ، وعهد الخلفاء الأولين ، قد بذل فيهـا الحسين روحه ، وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدوم من الحياة فهو أبو الشهداء ، وينبوع شهادة متعاقبة ، لايقرن بهـا ينبوع فى تاريخ البشر أجمعين .

اجتهاد كل من الامامين الحسن والحسين عليهما السلام :

ويرى ابن أبى حديد أن كلا من الامامين الحسن والحسين ، عليهما السلام ، كان مجتهدا فيما رآه ، فسلم الامام الحسن الأمر الى معاوية ؛ ونازع الامام الحسين اليزيد فى الخلافة وعمل كل فى موقفه بموجب اجتهاده ، وما غلب على ظنونهما من المصلحة .

وقد كان تمكن الامام الحسن من المصلحة الحاضرة ، أكثر من تمكن الامام الحسين فى حاله الحاضرة ، لأن جند الحسن كان حوله ومطيفا به ؛ وهم كما روى مائة ألف سيف ، ولم يكن مع الامام الحسين من يحيط به ؛ ويسير بمسيره الى العراق الا دون مائة فارس ، ولكن ظنهما فى عاقبة الأمر ومستقبل الحال كان مختلفا .

فكان الامام الحسن يظن خذلان أصحابه عند اللقاء والحرب ، وكان الامام الحسين يظن نصرة أصحابه عند اللقاء والحرب ، فلذلك أحجم احدهما ، وأقدم الآخر .

ويقول ابن أبى حديد فى موضع آخر ، وقد صح فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما شاور فى أمر أسرى بدر أبا بكر أشار ألا يقتلهم ، وأشار عمر بقتلهم ، فمدحهما رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا.

ويتضح لك شعار الامام الحسين ، حين طلبوا اليه أن يبايع لليزيد ابقاء على حياته واتقاء للموت الذى يلقاه ان لم يبايع فقال لقائد الجيش الذى أرسلوه لقتاله : أبالموت تخوفنى وتمثل :

سأمضى وما بالموت عار على الفتى ... اذا مانوى خيرا وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه ... وخالف مثبورا وفارق مجرما
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم ... كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

وقال أيضا فى شمم نبوى هاشمى ، لا والله ، لا أعطيهم بيدى اعطاء الذليل ولا اقرار العبيد ، ألا وان الدعى بن الدعى خيرنا بين اثنتين : السلة أو الذلة (والسلة انتزاع الشىء ويقصد البيعة) وهيهات منا الذلة ؛ يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت ، وبطون طهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبية .

وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين :

روى ابن عبد البر من وجوه فى كتـاب الاسـتيعاب ، أن الامام الحسن ، لما حضرته الوفاة قال للامام الحسين أخيه :

ياأخى ، ان أباك رحمه الله ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، استشرف لهذا الأمر ، ورجا أن يكون صاحبه فصرفه الله عنـه ، ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبابكر الوفاة تشـوف لها أيضـا ، فصرفت عنـه الى عمر ، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين سته هو أحدهم ، فلم يشك أنها لاتعـدوه ، فصرفت عنه الى عثمان ، فلما هلك عثمان بويع ثم نـوزع حتى جرد السيف وطلبها ، فما صفا له شيء منها .

وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينـا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفنك ما استخفك أهل الكوفة فأخرجوك .

انى وقد كنت طلبت الى عائشة اذا مت أن تأذن لى ، فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت نعم ، وانى لا أدرى ، لعلهـا كان ذلك منها حياء ، فاذا أنامت فاطلب ذلك اليهـا ، فان طابت نفسـها فادفنى فى بيتها ، وما أظن القـوم الا سيمنعونك اذا أردت ذلك ، فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد ، فان لى بمن فيه أسوة .

أقول وقد مر عليك مايؤيد صدق فراسـة الامام الحسـن ، فقد اعترض مروان على دفن الامام الحسن الى جوار جـده صـلى الله عليه وسلم ، فدفن فى البقيع الى جوار والدته السيدة الزهراء رضى الله عنهما وعن ذويهما .

لماذا خالف الامام الحسين وصية الامام الحسن :

انى شخصيا أعتقد أن الذى اضطر الامام الحسين لمخالفة الوصـية التى أوصاه بها أخوه ، حين خرج من مكة الى الكوفة هى الاعتبـارات الآتية :

١ — خروج معاوية عن مبدأ الشورى ، وجعله ملك بني سفيان وراثيا ، يتوارثه الخلف عن السلف ، وهو أمر خطير على الاسلام وأهله .

٢ — بيعة معاوية ليزيد ، وهو تابعى ، مع فسقه المشهور بين الناس وتركه لخيار الصحابة من المهاجرين والأنصار .

٣ — ايفاد الامام الحسين لابن عمه مسلم بن عقيل ، ليستوثق له من حال أهل الكوفة ، وقد أحسن أهل الكوفة استقباله وبايعوا تحت سمعه وبصره لابن عمه الامام الحسين ، وكتب بذلك للامام الحسين ، فخرج من مكة الى الكوفة على بينة من أمره ، لكن أفسد بيعة الامام الحسين تولية عبيد الله بن زياد على الكوفة (مع ولايته على البصرة) فاشترى أهل الكوفة بالمال وأشاع فيهم الرعب ، فغدروا بسلم بن عقيل وتخلوا عنه ومكنوا ابن زياد منه فقتله ، وكان الامام الحسين قد وصل الى مشارف الكوفة ووقع استشهاده مع أهله وصحبه فى كربلاء ، وهوقدر واقع ، والحذر لا ينجى من القدر ، وانا لله وانا اليه راجعون .

وشاء الله ، جلت حكمته ، أن يرتبط باستشهاد الامام الحسين سقوط دولة بنى أمية ، فان استشهاده كان معول هدمها ، وان يرتبط باستشهاده قيام الدولة العباسية فى المشرق ، والفاطمية فى المغرب ، والأموية فى الأندلس (حتى قضى عليها بنو حمود الاشراف الحسنيون) .

ولا تنس أن أهل الرأى نصحوا لسيدنا أبى بكر الصديق بعدم قتال أهل الردة فخالفهم جميعا حيث رأى باجتهاده أن قتالهم واجب وقال أينقص الدين وأنا حى (ولكل وجهة هو موليها) .

وقد حيى الامام الحسين حياة الشهداء ، وباء خصومه بزوال ملكهم بعد ستين سنة من استشهاده ، وهو عمر قصير فى طول الحياة ، وقد نالوا من عدالة الله جزاءهم فأخذوا وقتلوا تقتيلا ، وشربوا على يد المختار بن عبيد الله وأبى العباس السفاح وأعمامه ، مرارة بغيهم ، والآخرة أشد عذابا وأبقى ، وما ربك بظلام للعبيد .

الباب الثالث

المتممـــات

* الموتورون من الامام على
* حول اجتماع النبوة والخلافة
* السنة النبوية ومظاهر الملك
* أهل الكوفة فى وصف الامام الحسن
* وصية امير المؤمنين عل لابنه الامام الحسن

اتماما للفائدة ، نتعرض لبعض الوقائع التى يحسن بالقارىء أن يلم بها ، فى مناسبة قراءته لتاريخ الامام الحسن .

بين معاوية وحجر بن عدى واصحابه :

علم القارىء الكريم مما مر عليه أن معاوية قتل حجر بن عدى وأصحابه ، وهاهى بعض التفاصيل :

جاء فى تاريخ الطبرى من حوادث سنة احدى وخمسين مقتل حجر بن عدى الكندى ، وذلك أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فى سنة ٤١ ، دعاه وأوصاه بشتم على وذمه والعيب على أصحابه والاقصاء لهم ، وباطراء شيعة عثمان ، والادناء لهم والاستماع منهم .

فأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية ، سبع سنين وأشهرا ، لايدع ذم على والوقوع فيه ، والدعاء لعثمان ، والتزكية لأصحابه ، والطالبين بدمه.

فكان حجر بن عدى ، اذا سمع ذلك ، قال بل اياكم فذمم الله ولعن ، ثم قام فقال ان الله عز وجل يقول (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لاحق بالفضل .

ولما هلك المغيرة سنة ٥١ ، جمعت الكوفة والبصرة لزياد بن سمية ، فصعد المنبر ، وذكر عثمان وأصحابه فقرظه ، وذكر قتلته ، ولعنهم ، فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة .

ورجع زياد الى البصرة ، وولى الكوفة عمر بن الحريث ، فبلغه أن حجرا يجتمع اليه شيعة على ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، فشخص الى الكوفة ، وخطب يوم الجمعة ، وأطال الخطبة وأخر الصلاة ، فقال حجر بن عدى : الصلاة ، فمضى فى خطبته ، ثم قال الصلاة ، فمضى فى خطبته فلما خشى حجر فوات الصلاة : ثار اليها وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد صلى بالناس .

وكتب الى معاوية فى أمره فكتب اليه معاوية ، أن شده فى الحديد ثم احمله الى ، فأخذ زياد حجر بن عدى وحبسه ، ثم أرسله الى معاوية فى

الحديد ، فلما دخل عليــه ، سلم عليه فقال له معــاوية ، والله لا أقيلك ، أخرجوه فاضربوا عنقه .

وجاء في التاريخ الكبير لابن عساكر ، أن حجر بن عدى الكندى ، من أهل الكوفة ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان مع الجيش الذى فتح الشام ، وشهد صفين مع على بن أبى طالب وقتل بعذراء من قرى دمشق ومسجد قبره بها معروف .

وقال حجر لأصحابه ، ان قتلنى معاوية ، لا تفكوا قيودى ، وادفنونى بها ، ولا تغسلوا عنى دما ، فانى ألقى معاوية بذلك غدا .

وجمع زياد من أصحاب حجر ثلاثة عشر رجلا فتموا به أربعــة عشر ، وأرسلهم مع حجر الى معاوية فقتل منهم سبعة ، فاستفظع أهل الكوفة ذلك استفظاعا شديدا .

وقد قال معاوية ، ما قتلت أحدا الا وأنا أعرف فيم قتلته ماخلا حجرا ، فانى لا أعرف بأى ذنب قتلته .

أقول وهؤلاء ، الذين قتلهم معاوية ، كان الامام الحســن قد أخذ الأمان لهم من معاوية ، وفى ذلك خروج سافر على شروط الصلح .

بين الامام الحسن وحجر بن عدى :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى ، قال دخل عبيدة بن عمرو الكندى على الحسن عليه السلام ، وكان ضرب على وجهه ضربة ، وهو مع قيس بن سعد بن عباده ، فقال ما الذى أرى بوجهك ، قال أصابنى مع قيس .

فالتفت حجر بن عدى الى الامام الحسن فقال لوددت أنك كنت مت قبل هذا اليوم ، ولم يكن ما كان ، انما رجعنا راغمين بما كرهنا ، ورجعوا مسرورين بما أحبوا .

فتغير وجه الامام الحسن ، وغمز الحسين عليه السلام حجرا فسكت فقال الامام الحسن عليه السلام ، ياحجر ليس كل الناس يحب ماتحب ، ولا رأيه كرأيك ، وما فعلت ما فعلت الا ابقاء عليك ، والله كل يوم فى شأن .

توبة طلحة والزبير وام المؤمنين عائشة :

أجمع العلماء على توبة طلحة والزبير وأم المؤمنين سيدتنا عائشة من موقفهم فى واقعة الجمل ، فعليهم رضوان الله .

أما الزبير فقد انسحب من المعـركة كما علمت ، وقال لأمير المؤمنين على حين ذكره بحديث رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، لقـد أذكرتنى ما أنسانيه الدهر ، ولو ذكرت ذلك ماخرجت .

وأما طلحة ، فقد رأى وهو يجود بنفسه ، رجلا الى جواره ، فقال من أى الفريقين أنت قال من فريق أميـر المؤمنين على ، فقـال أبلغـه أنى مبايعه ، ولما بلغ ذلك أمير المؤمنين ، قال أبى الله أن يدخل طلحة الجنة الا وبيعتى فى عنقه ، وقد حزن لقتله أمير المؤمنين عليه السـلام ورثاه كما سلف القول .

أما سيدتنا عائشة ، فقد قالت لأمير المؤمنين على عليه السلام ، ياابن‌أبى طالب ملكت فاسجح ، فقال لها غفر الله لك قالت وغفر لك ، وودت لو أنها ماتت قبل يوم الجمـل بعشرين عاما ، وكانت تبـكى وتقول وقـرن فى بيوتكن ، كما أنها وهى خارجة من البصرة قالت للناس : أيها النـاس لم يكن بينى وبين على فى القديم الامايكون بين المرأة وأحمائها (أهل الزوج) وقد سئلت رضى الله عنهـا أى النـاس أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت فاطمة ، فقيل من الرجال ، قالت زوجها ، ان كان ما علمت قواما صراما .

وفى هذه المناسبة ، أذكر أن عبد الله بن الزبير وكان من قادة معركة الجمل ، كان يتردد على مجلس الامام الحسين ويسمع منه .

وكانت السـيدة أم اسحق بنت طلحة زوجـة للامام الحسن ، فلما حانت وفاته أوصى أخاه الامام الحسين ألا تخرج من بيوتهم ، وان يتزوجها الامام الحسين بعد انقضاء عدتها ، وفعل بالوصية ، وقـد أعقب منهـا ، السيدة فاطمة (النبوية) التى تزوجت من ابن عمها الحسن بن الحسن،وهى أم عبد الله الذى مر عليك ما كان بينه وبين المنصور .

الموتورون من الامام علي عليه السلام :

جاء في أخبار صفين ، فيما نقله بسنده ابن أبي حديد عن محمد بن اسحق ما خلاصته :

اجتمع عند معاوية في بعض ليالي صفين ، عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان ، والوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر ، وابن طلحة الطلحات .

فقال عتبة ، ان أمرنا وأمر علي بن أبي طالب لعجب ، ما فيناالا موتور مجتاح .

أما أنا فقتل جدي عتبة بن ربيعة ، وأخي حنظلة وشرك في دم عمي شيبة يوم بدر ، أما أنت ياوليد فقتل أباك صبرا ، وأما أنت ياابن عامر فصرع أباك وسلب عمك ، وأما أنت يابن طلحة فقتل أباك يوم الجمل (مع أن مروان هو الذي قتله واعترف بقتله) وأيتم اخوتك ، وأما أنت يامروان فقد أفلت .

قال معاوية ، هذا الاقرار ، فاين الغير ، قال مروان ، وأي غير تريد ، قال أريد أن تشجروه بالرماح ، قال والله يا معاوية ، ما أراك الا هاذيا أو هازئا .

فقال ابن عقبة شعرا ، عرض فيه بعمرو بن العاص ، حين نال منه أمامنا على مقتلا في صفين ، فالقى عمرو بنفسه عن فرسه ، واستلقى وكشف عورته فأدار امامنا على وجهه ، وتركه ولم يقتله ، وكان عمرو يعير بها في الناس وجاء فيما قاله ابن عقبة :

يقول لنا معاوية بن حرب	أما فيكم لواتركم طلوب
يشد على أبي حسن على	باسمر لاتهجنه الكعوب
فقلت له أتلعب يا ابن هند	كأنك بيننا رجل غريب
أتغرينا بحية بطن واد	اذا نهشت فليس لها طبيب
وما ضبع يدب ببطن واد	أتيح له به أسد مهيب
بأضعف حيلة منا اذا ما	لقيناه ولقياه عجيب
سوى عمرو وقته خصيتاه	وكان لقلبه منه وجيب

وقال عمرو بن العاص شعرا ، جاءت فيه شهادة صادقة فى امامنا على وخصومه ، ومما قاله :

وعيرنى الوليـــد لقـــاء ليث	اذا ما شـد هابتـه الأسـود
فأما فى اللقـــاء فـأين منــه	معـاوية بـن حـرب والوليـد
فرمهـا منـه يا ابن أبى معيـط	وأنت الفـارس البطل النجيـد
وأقســم لو سـمعت نـدا على	لطـار القلب وانتفـخ الوريـد
ولو لا قيتـه شـقت جيـوب	عليـك ولطمت فيـك الخـدود

بين عمرو ومعاوية فى خلافته :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن الواقدى قال :

قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له ، لعمرو بن العاص ، يا أبا عبد الله ، لا أراك الا ويغلبنى الضحك ، قال بمـاذا قال اذكر يوم حمل عليك ، أبو تراب (كنية الامام على) فى صفين ، فازريت نفسك فرقا من شبا سنانه ، وكشفت سوأتك له .

فقال عمرو ، وأنا منك أشد ضحكا ، انى لأذكر يوم دعاك الى البراز فانتفخ سـحرك ، وربا لسـانك فى فمك ، وغصصت بريقك ، وارتعدت فرائصك وبدا منك ما أكره ذكره لك .

فقال معـاوية ، لم يـكن هـذا كله ، وكيف يـكون ، ودونى عك والأشعريون ، قال : انك تعلم ان الذى وصفت دون ما أصابك ، وقد نزل ذلك بك ، ودونك عك والأشـعريون ، فكيف كان حالك ، لو جمعـكما مأقط الحرب (موضع القتال) .

فقال معاوية ، يا أبا عبد الله خض بنا الهزل الى الجـد ، ان الجبن والفرار من على ، لا عار على أحد فيهما .

امير المؤمنين عمر وولاته :

وروى بن أبى حديد بسنده أن حذيفة قال لأمير المؤمنين عمـر رضى الله عنه : انك تستعين بالرجل الذى فيه ، وبعضهم يرويه بالرجل الفاجر ،

فقال استعمله لأستعين بقوته ، ثم أكون على قفانه (أى أتتبع أمره وأستقصى عمله) .

وقد فسر أمير المؤمنين عمر عليه السلام ، السبب فى تركه بنى هاشم وعدم استعمالهم فى الولاية ، فقال لا أدنس هؤلاء بالعمل .

ومعروف أن امير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، كان شديد المحاسبة لعماله وولاته ، وكانت له هيبة فيهم وفى الرعية كلها ، حتى قالوا : كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج .

ولقد كتب أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، لعمرو بن العاص وهو واليه على مصر :

انكم معشر الأمراء ، أكلتم الأموال ، وأخلدتم الى الأعذار ، فانما تأكلون النار ، وتورثون العار ، وقد وجهت اليك محمد بن مسلمة ليشاطرك على ما فى يديك (أى يصادر نصف مالك) .

شهادة الامام على فى امير المؤمنين عمر :

وحين جىء الى أمير المؤمنين عمر بجواهر كسرى ، ورآها قال مادحا لأعوانه ، ان قوما أدوا هذا لأمناء .

فقال له امامنا على : يا أمير المؤمنين : عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا.

كما قال امامنا على مزكيا أمير المؤمنين عمر عند موته : ما أحد أحب الى أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى .

امير المؤمنين عمر يتزوج اخت الامامين الحسن والحسين :

روى ابن أبى حديد بسنده عن الزبير بن بكار قال : خطب عمر أم كلثوم بنت على عليه السلام ، فقال له انها صغيرة ، فقال زوجنيها يا أبا الحسن ، فانى أرصد من كرامتها مالا يرصده أحد .

فقال ، أنا أبعثها اليك ، فان رضيتها زوجتكها فبعثها اليه ببرد ، وقال لها قولى هذا البرد الذى ذكرته لك ، فقالت له ذلك فقال ، قولى له قد رضيته رضى الله عنك .

ووضع أمير المؤمنين يده على ساقها ، فقالت له ، أتفعل هذا ، لولا أنك أمير المؤمنين لـكسرت أنفك ، ثم جاءت أباها فأخبرته الخبر ، وقالت بعثتني الى شيخ سوء ، قال مهلا يابنيه ، انه زوجك .

فجاء عمر الى مجلس المهاجرين في الروضة ، وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون ، فقال رفئوني (أي هنئوني من قولهم بالرفاء والبنين).

قالوا بماذا يا أمير المؤمنين ، قال تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي وصهري) .

وأنت ترى من ذلك أن أمير المؤمنين عمر ، رضي الله عنه ، أراد أن يجمع الى مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (حيث كانت السيدة حفصة بنت عمر من أزواجه صلى الله عليه وسلم) النسب الكريم الذي يربطه بذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون له شرفان ، شرف من الصهر ، وشرف من النسب ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

حول اجتماع النبوة والخلافة :

أنت قرأت ما جاء في وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين عليهما السلام من قوله :

« واني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفنك ما استخفك أهل الكوفة فأخرجوك » .

وقد يسيء ، البعض فهم هذا الكلام ، فيظن أنه لايجوز أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم ، فان وقع للبعض هذا الفهم كان بعيدا من الصواب ، ذلك بأن الله جمع لسيدنا داود عليه السلام النبوة والخلافة ، وكذلك جمعهما لسيدنا سليمان عليه السلام ، وقال تعالى في آل ابراهيم عليهم السلام (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) .

وقد أدخل سيدنا عمر الامام عليا فى الستة من أهل الشورى ، فلو كان يرى ذلك الفهم ما أدخله فيهم ، كما أن فضلاء المهاجرين والأنصار وأهل بدر بايعوا للامام على بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان .

وواضح من ذلك أن الامام الحسن ، رأى بنور الله واستنتاجا من معاكسات الظروف السياسية ، أن الله يريد أن يطهر آل البيت من حكم مجتمع أفسدته الدنيا ، فلم يكونوا أهلا لخلافة الراشدين ، ولو كان الامام الحسن يذهب لعدم الجواز ، ما أقر بيعة أبيه ولا تولى الخلافة بعده نحو سبعة أشهر ، كما أن امامنا عليا ما كان يقبل الخلافة لو كان يعتقد أنه لا يجوز أن تجتمع لبنى هاشم الخلافة مع النبوة .

وقد صحت فراسة الامام الحسن ، فقد خذل أهل العراق الامام الحسين ، كما خذلوا أباه وأخاه من قبله ، وقد تبين أهل العراق الرشد من الغى بعد حين ، فندموا حيث لاينفع الندم ، وبكوا أمير المؤمنين عليا وبنيه الى الأبد ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى

السنة النبوية ومظاهر الملك :

جاء فى كتاب عبد الله بن الزبير للدكتور على حسنى الخربوطلى أن أهل المدينة كانوا يتمسكون بالسنة النبوية ، ولذا لم يرضوا بصبغ الدولة الأموية بصبغة دنيوية زمنية ، واقتباس بعض النظم الرومانية .

واستفاد ابن الزبير من مظاهر الملك التى صبغت الدولة الأموية ، وكان معاوية أول من أقام الحرس ، والشرطة والبوابين فى الاسلام ، وأرخى الستور ، واستكتب النصارى ، ومشى بين يديه بالحراب ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، وجلس على السرير والناس تحته ، وجعل ديوان الخاتم ، وبنى وشيد البناء ، وسخر الناس فى البناء ، وكان معاوية يقول انا أول الملوك .

أقول وصدق العلامة العقاد حين قال فى كتابه « عبقرية الامام » :

لم يكن معاوية زاهدا فى الخلافة فىعهد أبى بكر أو عمر أو عثمان، ولكن الخلافة كانت زاهدة فيه ، وقديما قال أبوه للعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى جيش المسلمين فى فتح مكة : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما .

اهل الكوفة فى وصف الامام الحسن :

جعل الناس يبكون عند خروج الامام الحسن من الكوفة ، فقيل له عليه السلام ، ما حملك على مافعلت ، فقال : كرهت الدنيا ، ورأيت أهل الكوفة قوما لايثق بهم أحد أبدا الا غلب ، ليس منهم أحد يوافق آخر فى رأى ولا هوى ، مختلفين . لانية لهم فى خير ولا شر ، لقد لقى أبى منهم أمورا عظاما ، فليت شعرى لمن يصلحون بعدى ، وهى أسرع البلاد خرابا

تمثيلية لبيعة يزيد فىحياة الامام الحسن :

علمت مما تقدم أن الذى ألقى الى معاوية فكرة البيعة ليزيد هو المغيرة بن شعبة ، وأراد بذلك أن يثبته معاوية فى ولاية الكوفة ، وكان هم بعزله وتولية سعيد بن العاص مكانه .

وطبعا صادفت فكرة المغيرة هوى فى نفس معاوية ، فلما اجتمعت وفود الأمصار فى دمشق ، وكان فيهم الأحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهرى فقال له : اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتى وكلامى ، فاستأذنى القيام ، فاذا أذنت لك ، فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذى يحق له عليك من حسن الثناء عليه ، ثم ادعنى الى توليته من بعدى ، فانى رأيت وأجمعت على توليته ، فأسأل الله فى ذلك وفى غيره حسن القضاء .

وهذا كما ترى املاء ارادة على الضحاك ، وكان صاحب شرطته .

ثم دعا معاوية عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ، وعبد الله بن مسعده الفزارى ، وثور بن معن السلمى ، وعبد الله بن عصام الأشعرى ، فأمرهم أن يقوموا اذا فرغ الضحاك وأن يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد .

فلما فرغ معاوية من خطبته ، قاموا فنفذوا أمر معاوية ، ومدحوا يزيد بما ليس فيه .

فقال معاوية : أوكلكم قد أجمع على هذا رأيه .

فقالوا : كلنا قد أجمع رأينا على ما ذكرنا .

قال : فأين الاحنف فاجابه ، قال الا تتكلم فقام الأحنف (أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وكان أحد الحكماء الدهاة ، وشهد صفين مع أمير المؤمنين على) فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

أصلح الله أمير المؤمنين ، ان الناس قد امسكوا فى منكر زمان قد سلف ، ومعروف زمان مؤتنف ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف .

وقد حلبت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين ، فاعرف من تسند اليه الأمر من بعدك ، ثم اعص أمر من يأمرك ، لا يغررك من يشير عليك ولا ينظر لك ، وانت أنظر للجماعة وأعلم باستقامة الطاعة ، مع أن أهل الحجاز أو أهل العراق لا يرضون بهذا ، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا.

فغضب الضحاك بن قيس واعترض على كلام الأحنف فقام الأحنف مرة أخرى وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، انا قد فررنا عنك قريشا ، فوجدناك أكرمها زندا ، وأشدها عقدا ، وأوفاها عهدا .

وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة ، ولم تظهر عليها قعصا ، ولكنك أعطيت الحسن بن على من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك ، فان تف فأنت أهل الوفاء ، وان تغدر تعلم .

والله ان وراء الحسن خيولا جيادا ، وأذرعا شدادا ، وسيوفا حدادا ، ان تدن له شبرا من غدر ، تجد وراءه باعا من نصر .

وانك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ، ولا أبغضوا عليا وحسنا منذ أحبوهما ، وما نزل عليهم فى ذلك خبر من السماء .

وان السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم ، والقلوب التى أبغضوك بها بين جوانحهم ، وايم الله ان الحسن لأحب الى أهل العراق من على .

فاعترض على كلام الأحنف عبد الله بن عثمان الثقفى ، ونافق معاوية ومدح يزيد بما ليس فيه ، فمن ذلك قوله :

فاذا خار الله لك فاعزم ، ثم اقطع قالة الكلام ، فان يزيد أعظمنا حلما وعلما ، وأوسعنا كنفا ، وخيرنا سلفا ، قد أحكمته التجارب ، وقصدت به سبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف .

ثم هاجم الأحنف وعرض به قائلا : ولا يقفن بك دونها واقف ، ممن هو شاسع عاص ، ينوص للفتنة كل مناص ، لسانه ملتو ، وفى صدره داء دوى ، ان قال فشر قائل ، وان سكت فداء غائل .. الى آخر ما قال . فقام معاوية فقال :

أيها الناس ، انلابليسمن الناس اخواناوخلانا ، بهميستعدى ، واياهم يستعين وعلى ألسنتهم ينطق ، ان رجوا طبعا أوجفوا ، وان استغنى عنهم أرجفوا ، ثم يلحقون الفتن بالفجور ، ويشققون لها حطب النفاق .

عيابون ، مرتابون ، ان لووا عروة أمر حنقوا ، وان دعوا الى غى أسرفوا ، وليس أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ، ولا متعظين ، حتى تصيبهم صواعق خزى وبيل ، وتحل بهم قوارع أمر جليل ، تجتث أصولهم كاجتثاث أصول النقع ، فأولى لأولئك ثم أولى ، فانا قد قدمنا وأنذرنا ، ان أغنى التقدم شيئا أو نفع النذر .

فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ، وترك المغيرة ، ودعا عبد الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام أبو حنيف فقال :

ياأمير المؤمنين ، انا لانطيق السنة مضر وخطبها ، أنت يا أمير المؤمنين ، فان هلكت فيزيد بعدك ، فمن أبى فهذا ، وسل سيفه .

فقال معاوية : أنت أخطب القوم وأكرمهم . ثم قام الأحنف بن قيس فقال :

أنت أعلمنا بليله ونهاره ، وبسره وعلانيته ، فان كنت تعلم أنه شر لك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة ، فانه ليس لك من الآخرة الا ما طاب .

واعلم أنه لاحجة لك عند الله ان قدمت يزيد على الحسن والحسين ، وأنت تعلم من هما والى ماهما ، وانما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير .

أقول ، وقد علمت ما كان من معاوية مع أهل الحجاز ، وقد عارضه ابناء المهاجرين فى مواجهته بكل شجاعة وصراحة ولكن ادعى أنهم بايعوا وحمل الناس برهبة السيف والسلطان على تلك البيعة المشؤومة التى كانت شرا مستطيرا على الاسلام الى اليوم والى ماشاء الله تعالى .

بين الامام على وابى موسى الأشعرى والامام الحسن :

قد يقول القارىء لماذا قال أمير المؤمنين على حين أشاروا عليه أصحابه فى أن يكون الحكم أبا موسى الأشعرى ، انه ليس لى ثقة ، فهذا هو الجواب .

كان أبو موسى أميرا على الكوفة ، وقد سمعه الامام الحسن يثبط أهل الكوفة ، ويصرفهم عن القتال ، وهو عكس ما كان ينتظر منه فى مناصرة أمير المؤمنين ، واليك ماقال أبو موسى لهم :

انها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب .

فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فأغمدوا السيوف ، وأنصلوا الأسنة (أى انزعوها) واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهدين حتى يلتئم هذا الأمر .

فرد عليه الامام الحسن قائلا :

يا أبا موسى ، لم تثبط الناس عنا ، فو الله ما أردنا الا الاصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شىء .

ثم خاطب الامام الحسن أهل الكوفة وحثهم على اجابة دعوة أبيه أمير المؤمنين فقال :

يا أيها الناس أجيبوا دعوى أميركم ، وسيروا الى اخوانكم ، فانه سيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه ، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة ، وخير في العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم .

وكان لهذا ، الكلام أثره في النفوس ، ثم قال رضى الله عنه أيها الناس ، انى غاد ، فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظهر ومن شاء فليخرج فى الماء .

فخرج معه تسعة آلاف ، أما أبو موسى فأخرجه الناس من قصر الامارة ، واعتزل الامارة بأمر أمير المؤمنين .

وصية أمير المؤمنين على لابنه الامام الحسن :

ونختتم المتممات بوصية أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لابنه الامام الحسن ، وليس أمير المؤمنين فى حاجة لتقريظى أو تقريظ غيرى ، فهو غنى فى علمه وبلاغته عن التعريف والتقريظ ، وشمس النهار لا تحتاج الى دليل .

واليك نص الوصية منقولة من شرح نهج البلاغة لابن أبى حديد ، وقد كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين :

من الوالد الفانى ، المقر للزمان ، المدبر العمر ، المستسلم للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، الظاعن عنها غدا .

الى المولود المؤمل مالا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب الآفات ، وصريع الشهوات وخليفة الأموات .

أما بعد ، فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عنى ، وجموح الدهر على ، واقبال الآخرة الى ، مايزعنى عن ذكر من سواى ، والاهتمام بما ورائى ، غير أنى حيث تفـرد بى دون هموم النـاس هم نفسى ، فصـدقنى رأيى وصرفنى عن هواى ، وصرح لى محض أمرى ، فأفضى بى الى جد لايكون فيه لعب ، وصدق لايشوبه كذب ، وجدتك بعضى ، بل وجـدتك كلى ، حتى كأن شيئا لو أصابك أصابنى ، فكأن الموت لو أتاك أتانى ، فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى ، فكتبت اليك كتابى مستظهرا به ، انأنا بقيت لك أو فنيت .

فانى أوصيك بتقوى الله ــ أى بنى ــ ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، وأى سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ، ان أنت أخذت به .

أحى قلبك بالموعظـة ، وأمته بالزهادة ، وقـوه باليقين ، ونـوره بالحـكمة ، وذلله بذكر الموت ، وقرره بالفنـاء ، وبصره فجائع الدنيـا ، وحذره صولة الدهر ، وفحش تقلب الليالى والأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين .

وسر فى ديارهم وآثارهم ، فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا، فانك تجدهم انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا دار الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم .

وأمر بالمعـروف تكن من أهله ، وأنـكر المنكر بيـدك ولسانك ، وباين من فعله بجهدك ، وجاهد فى الله حق جهاده ، ولا تأخـذك فى الله لومة لائم .

وخض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه فى الدين ، وعود نفسـك التصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر فى الحق .

وألجىء نفسك فى أمورك كلها الى الهك ، فانك تلجئها الى كهف حريز ، ومانع عزيز .

وأخلص فى المسألة لربك ، فان بيـده العطاء والحـرمان ، وأكثر الاستخارة ، وتفهم وصيتى ، ولا تذهبن عنك صفحا ، فان خير القول ماتفع. واعلم أنه لاخير فى علم لاينفع ، ولا تنتفع بعلم لايحق تعلمه .

أى بنى ، انى لما رأيتنى قد بلغت سنا ، ورأيتنى أزداد وهنا ، بادرت بوصيتى اليك ، وأوردت خصالا منها قبل أن يعجل بى أجلى دون أنأفضى اليك بما فى نفسى ، أو أن أنقص فى رأيى كما نقصت فى جسـمى ، أو يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا ، فتكون كالصعب النفور .

وانما قلب الحدث كالأرض الخالية ، ما ألقى فيهـا من شىء قبلته . فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويشتغل لبك ، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ماقد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجـربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنـا نأتيه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

أى بنى انى وان لم أكن عمرت عمر من كان قبلى ، فقد نظرت فى أعمالهم ، وفكرت فى أخبارهم ، وسرت فى آثارهم ، حتى عدت كأحدهم،بل كأنى بما انتهى الى من أمورهم ، قد عمرت مع أولهم الى آخرهم ، فعرفت صـفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمـر جليله وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله .

ورأيت حيث عنانى من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك ، أن يكون ذلك وأنت مقبـل العمر ، ومقتبل الدهر ، ذو نيـة سليمة ، ونفس صافية ، وأن ابتدئك بتعليم كتـاب الله عز وجل وتأويله ، وشرائع الاسـلام وأحكامه ، وحلاله ، وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك الى غيره .

ثم أشـفقت أن يلتبس عليك ما اختلف النـاس فيه ، من أهوائهم وآرائهم ، مثل الذى التبس عليهم ، فكان احكام ذلك على ماكرهت من تنبيهك له ، أحب الى من اسـلامك الى أمر لا آمن عليك به الهلـكة ، ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لقصدك ، فعهدت اليك وصيتى هذه .

واعلم يا بنى ، أن أحب ما أنت آخذ به الى من وصيتى تقوى الله ، والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليــه الأولون من آبائك والصالحون من أهل بيتك ، فانهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك الى الأخـذ بما عرفوا ، والامساك عما لم يكلفوا ، فان أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، لا بتورط الشــبهات ، وعلق الخصومات .

وابدأ قبل نظرك فى ذلك بالاستعانة بالهك والرغبة اليه فى توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك فى شبهة ، أو أسلمتك الى ضلالة ، فان أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك فى ذلك هما واحدا ، فانظر فيما فسرت لك .

وان أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم أنك انما تخبط العشواء ، وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خبط أو خلط ، والامساك عن ذلك أمثل ، فتفهم يابنى وصيتى ، واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وان الخالق هو المميت ، وأن المفنى هو المعيد ، وأن المبتلى هو المعافى ، وأن الدنيــا لم تكن لتســتقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء فى الميعاد ، أو ما شاء ممــا لاتعلم ، فان أشكل عليك شىء من ذلك فاحمله على جهالتك ، فانك أول ما خلقت به جــاهلا ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمــر ، ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك .

فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك ، فليــكن له تعبدك ، واليه رغبتك ، ومنه شفقتك .

واعلم يابنى ، أن أحدا لم ينبىء عن الله سبحانه كمــا أنبأ عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وآله ، فارض به رائدا ، والى النجاة قائدا ، فانى لم آلك نصيحة ، وانك لن تبلغ فى النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظرى لك .

واعلم يابنى ، أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه اله واحد كما وصف نفسه ، لايضاده فى ملكه أحد ، ولا يزول أبدا ولم يزل ، أول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء ، بلا نهاية ، عظم أن تثبت ربوبيته باحاطة قلب أو بصر .

فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغى لمثلك أن يفعل فى صغر خطره ، وقلة مقدرته وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته الى ربه ، فى طلب طاعته ، والخشية من عقوبته ، والشفقة من سخطه ، فانه لم يأمرك الا بحسن ، ولم ينهك الا عن قبيح .

يابنى انى قد أنبأتك عن الدنيا وحالها ، وزوالها وانتقالها ، وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها ، وضربت لك فيهما الأمثال ، لتعتبر بها وتحذو عليها .

انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر ، نبا بهم منزل جديب ، فأموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا ، فاحتملوا وعثاء الطريق ، وفراق الصديق ، وخشونة السفر ، وجشوبة المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ، ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لذلك ألما ، ولا يرون نفقة فيه مغرما ، ولا شىء أحب اليهم مما قربهم الى منزلهم ، وأدناهم الى محلتهم .

ومثل من اغتربها ، كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب ، فنبابهم الى منزل جديب ، فليس شىء أكره اليهم ، ولا أفظع عندهم ، من مفارقة ما كانوا فيه ، الى مايهجمون عليه ، ويصيرون اليه .

يابنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لاتحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل مالا تعلم وان قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع فى كدحك ، ولا تكن خازنا لغيرك ، وان أنت هديت لقصدك ، فكن أخشع ماتكون لربك .

واعلم أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة ، وانه لاغنى بك فيه عن حسن الارتياد ، وقدر بلاغك من الزاد ، مع خفة الظهر ، فلا تحملن فوق ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك ، واذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة ، فيوافقك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه ، وحمله اياه ، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده .

واغتنم من استقرضك فى حال غناك ، ليجعل قضاءه لك فى يوم عسرتك .

واعلم أن أمامك عقبة كؤودا ، المخف فيها أحسن حالا من المثقل ، والمبطىء عليها أقبح حالا من المسرع ، وأن مهبطك بها لا محالة ، اما على جنة أو على نار ، فارتد لنفسك قبل نزولك ، ووطىء المنزل قبل حلولك ، فليس بعد الموت مستعتب ، ولا الى الدنيا منصرف .

واعلم أن الذى بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك فى الدعاء ، وتكفل لك بالاجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه ، ولم يمنعك ان أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ، ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ، ولم يشدد عليك فى قبول الانابة ، ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يؤسك من الرحمة ، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك عشرا .

وفتح لك باب المتاب ، وباب الاستعتاب ، فاذا ناديته سمع نداك ، وناجيته علم نجواك ، فأفضيت اليه بحاجتك ، وأبثثته ذات نفسك ، وشكوت اليه همومك ، واستكشفته كروبك ، واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره ، من زيادة الأعمار وصحة الأبدان ، وسعة الأرزاق .

ثم جعل فى يديك مفاتيح خزائنه ، بما أذن لك فيـــه من مسألته ، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته ، واستطردت شآبيب رحمته ، فلا يقنطنك ابطاء اجابته ، فان العطية على قدر النية ، وربما أخرت عنك الاجابة ، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الآمل .

وربما سألت الشيء فلا تؤتاه ، وأوتيت خيرا منه عاجلا أو آجـــلا ، أو صرف عنك لمـــا هو خير لك ، فلرب أمر قد طلبتـــه فيـــه هلاك دينك لو أوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، وينفى عنك وباله ، فالمـــال لا يبقى لك ولا تبقى له .

واعلم يابنى أنك خلقت للآخرة لا للدنيا ، وللفناء لا للبقاء ، وللموت لا للحياة ، وأنك فى منزل قلعة ، ودار بلغة ، وطريق الى الآخرة ، وانك طريد الموت الذى لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه ، ولابد أنه مدركه فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك ، فاذا أنت أهلكت نفسك .

يابنى أكثر من ذكر الموت ، وذكر ما تهجم عليه ، وتفضى بعد الموت اليه ، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك ، وشددت له أزرك ، ولا يأتيك بغتة فيبهرك .

واياك أن تغتر بما ترى من اخلاد أهل الدنيا اليها ، وتكالبهم عليها ، فقد نبأك الله عنها ، ونعتت هى لك نفسها ، وتكشفت لك عن مساويها ، فانما أهلها كلاب عاوية ، وسباع ضارية ، يهر بعضها على بعض ، ويأكل عزيزها ذليلها ، ويقهر كبيرها صغيرها ، نعم معقله ، وأخرى مهملة ، قد أضلت عقولها ، وركبت مجهولها ، سروح عاهة بواد وعث ، ليس لهـــا راع يقيمها ، ولا مسيم يسيمها .

سلكت بهم الدنيا سبيل العمى ، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى ، فتاهوا فى حيرتها ، وغرقوا فى نعمتها ، واتخذوها ربا فلعبت بهم ، ولعبوا بها ، ونســـوا ما وراءها ، رويدا يســـفر الظلام ، كأن قد وردت الأظعان ، يوشك من أسرع أن يلحق .

واعلم يابنى أن من كانت مطيته الليل والنهـار ، فانه يسار به وان كان واقفا ، ويقطع المسافة وان كان مقيما وادعا .

واعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وأنك فى سبيل من كان قبلك .

فخفض فى الطلب ، وأجمل فى المكتسب ، فانه رب طلب قـد جـر الى حرب ، وليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم .

وأكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب ، فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ، ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرا ، وما خير لا ينال الا بشر ، ويسر لا ينال الا بعسر .

واياك أن توجف بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل الهلكة ، وان استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فانك مدرك قسمك ، وآخذ سهمك ، وان اليسير من الله سبحانه ، أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وان كان كل منه .

وتلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر من ادراكك ما فات من منطقك ، وحفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء ، وحفظ ما فى يديك أحب الى من طلب ما فى يدى غيرك ، ومرارة اليأس ، خير من الطلب الى الناس ، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره ، ورب ساع فيما يضره ، من أكثر أهجر ، ومن تفكر أبصر .

قارن أهـل الخير تـكن منهم ، وباين أهـل الشر تبن عنهم ، بئس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، اذا كان الرفق خرقا ، كان الخرق رفقا ، ربما كان الدواء داء ، والـداء دواء ، وربما نصـح غير الناصح ، وغش المستنصح .

واياك والاتكال على المنى ، فانها بضائع النوكى ، والعقـل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك .

بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ، ليس كل طالب يصيب ، ولا كل غائب يئوب ، ومن الفساد اضاعة الزاد ، ومفسدة المعاد ، ولكل أمر عاقبة ، سوف ياتيك ما قدر لك ، التاجر مخاطر ، ورب يسير آنمى من كثير .

لا خير في معين مهين ، ولا في صديق ظنين ، ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ، ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه ، واياك أن تجمح بك مطية اللجاج .

احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة ، وعند صدوده على اللطف والمقاربة ، وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند جرمه على العذر ، حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك ، واياك ان تضع ذلك في غير موضعه ، او ان تفعله بغير أهله .

لا تتخذن عدو صديقك صديقا ، فتعادي صديقك ، وامحض اخاك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة ، وتجرع الغيظ ، فانى لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ، ولا ألذ مغبة .

ولن لمن غالظك ، فانه يوشك أن يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل فانه أحد الظفرين ، وان أردت قطيعة اخيك ، فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ، ان بدا له ذلك يوما ما .

ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه ، فانه ليس لك بأخ من أضعت حقه .

ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، ولا ترغبن فيمن زهد عنك ، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ، ولا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فانه يسعى في مضرته ونفعك ، وليس جزاء من سرك ان تسوءه .

واعلم يابنى أن الرزق رزقان ، رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فان أنت لم تأته اتاك .

ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى ، انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، وان كنت جازعا على ما تفلت من يديك ، فاجزع على كل ما لم يصل اليك .

استدل على مالم يكن بما قد كان ، فان الأمور أشباه ، ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة ، الا اذا بالغت في ايلامه ، فان العاقل يتعظ بالآداب ، والبهائم لا تتعظ الا بالضرب .

اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين .

من ترك القصد جار ، والصاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه ، والهوى شريك العمى ، ورب بعيد أقرب من قريب ، وقريب أبعد من بعيد ، والغريب من لم يكن له حبيب .

من تعدى الحق ضاق مذهبه ، ومن اقتصر على قدره كان أبقى له ، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه ، ومن لم يبالك فهو عدوك .

قد يكون اليأس ادراكا ، اذا كان الطمع هلاكا ، ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما اخطأ البصير قصده ، وأصاب الاعمى رشده .

أخر الشر ، فانك اذا شئت تعجلته ، وقطيعة الجاهل ، تعدل صلة العاقل .

من أمن الزمان خانه ، ومن أعظمه أهانه .

ليس كل من رمى أصاب .

اذا تغير السلطان ، تغير الزمان .

سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار .

اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا ، وان حكيت ذلك عن يرك ، واياك ومشاورة النساء ، فان رأيهن الى أفن ، وعزمهن الى وهن اكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب أبقى

عليهن ، وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن ، وان استطعت الا يعرفن غيرك فافعل .

ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فان المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها فى ان تشفع لغيرها .

واياك والتغاير فى غير موضع غيرة ، فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم ، والبريئة الى الريب .

واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به ، فانه أحرى ألايتواكلوا فى خدمتك .

وأكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير ، وأصلك الذى اليه تصير ، ويدك التى بها تصول .

استودع الله دينك ودنياك ، واسأله خير القضاء لك فى العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة والسلام .

وتلك الوصية هى مسك الختام .

(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

*

الفهـــرس

الباب الأول
تاريخه الشخصى

الباب الثانى
تاريخه السياسى

الباب الثالث
المتممات

*

مراجع الكتاب

القرآن الكريم ... ...

كتب السنة ... ...

تفسير القرطبى ... ... **للامام القرطبى**

تفسير الألوسى ... ... **للامام الالوسى**

تاريخ الأمم ... ... **لابن جرير الطبرى**

مقاتل الطالبيين ... ... **لأبى الفرج الاصفهانى**

الكامل ... ... **لابن الأثير**

مطالب السؤول ... ... **لابن ابى طلحة القرشى**

الأغانى ... ... **لأبى الفرج الأصفهانى**

شرح نهج البلاغة ... ... **لابن ابى حديد**

الاصابة ... ... **لابن حجر**

الاستيعاب ... ... **لابن عبد البر**

مروج الذهب ... ... **للمسعودى**

الامامة والسياسة ... ... **لابن قتيبة**

الطبقات الكبرى ... ... **للامام الشعرانى**

عبقرية الامام ... ... **للعقاد**

عثمان ذو النورين ... ... **للعقاد**

الفتنة الكبرى ... ... **لعميد الأدب العربى**

على وبنوه ... ... **لعميد الأدب العربى**

الامام زين العابدين ... ... **للشيخ احمد فهمى**

كريمة الدارين ... ... **للشيخ احمد فهمى**

العقيلة الطاهرة ... ... **للشيخ احمد فهمى**

الحسن والحسين ... ... **للأستاذ محمد رضا**

آل بيت رسول الله ... ... **للاستاذين كامل البنا وتوفيق عريه**

الحسين ... ... **للمستشار على الحسينى**

نور الحى القيوم ... ... **للأستاذ احمد عبد المنعم الحلوانى**

السمو الروحى ... ... **للأستاذ أحمد عبد المنعم الحلوانى**

عبد الله بن الزبير ... ... **للدكتور حسنى الخربوطلى**

فلسفة اقبال ... ... **للاستاذين الصاوى شعلان ومحمد الأعظمى**

تاريخ الأمم الاسلامية ... ... **للشيخ الخضرى**

دائرة المعارف الاسلامية ... ...

مجلة منبر الاسلام ... ...

فاطمة الزهراء ... ... **للأستاذ عطية خميس المحامى**

نور الابصار ... ... **للشيخ الشبلنجى**

شرح ورد سحر ... ... **للعارف عمر الشبراوى**

الامام الحسين بن على ... ... **للمؤلف**